

فرض الحق والأول في الفضل

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البُسْتَمِي
المتوفى سنة ٢٥٤ من الهجرة وبعوف عشر الثمانين
رحمة الله

بشقيق

محمد عابد النفدي

وميس جماعة أنصار السنة المحمدية

بمكتبة السنة المحمدية

٥ شارع مامي بالبارودي (مصر الكبرى)
ت ٢٩٧٦ ١٠

فَضْلُ الْمُتَّقِينَ الْأَوْزَارِ الْفَضَائِلِ

للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حَبَّان البُسْتِي
المتوفى سنة ٣٤٤ من الهجرة وهو في عشر الثمانين
رحمه الله

بتحقيق وتصحيح

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

ترجمة الإمام ابن حبان^(١)

أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي - كذا
نسبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد البخاري ، المعروف بـعُنْجَار ، وواقفه غيره
إلى معبد - ثم قال : ابن هذبة بن مُرَّة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد بن عبد الله
ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة
ابن إلياس بن مضر .

الإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مكثراً من الحديث والرحلة ، والشيخ ،
عالماً بالثنون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . ومن تأمل
تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بحراً في العلوم .

سافر ما بين الشاش والاسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد
العالية ، وأخذ فقه الحديث والفرض على معانيه : عن إمام الأئمة أبي بكر بن
خزيمة ، ولازمه وتلمذ له ، وصارت تصانيفه عُدَّة لأصحاب الحديث ، غير أنها
عزيزة الوجود .

سمع ببلده بُسْت : أبا أحمد إسحاق بن إبراهيم القاضي ، وأبا الحسن محمد بن
عبد الله بن جنيد البستي .

وبهراة : أبا بكر محمد بن عثمان بن سعد الدارمي .

وبمرو : أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن عبد الله بن محمود بن سليمان السعدي ،
وأبا يحيى محمد بن يحيى بن خالد المديني .

(١) عن معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٧١-١٧٨)

وبقرية سنج : أبا علي الحسين بن محمد بن مصعب السنجي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر بن ترقل الهورقاني .

وبالصغد بما وراء النهر : أبا حفص عمر بن محمد بن يحيى الهمداني .
وبنسا : أبا العباس الحسن بن سفيان الشيباني ، ومحمد بن عمر بن يوسف ،
ومحمد بن محمود بن عدى النسيبي .

وبنيسابور : أبا العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج الثقفى ، وأبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن شيرويه الأذرى .

وبأرغيان : أبا عبد الله محمد بن المسيب بن إسحاق الأرغيانى .
وبجرجان : عمران بن موسى بن مجاشع ، وأحمد بن محمد بن عبد الكريم
الوزان الجرجاني .

وبالرى : أبا القاسم العباس بن الفضل بن عاذان المقرئ ، وعلى بن الحسن
ابن مسلم الرازى .

وبالكرج : أبا عمارة أحمد بن عمارة بن الحجاج الحافظ ، والحسين
ابن إسحاق الأصبهاني .

وبعسكر مكرم : أبا محمد عبد الله بن محمد موسى الجوالقي ، المعروف
بعبدان الأهوازي .

وبنستر : أبا جعفر محمد بن محمد بن يحيى بن زهير الحافظ .

وبالأهواز : أبا العباس محمد بن يعقوب الخطيب .

وبالبلّة : أبا يعلى محمد بن زهير ، والحسين بن بسطام الأبلين .

وبالبصرة : أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ، وأبا يعلى زكرياء بن يحيى
الساجى ، وأبا سعيد عبد الكريم بن عمر الخطابي .

وبواسط : أبا محمد جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، والخليل بن محمد
الواسطي ابن بنت تميم بن المنتصر .

وبقم الصّلىح : عبد الله بن قحطبة بن مرزوق الصلحي .

وبنهر سابّس ، قرية من قرى واسط : خلاد بن محمد بن خالد الواسطي .

وببغداد : أبا العباس حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، وأبا أحمد الهيثم
خلف الدوري ، وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي .

وبالكوفة : أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلي .

وبمكة : أبا بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه ، صاحب
كتاب الإشراف في اختلاف الفقهاء ، وأبا سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم
الجندي .

وبسامراء : على بن سعيد العسكري - عسكر سامرا .

وبالموصل : أبا يعلى أحمد بن علي بن المثني الموصلی وهارون بن المسكين
البلدي ، وأبا جابر زيد بن علي بن عبد العزيز بن حيان الموصلی ، وروح بن
عبد المجيد الموصلی .

وببلد سنّجار : على بن إبراهيم بن الهيثم الموصلی .

وبنصيبين : أبا السريّ هاشم بن يحيى النصيبيني ، ومسدد بن يعقوب بن
إسحاق القلوسی .

وبكفرتوئي ، من ديار ربيعة : محمد بن الحسين بن أبي معشر السلمي .

وبسرغامرطا ، من ديار مضر : أبا بدر أحمد بن خالد بن عبد الملك بن
عبد الله بن مسرح الحرائي .

وبالرافقة : محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن فروخ البغدادی .

و بالرقّة : الحسين بن عبد الله بن يزيد القطان .
و بمَنبِج : عمر بن سعيد بن سنان الحافظ ، وصالح بن الأصبع بن عامر التنوخي ،
و بحلب : علي بن أحمد بن عمران الجرجاني .
و بالمصيصة : أبا طالب أحمد بن داود بن محسن بن هلال المصيصى .
و بأنطاكية : أبا علي وصيف بن عبد الله الحافظ .
و بطرسوس : محمد بن يزيد الدورقي ، وإبراهيم بن أبي أمية الطرسوسى .
و بأذنة : محمد بن علان الأذني .
و بصيّدَا : محمد بن أبي المعافى بن سليمان الصيّدَاوى .
و ببيروت : محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي المعروف بمكحول .
و بِحِمَصَ : محمد بن عبد الله بن الفضل الكلاعى الراهب .
و بدِمَشْقَ : أبا الحسن أحمد بن عمير بن حوصاء الحافظ ، وجعفر بن أحمد
ابن عاصم الأنصارى ، وأبا العباس حاجب بن أركين الفرغانى الحافظ .
و بالبيت المقدس : عبد الله بن محمد بن مسلم المقدسى الخطيب .
و بالرملة : أبا بكر محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى .
و بمصر : أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى ، وسعيد بن داود
ابن وردان المصرى ، وعلي بن الحسين بن سليمان المعدل .
وجماعة كثيرة من أهل هذه الطبقة سوى من ذكرناهم .
وروى عنه الحاكم أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الله بن منّده الأصبهاني ،
وأبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار الحافظ البخارى ، وأبو على منصور بن عبد الله
ابن خالد الذهلى الهروى ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعى ، وجعفر
ابن شعيب بن محمد السمرقندى ، والحسن بن منصور الإسبيجاني ، والحسن بن
محمد بن سهل الفارسى ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزنى ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خُذْشَام الشُّرُوطِي ، وجماعة كثيرة لا تحصى .

أخبرنا القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري الحرَسْتَانِي - إذنا - عن أبي القاسم زاهر بن طاهر الشَّحَاحِي عن أبي عثمان سعيد النُّبُخْتِي قال : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول :

أبو حاتم البستي القاضي كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، ومن عقلاء الرجال ، صنف ، فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يُسَبَقْ إليه ، وولى القضاء بسمرقند وغيرها من المدن . ثم ورد نيسابور سنة ٣٣٤ و حضرناه يوم الجمعة بعد الصلاة ، فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس ، وأنا أصغرهم سنًا - فقال : اسْتَمَلِّ ، فقلت : نعم ، فاستملت عليه ، ثم أقام عندنا ، وخرج إلى القضاء بنيسابور وغيرها ، وانصرف إلى وطنه ، وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته .

أخبرنا أبو المين زيد بن الحسن الكندي - شَفَاهَاً - قال : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي - إذنا - عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت - كتابة - قال : ومن الكتب التي تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعوها : مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البُستِي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر السَّجَّزِي ، ووقفني على تذكرة بأسمائها ، ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها ، لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته ، سوى ما عدلت عنه وطرحته .

فمن ذلك : كتاب الصحابة ، خمسة أجزاء ، وكتاب التابعين : اثنا عشر جزءا . وكتاب أتباع التابعين : خمسة عشر جزءا . وكتاب تبع الأتباع : سبعة عشر جزءا . وكتاب تبع التبعية : عشرون جزءا . وكتاب الفصل بين النقلة :

عشر أجزاء . وكتاب العلل، علل أوهام أصحاب التواريخ : عشرة أجزاء . وكتاب
 علل حديث الزهري . عشرون جزءا . وكتاب علل حديث مالك : عشرة أجزاء .
 وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه : عشرة أجزاء . وكتاب علل ما استند إليه
 أبو حنيفة : عشرة أجزاء . وكتاب ما خالف الثوري [فيه] شعبة : ثلاثة أجزاء .
 وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما انفرد به
 أهل مكة من السنن : عشرة أجزاء . وكتاب ما عند شعبة عن قتادة ، وليس عند
 سعيد عن قتادة : جزءان . وكتاب غرائب الأخبار : عشرون جزءا ، وكتاب
 ما أغرب [فيه] السكوفيون عن البصريين : عشرة أجزاء ، وكتاب ما أغرب
 البصريون [فيه] عن السكوفيين : ثمانية أجزاء . وكتاب أسامى من يُعرف
 بالكنية : ثلاثة أجزاء . وكتاب كُنَى من يعرف بالأسامى : ثلاثة أجزاء .
 وكتاب الفصل والوصل : عشرة أجزاء . وكتاب التمييز بين حديث النضر
 الحُدَّائى ، والنضر الحزاز : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك
 وأشعث بن سوار : جزءان . وكتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر
 ومنصور بن راذان : ثلاثة أجزاء . وكتاب الفصل بين مكحول الشامى
 ومكحول الأزدي : جزء . وكتاب موقوف مارفع : عشرة أجزاء . وكتاب
 آداب الرجال : جزءان . وكتاب ما أسند جُنادة عن عبادة : جزء . وكتاب
 الفصل بين حديث ثور بن زيد وثور بن يزيد : جزء . وكتاب ماجل
 عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر : جزءان . وكتاب ماجل شيبان سفيان ،
 أو سفيان شيبان : ثلاثة أجزاء . وكتاب مناقب مالك بن أنس : جزءان . وكتاب
 مناقب الشافعى : جزءان . وكتاب المعجم على المدن : عشرة أجزاء . وكتاب المقلِّين
 من الحجازيين : عشرة أجزاء ، وكتاب المقلِّين من العراقيين : عشرون جزءا ،
 وكتاب الأبواب المتفرقة : ثلاثون جزءا . وكتاب الجمع بين الأخبار المتضادة :

جزءان . وكتاب وصف المعدل والمعدل : جزءان . وكتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا . جزء . وكتاب وصف العلوم وأنواعها : ثلاثون جزءا . وكتاب الهداية إلى علم السنن ، قصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقه ، يذكر حديثاً ويترجم له ، ثم يذكر مَنْ ينفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أيّ بلد هو ؟ ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبته ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وتيقظه ، ثم يذكر مافي ذلك الحديث من الفقه والحكمة . فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما . وإن تضادّ لفظه في خبر آخر تلتطف للجمع بينهما حتى يعلم مافي كل خبر من صناعة الفقه والحديث معاً . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر - يعني السّجزي - فقلت له : أكل هذه الكتب موجودة عندهم ، ومقدور عليها ببلادكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والتّزّر الحقيّر . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبّل كتبه ووقفها ، وجعلها في دار رسمها بها . فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ ، ويتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ، ويجلدوها ، إحرازاً لها ، ولا أحسب المانع من ذلك إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بمحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم عنه ، وعدم بصيرتهم به . والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام : وحصل عندي من كتبه بالإسناد المتصل سماعاً كتاب التقسيم والأنواع . خمس مجلدات ، قرأتها على أبي القاسم الشحامى عن أبي الحسن البجاني عن أبي هارون الزوزنى عنه . وكتاب روضة العقلاء

[وهو هذا] قرأته على حنبل السَّجْزِي عن أبي محمد التوني عن أبي عبد الله الشروطى عنه .

وحصل عندي من تصانيفه غير مسندة عدة كتب ، مثل كتاب الهداية إلى علم السنن ، من أوله قدر مجلدين .

وله - وهو أشهر من هذه كلها - كتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، أدرك عليه في كتاب التقاسيم . فقال : في أربع ركعات يصلّيها الإنسان ستائة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجناها بفصولها في كتاب صفة الصلاة ، فأغنى ذلك عن نظمها في هذا النوع من هذا الكتاب .

قال أبو سعد : سمعت أبا بكر وجيه بن طاهر الخطيب ، بقصر الريح ، سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي ، سمعت أبا بشر عبد الله بن محمد بن هارون ، سمعت عبد الله بن محمد الاستراباذي يقول : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين ، وحفاظ الآثار والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن .

أخبرتني الحرة زينب الشعرية - إذنا - عن زاهر بن طاهر ، عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتنفة ، ولهم جرايات يستنفقونها ، داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصي ، سلمها إليه ليبيدها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة ، من غير أن يخرجها منها ، شكر الله له عنايته في تصنيفها ، وأحسن مثوبته على جميل نيته في أمرها بفضل ورأفته .

وأخبرني القاضي أبو القاسم الحرستاني في كتابه ، قال : أخبرني وجيه بن طاهر الخطيب بقصر الريح - إذنا - سمعت الحسن بن أحمد الحافظ ، سمعت أبا بشر النيسابوري يقول : سمعت أبا سعيد الإدريسي يقول : سمعت أبا حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابوري - الرجل الصالح بسمرقند - يقول : كنا مع أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في بعض الطريق من نيسابور ، وكان معنا أبو حاتم البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحاق بن خزيمة : يا بابر تدع عني ، لا تؤذيني ، أو كلمة نحوها ، فكتب أبو حاتم مقالته ، فقبل له : تكتب هذا ؟ فقال : نعم أكتب كل شيء يقوله .

أخبرني الخطيب أبو الحسن السديدي - مشافهة بمرور - قال : أخبرني أبو سعد - إذنا - أخبرنا أبو علي إسماعيل بن أحمد بن الحسين البيهقي - إجازة - سمعت والدي سمعت الحاكم أبا عبد الله يقول : سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ - وذكر كتاب الجروحين لأبي حاتم البستي ، فقال : كان لعمر بن سعيد ابن سنان المنبجي ابن رجل في طلب الحديث ، وأدرك هؤلاء الشيوخ ، وهذا تصنيفه - وأساء القول في أبي حاتم .

قال الحاكم : أبو حاتم كبير في العلوم ، وكان يحسد لفضله وتقدمه .

ونقلت من خط صديقنا الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي الحديثي - وذكر أنه نقله من خط أبي الفضل أحمد بن علي بن عمر الساياني البنيكندی الحافظ من كتاب شيوخه - وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين - قال : وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو سنة ٣٢٩ ، فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه ، فإنه كذاب . وقد صنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في القرامطة حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن

يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالاً في البزازين ، حتى اشترى له ثياباً بخمسة آلاف درهم إلى شهرين وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس .
قال : وسمعت السليمانى الحافظ بنيسابور قال لى كتبت عن أبى حاتم البستى ؟
فقلت : نعم ، فقال : إياك أن تروى عنه ، فإنه جاءنى فكتب مصنفاتى ، وروى عن مشايخى ، ثم إنه خرج إلى سجستان بكتابه فى القرامطة . إلى ابن بابو ، حتى قبله وقلده أعمال سجستان فمات به .

قال السليمانى : فرأيت وجهه وجه الكذابين ، وكلامه كلام الكذابين .
وكان يقول : يابنى : اكتب : أبو حاتم محمد بن حبان البستى إمام الأئمة ، حتى كتبت بين يديه ، ثم محوته ، قال أبو يعقوب إسحاق بن أبى إسحاق القراب : سمعت أحمد بن محمد بن صالح السجستانى يقول : توفى أبو حاتم محمد ابن أحمد بن حبان سنة ٣٥٤ .

وعن شيخنا أبى القاسم الحرسى عن أبى القاسم الشحامى عن أبى عثمان سعيد بن محمد البحرى سمعت محمد بن عبد الله الضبى يقول : توفى أبو حاتم البستى ليلة الجمعة ثمان ليالٍ بقين من شوال سنة ٣٥٤ .
ودفن بعد صلاة الجمعة فى الصفة التى ابتناها بمدينة بُسْت بقرب داره .

وذكر أبو عبد الله الغنjar الحافظ فى تاريخ بخارى : أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ بُسْت معروف إلى الآن يزار ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببُست .

مسند الكتاب إلى المؤلف

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوى أدام الله تأييده ! وأجزل من كل خير مزيده ، في شهور سنة اثنتين وستائة .

قال : حدثنا الأمير القاضى الإمام عمدة الدين معين الإسلام ناصر السنة أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحسين بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد البوسنجي من لفظه ببوسنج^(١) في شهور سنة اثنتين وستين وخمسة .

قال : أخبرنا الشيخ الإمام العالم الزاهد عفيف الدين أبو جعفر حنبل بن عليّ ابن الحسين البخاريّ الصوفي السنيّ رحمه الله .

قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد التوني^(٢) سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الشُّرطى .

قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان البُسْتِيّ رضى الله عنه قال :

(١) بالسين المهملة من قرى ترمذ ، والشين المعجمة بليدة من نواحي هراة .

(٢) التونى : نسبة إلى تون ، مدينة من ناحية قهستان قرب قائن ، حكاه ياقوت

ونسب إليها أبا محمد هذا ، وذكر روايته عن شيخه الشروطى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفرد بوحداية الألوهية ، المتعزز بعظمة الربوبية القائم على نفوس العالم بأجلها ، والعالم بتقلبها وأحوالها ، المانّ عليهم بتواتر آلائه ، المتفضل عليهم بسوانغ نعمائه الذى أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير ، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير ، فضت فيهم بقدرته مشيئته ، ونفذت فيهم بعزته إرادته ، فألهمهم حسن الإطلاق ، ورغب فيهم تشعب الأخلاق ، فهم على طبقات أقدارهم يمشون ، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون ، وفيما قضى وقدر عليهم يهيئون و (٢٣ : ٥٣ كل حزب بما لديهم فرحون) .

وأشهد أن لا إله إلا الله فاطر السموات العلا ، ومنشىء الأرضين والثرى ، لامعقب حكمه ولا راد لقضائه (٢١ : ٢٣ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .
وأشهد أن محمداً عبده الممجى ، ورسوله المرتضى ، بعثه بالنور المضي ، والأمر المرضي ، على حين فتره من الرسل . ودروس من السبل ، فدمغ به الطغيان ، وأكمل به الإيمان ، وأظهره على كل الأديان ، وقع به أهل الأوثان ، فصلى الله عليه وسلم مادار في السماء فلك ، وما سبح في الملكوت ملك ، وعلى آله أجمعين !

أما بعد ، فإن الزمان قد تبين للعاقل تغيره ، ولاح للبيب تبدله ، حيث يبس ضرعه بعد الغزاة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد العذوبة ، فنبغ فيه أقوام يدعون التمكن من العقل باستعمال ضد ما يوجب العقل من شهوات صدورهم ، وترك ما يوجب نفس العقل بهجسات

قلوبهم ، جعلوا أساس العقل الذى يعتقدون عليه عند العضلات : النفاق والمداهنة ، وفروعه عند ورود الثائبات حُسن اللباس والفصاحة ، وزعموا أن مَنْ أَحْكَمَ هذه الأشياء الأربع فهو العاقل ، الذى يجب الاقتداء به ، ومن تخلف عن إحكامها فهو الأنوك^(١) الذى يجب الإزورار عنه^(٢) .

فلما رأيت الرّعاع^(٣) من العالم يغترون بأفعالهم والهمج من الناس يقتدون بأمثالهم ، دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف ، يشتمل متضمنه على معنى لطيف ، مما يحتاج إليه العقلاء فى أيامهم ، من معرفة الأحوال فى أوقاتهم ، ليكون كال تذكرة لذوى الحجب^(٤) عند حضرتهم ، وكالمعين لأولى النهى عند غيبتهم ، يفوق العالم به أقرانه ، والحافظ له أترابه ، يكون النديم الصادق للعاقل فى الخلوات ، والمؤنس الحافظ له فى الفلوات ، إن خص به من يحب من إخوانه ، لم يفتقده من ديوانه ، وإن استبد به دون أوليائه ، فاق به على نظرائه .

أُبين فيه ما يُجسّن للعاقل استعماله من الخصال الحمودة ، ويقبح به إتيانه من الخلال المذمومة ، مع القصد فى لزوم الاختصار ، وترك الإمعان فى الإكثار ، ليخف على حامله ، وتعيه أذن مستمعه ، لأن فنون الأخبار وأنواع الأشعار ، إذا استقصى المجتهد فى إطالتها ، فليس يرجو النهاية إلى غايتها ، ومن لم يرج التمكن من الكمال فى الإكثار ، كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار .

والله الموفق للسداد ، والمهّدى إلى الرشاد ، وإياه أسأل إصلاح الأسرار ، وترك العقابة على الأوزار ، إنه جواد كريم ، رءوف رحيم .

(١) الأنوك : أى الأحمق

(٢) الإزورار : الابتلاء والتباعد

(٣) الرعاع : أى الجهلة والبهائم (٤) الحجبى - بالكسر مقصوراً - العقل .

والنهي : جمع نهي - بالضم - وهى العقل أيضاً

ذكر الحث على لزوم العقل

وصفة العاقل اللبيب

حدثنا محمد بن يوسف بن مطر حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبَّوْيه حدثنا أحمد بن يونس حدثنا فضيل بن عياض عن محمد بن ثور عن مَعْمَرٍ عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفاسفها ^(١) » .

قال أبو حاتم : لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم خبراً صحيحاً في العقل ؛ لأنَّ أبان بن أبي عياش ، وسلمة بن وردان ، وعمير بن عمران ، وعلي بن زيد ، والحسن بن دينار ، وعبد بن كثير ، وميسرة بن عبد ربه ؛ وداود ابن الحبر ، ومنصور بن صفر وذويهم ، ليسوا بمن احتج بأخبارهم ، فأخرج ما عندهم من الأحاديث في العقل ^(٢) .

وإن محبة المرء المكارم من الأخلاق وكرهته سفاسفها هو نفس العقل . فالعقل به يكون الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينفي الفاقة ، ولا مال أفضل منه ، ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله .

والعقل : اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب ، والعلم باجتناب الانطأ ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أدبياً ، ثم أريباً ، ثم لبيباً ، ثم عاقلاً ، كما أن الرجل إذا دخل في أول حد الدهاء قيل له : شيطان ، فإذا عتأ في الطغيان قيل : مارِد . فإذا زاد على ذلك قيل : عبقري ^(٣) فإذا جمع إلى خُبثه شدة شر قيل : عقرت

(١) سفاسفها : أي دنيئها وخسيسها (٢) أي أن هؤلاء الضعفاء والمجروحين رَوَوْا أحاديث في فضل العقل لا يراها المؤلف حجة لسقوط رواياتها

(٣) عبقري : نسبة إلى عبقر ، وهو مسكن الجن في زعم العرب ، وهم ينسبون كل ما يتعاضمونه ويرونه فوق متناولهم إلى عبقر .

وكذلك الجاهل ، يقال له في أول درجته : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحق .

وأفضل مواهب الله لعباده العقل ، ولقد أحسن الذي يقول :

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيش الفتي في الناس بالعقل ، إنه على العقل يجري علمه وتجاربه
يزيد الفتي في الناس بجدّة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا أحمد بن سيار حدثنا حبيب الجلاب قال : قيل لابن المبارك « ماخير ما أعطى الرجل ؟ قال : غريزة عقل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح يستشيره ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل » أخبرنا محمد بن داود الرازي حدثنا محمد بن حميد حدثنا ابن المبارك قال « سئل عقيل : ما أفضل ما أعطى العبد ؟ قال : غريزة عقل . قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأدب حسن ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فأخ شقيق يستشيره ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فطول صمت ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فموت عاجل » .

قال أبو حاتم : العقل نوعان : مطبوع ومسموع ، فالمطبوع منهما كالأرض ، والمسموع كالبذر والماء . ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبهه من رقذته ، ويطلقه من مكانه ، يستخرج البذر والماء ، مافي قعور الأرض من كثرة الربيع .

فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض ، والعقل المسموع من ظاهره كتدلى ثمرة الشجرة من فروعها .

أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

رَأَيْتَ الْعَقْلَ نَوْعَيْنِ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ^(١)

وَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكْ مَطْبُوعٌ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضُوءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ

أَخْبَرَنَا الْقَطَّانُ بِالرِّقَّةِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ مَرْوَانَ حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَّانٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ « يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، مَا أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ ؟ » قَالَ : الْعَقْلُ عَنْ اللَّهِ .

أَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنْعَانِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَكَرَاشٍ :

يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ

يَشِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ خَفَةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بِمَا أَحْيَا عَقْلَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَكْلَفَ^(٢) مِنْهُ بِمَا أَحْيَا جَسَدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ ، لِأَنَّ قُوَّةَ الْأَجْسَادِ الْمَطَاعِمَ ، وَقُوَّةَ الْعَقْلِ الْحَكْمَ ، فَكَمَا أَنَّ الْأَجْسَادَ تَمُوتُ عِنْدَ فَقْدِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَكَذَلِكَ الْعُقُولُ إِذَا فَقَدَتْ قُوَّتَهَا مِنَ الْحِكْمَةِ مَاتَتْ .

وَالتَّقَلُّبُ فِي الْأُمُصَارِ وَالْإِعْتِبَارِ بِمَخْلُقِ اللَّهِ مِمَّا يَزِيدُ الْمَرْءَ عَقْلًا ، وَإِنْ عَدِمَ الْمَالُ فِي تَقْلِبِهِ .

أَنْشَدَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقَاتِلِيُّ :

إِنْ ذَا الْعَقْلُ يَرَى غَنَمًا لَهُ عَدَمَ الْمَالِ ، إِذَا مَا الْعَقْلُ صَحَّ

مَعَ الْبُؤْسِ يُعْذَرُ سُبَّةً إِنْ وَفَّاءَ الْعَقْلُ ، وَإِنْ دِينَ صُلِحَ

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُسَيْبِ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ حَاتِمَ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ « مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ عَقْلًا عَبْدًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَا » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْعَقْلُ دَوَاءُ الْقُلُوبِ ، وَمَطْيَةُ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَبَذَرُ حِرَاءَةِ الْآخِرَةِ ،

(١) حَفْظِي * رَأَيْتَ الْعَقْلَ عَقْلَيْنِ *

(٢) أَكْلَفَ : أَيُّ أَشَدَّ كَلْفًا ، وَالْكَلْفُ : الْحَبَّةُ

وتناج المؤمنين في الدنيا ، وعدَّته في وقوع النوائب ، ومن عدم العقل لم يزد السُلطان عزاً ، ولا المال يرفعه قدراً ، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه ، فكما أن أشد الزمَّانة الجهل ، كذلك أشد الفاقة عدم العقل .

والعقل والهوى متعاديان ، فالواجب على المرء : أن يكون لرأيه مُسَعِّفاً^(١) ، وهواه مسوفاً^(٢) . فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه ؛ لأن في مجانبته الهوى إصلاح السرائر ، وبالعقل تصلح الضمائر .

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري ثنا^(٣) ثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني ، قال : قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب مُعَرِّ دهرأ « أخبرني بأحسن شيء رأيته ، قال : عقل مُطَلِّب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة » .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا تم عقل المرء تمت أموره وتمت أياديه ، وتم بناؤه
فإن لم يكن عقل تبين نقصه ولو كان ذا مال كثيراً عطاؤه

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو كامل الجحدري^(٤) حدثنا عمران بن خالد الخزازي قال : سمعت الحسن^(٥) يقول « ماتم دينُ عبد قطُّ حتى يتم عقله » . قال أبو حاتم : أفضل ذوى العقول منزلة أدومهم لنفسه محاسبة ، وأقلهم عنها فترة .

فبالعقل تعمر القلوب ، كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل ، ورأس العقل الاختيار ، ولو صور العقل صورة لأظلمت معه الشمس لنوره ، فقرب العاقل مرجو خيره على كل حال ، كما أن أقرب الجاهل مخوف شره على كل حال .

(١) مسعفا : معينا مساعدا (٢) التسويف : التأخير عن كسل (٣) يياض

بالأصل (٤) اسمه : فضيل بن حسين (٥) هو ابن أبي الحسن البصري

ولا يجب للعاقل أن يغم ؛ لأن الغم لا ينفع . وكثرته تُزْرِى بالعقل ،
ولا أن يحزن ؛ لأن الحزن لا يردُّ المَرْزِئة^(١) . ودوامه ينقص العقل .

والعاقل يحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل أن يقع فيه ، فإذا
وقع فيه رضى وصبر ، والعاقل لا يخيف أحداً أبداً ما استطاع ، ولا يقيم على خوف
وهو يجد منه مذهباً ، وإذا خاف على نفسه الهوان طابت نفسه عما يملك من
الطارف والتالد^(٢) ، مع لزوم العفاف ، إذ هو قُطْبُ شُعْبِ العقل .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

أولست تأمر بالعفاف وبالتقى وإليه آل الأمر حين يؤول ؟
فإن استطعت فخذ بعقلك فضلة إن العقول يرى لها تفضيل
أخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج حدثنا محمد بن علي الطاحي
حدثنا عمرو بن عثمان الخزاز الحراي حدثنا مفضل بن صالح قال علي^(٣) : « لما
أهبط الله آدم من الجنة أتاه جبريل ، فقال : إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة ،
فاختر واحدة ، ودع اثنين . فقال آدم : وما الثلاث ؟ قال : الحياء والدين
والعقل ، فقال آدم : فإني قد اخترت العقل . قال : فقال جبريل للحياء والدين :
انصرفا ودعاه ، فقالا : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان . ثم عرج
جبريل وقال : شأنكم »

قال أبو حاتم : من حسن عقله وقبح وجهه فقد أفقد فضائل نفسه قبائح
وجهه ، ومن حسن وجهه وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه ،
فلا يجب للعاقل أن يغم إذا كان معدماً^(٤) ، لأن العاقل قد يرجى له الغنى ،
[ولا] يوثق للجاهل المكثّر بقاء ماله ؛ ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله .

(١) المصيبة التي ترزأ : أي تثقل الكاهل فينوء بها (٢) الجديد والقديم

(٣) أي ابن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين

(٤) أي فقيراً .

وآفة العقل الصَّلَفُ^(١) والبلاء المُردى ، والرِخاء المفرط ؛ لأنَّ البَلَايا إذا تَوَاتَرَتْ عليه أَهْلَكَتْ عقله ، والرِخاء إذا تَوَاتَرَ عليه أَبْطَرَهُ ، والعدو العاقل خير للمرء من الصديق الجاهل .

أنشدني علي بن محمد البَسَّامى :

عدوك ذو العقل أبقي عليك من الجاهل الوامق الأحق^(٢)
وذو العقل يأتي جميل الأمور ويقصد للأرشد الأرفق
أخبرنا محمد بن الحسين بن قتيبة بعسقلان حدثنا ابن أبي السري حدثنا
داود بن الجراح وضمرة بن ربيعة عن خلود بن دعلج قال : سمعت معاوية بن
قرة يقول « إن القوم ليحجون ويعتمرون ، ويجاهدون ويصلون ، ويصومون ،
وما يُعْطَوْنَ يوم القيامة إلا على قدر عقولهم » .

سمعت محمد بن محمود بن عدى النسائي يقول : سمعت علي بن خشرم يقول :
سمعت حفص بن حميد الأَكَّاف يقول : « العاقل لا يَغْنُ ، والورع لا يَغْنِ »
قال أبو حاتم : هذه لفظة جامعة ، تشتمل على معان شتى ، فكما لا ينفع
الاجتهاد بغير توفيق ، ولا الجمال بغير حلاوة ، ولا السرور بغير أمن ، كذلك
لا ينفع العقل بغير ورع ، ولا الحفظ بغير عمل ، وكما أن السرور تبع للأمن ،
والقربة تبع للمودة ، كذلك المروءات كلها تبع للعقل .

وعقول كل قوم قدر زمانهم ، فالعاقل يختار من العمر أحسنه وإن قل ،
فإنه خير من الحياة النكدية وإن طالت ، والعقل الموعى — غير المنتفع به —
كالأرض الطيبة الخراب .

والعاقل لا يبتدىء الكلام إلا أن يُسأل ، ولا يكثر التماري^(٣) إلا عند
القبول ، ولا يسرع الجواب إلا عند التثبت .

(١) أى الكبر (٢) الوامق : الحب ، ومق يمق مقة : أحب .

(٣) التمارى : أى البحث والمحاورة .

والعاقِل لا يستحقّر أحداً ؛ لأن من استحقّر السلطان أفسد ديناه ، ومن استحقّر الأتقياء أهلك دينه ، ومن استحقّر الإخوان أفنى مروءته ، ومن استحقّر العام^(١) أذهب صيانتَه .

والعاقِل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ، وإن من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها ، وما أنفع التجارب للمبتدى .

أنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصارى :

ألم تر أن العقل زين لأهله وأن كمال العقل طولُ التجارب
وقد وعظ الماضي من الدهر ذا النهى^(٢) ويزداد في أيامه بالتجارب

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحكم ابن عبد الله قال « كانت العرب تقول : العقل التجارب ، والحزم سوء الظن » قال أبو حاتم : لا يكون المرء بالنصيب في الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب والعاقِل يكون حسنَ المآخذ في صغره ، صحيح الاعتبار في صباه ، حسن العفة عند إدراكه ، رضى الشئائِل في شبابه ، ذا الرأى والحزم في كهولته يضع نفسه دون غايته برتوة^(٣) . ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية في كل شيء صار إلى النقص .

ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتخال^(٤) ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه أخاف أن يكون حتفه^(٥) في أقرب الأشياء إليه .

(١) العام : أى العوام والجمهور (٢) النهى : جمع نهية : أى العقل .

(٣) فى القاموس - الرتوة : بالتاء المثناة - الخطوة (٤) الانتخال : الاستخلاص

والتحصين من نخل الطحين لأخذ حوارِه (٥) حتفه : أى هلاكه .

ورأس العقل : المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون .

والواجب على العاقل أن يحتنب أشياء ثلاثة ، فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يَبِيسِ العَوْسَج : الاستغراق في الضحك ، وكثرة التمتي ، وسوء التثبت ؛ لأن العاقل لا يتكلف مالا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعدُّ إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء إلا بقدر ما عنده من الغناء ^(١) ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى ^(٢) عليه نفعه منه .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمعرفته رفده ومحضره ، واعدوه عدله وبره ، وللعامة بشره وتحيته ، ولا يستعين إلا بمن يحب أن يظفر بمحاجته ، ولا يحدث إلا من يرى حديثه مغنيا ، إلا أن يغلبه الاضطراب عليه ، ولا يدعى ما يحسن من العلم لأن فضائل الرجال ليست ما ادَّعَوْها ولكن ما نسبها الناس إليهم ، ولا يبالي بمافاتة من حطَّام الدنيا ، مع مارزق من الحظ في العقل .

أنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي :

فمن كان ذا عقل ، ولم يك ذاغى يكون كذى رَجُلٍ ، وليست له نَعْلُ

ومن كان ذا مال ، ولم يك ذا حِجَى يكون كذى نعل ، وليست له رجل

قال أبو حاتم : كفى بالعاقل فضلا وإن عدم المال : بأن تُصَرَّف مساوى أعماله إلى المحاسن ، فتجعل البلادة منه حِلما ، والمكر عقلا ، والهدر ^(٣) بلاغة ، والحدة ذكاء ، والعي صمتا ، والعقوبة تأديبا ، والجرأة عزما ، والجهن تأنيا ، والإسراف جودا ، والإمساك تقديرا ، فلا تكاد ترى عاقلا إلا موقرا للرؤساء ، ناصحا للأقران ، موافقا للأخوان ، متحرزا من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع للأحباب ، ولا يتحرش بالأشرار ، ولا يبخل في الغنى ، ولا يشره في الفاقة ، ولا ينقاد للهوى ، ولا يجمع في الغضب ، ولا يبرح في الولاية ، ولا يتمنى مالا يجيد ، ولا يكتنز إذا وجد ، ولا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في مرء ،

(١) الغناء : النفع (٢) أجدى : أى عاد عليه بالنفع (٣) الهدر : كثرة الكلام

ولا يُدلى بحجة حتى يرى قاضياً ، ولا يشكو الوجع إلا عند من يرجو عنده البرء ،
ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ؛ لأن من مدح رجلاً بما ليس فيه فقد بالغ في هجائه ،
ومن قبل المدح بما لم يفعله فقد استهدف للسخرية .

والعاقِل يكرم على غير مال كالأسد يُهاب وإن كان رابضاً^(١) .

وكلام العاقِل يعتدل كاعتدال جسد الصحيح ، وكلام الجاهل يتناقض
كاختلاط جسد المريض .

وكلام العاقِل وإن كان نَزْراً^(٢) حظوة عظيمة ، كما أن مقارفة المأثم وإن
كان نَزْراً مصيبة جليلة .

ومن العقل التثبت في كل عمل قبل الدخول فيه .

وآفة العقل العجب ، بل على العاقِل أن يوطن نفسه على الصبر على جار
السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء ، فإن ذلك مما لا يخطئه على ممر الأيام .

ولا يجب للعاقِل أن يحب أن يسمى به ، لأن من عرف بالدهاء حذر ، ومن
عقل العاقِل دفن عقله ما استطاع ، لأن البذر وإن خفي في الأرض أياً ما فإنه لا بد
ظاهر في أوانه ، وكذلك العاقِل لا يخفي عقله وإن أخفى ذلك جهده .

وأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

إن المكارم أبوابٌ مُصَنَّفَةٌ فالعقل أولها والصمت ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها ، والجود خامسها ، والصدق سادسها^(٣)
والصبر سابعها ، والشكر ثامنها واللين تاسعها ، والصدق عاشيها

أخبرنا عمر بن عبد الله بن عمر الهجري بالآلة أحدثنا عبد الله بن خبيق حدثنا
موسى بن طريف قال شعيب بن حرب : قال لى شعبة « عقولنا قليلة ، فإذا
جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل ، وإنى لأرى الرجل يجلس

(١) ربض الأسد : جثم (٢) نَزْراً : قليلاً (٣) سادسها : لغة في سادسها .

مع من هو أقل عقلاً منه فأَمَقَّتْهُ ^(١) .

قال أبو حاتم : أول خصال الخير للمرء في الدنيا العقل ، وهو من أفضل ما وهب الله لعباده فلا يجب أن يدنس نعمة الله بمجالسة من هو بضدها قائم .
والواجب على العاقل : أن يكون حسن السمّت ^(٢) طويل الصمت ، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء ، كما أن سوء السمّت وترك الصمت من شيم الأشقياء .
والعاقل لا يطول أمله ؛ لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمله .

والعاقل لا يقاتل من غير عُدّة ، ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب ، وتمضى الأمور ، وتعمّر الدنيا .
والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع ، وما لم يصب منها إلى ما قد أصاب ، وما بقي من عمره بما فنى ، وما لم ينل منها بما قد أوتى ، ولا يتكلم على المال وإن كان في تمام الحال ، لأن المال يحل ويرتحل ، والعقل يقيم ولا يبرح ، ولو أن العقل شجرة لكانت من أحسن الشجر ، كما أن الصبر لو كان ثمرة لكان من أكرم الثمر .
والذى يزداد به العاقل من نماء عقله ، هو التقرب من أشكاله ، والتباعد من أضداده .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد الثعلبي حدثنا محمد بن أبي مالك الغزى ، قال : سمعت أبي يقول « جالسوا الألباء ^(٣) .
أصدقاء كانوا أو أعداء ؛ فإن العقول تلقح ^(٤) العقول » .
قال أبو حاتم : مجالسة العقلاء لا تخلو من أحد معنيين : إما تذكر الحالة

(١) المقت : أشد البغض (٢) السمّت : أى الهيئة والمنظر .

(٣) الألباء : جمع لبيب ، واللييب : ذو اللب وهو العقل .

(٤) أى : تفيدها وتنورها .

التي يحتاج العاقل إلى الانتباه لها ، أو الإفادة بالشئ الخطير الذي يحتاج الجاهل إلى معرفتها .

فقرب العاقل غُنى لأشكاله وعبرة لأضداده ، على الأحوال كلها .
ولا يجب لمن تسمى به أن يتدلل إلا على من يحتمل دلاله ، ويقبل إلا على من يجب إقباله ، ولو كان للعقل أبوان لكان أحدهما الصبر ، والآخر الثبوت .
جعلنا الله ممن رُكِّبَ فيه حسن وجود العقل ، فسلك بتمام النعم مسلك الخصال التي تقربه إلى ربه ، في دارى الأمد والأبد ، إنه الفعال لما يريد .

ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله

أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن زهير - بئسرت - حدثنا عمر بن شبة حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا شعبة عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كره الله منك شيئاً فلا تفعله إذا خلوت » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل الحازم أن يعلم أن للعقل شعباً من المأمورات والمزجورات ، لا بد له من معرفتها ، واستعمالها في أوقاتها ، لمباينة العام ، وأوباش الناس بها .

وإني ذاكر في هذا الكتاب - إن الله قضى ذلك وشاء - خمسين شعباً من شعب العقل من المأمورات والمزجورات ، ليكون الكتاب مشتملاً على خمسين باباً ، بناء كل باب منها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتكلم في عقيب كل سنة منها بحسب ما يمن الله به من التوفيق لذلك إن شاء الله .
فأول شعب العقل هو لزوم تقوى الله ، وإصلاح السريرة ، لأن من صلح جَوَانِيهِ أصلح الله بَرَّانِيهِ ، ومن فسد جَوَانِيهِ أفسد الله بَرَّانِيهِ .
ولقد أحسن الذي يقول :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ، ولكن قل : على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

ألم تر أنَّ اليومَ أسرعُ ذاهبٍ وأنَّ غدًا للنَّاظرينَ قريبٌ ؟
أخبرنا عبد الله بن محمود بن سليمان السعديّ حدثنا شعبة بن هبيرة حدثنا
جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال « اتَّخَذَ طاعةَ الله تجارةً تأتلك الأرباح
من غير بضاعة » .

قال أبو حاتم : قطبُ الطاعات للمرء في الدنيا : هو إصلاح السرائر ، وترك
إفساد الضمائر .

والواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريره ، والقيام بحراسة قلبه عند
إقباله وإدباره ، وحركته وسكونه ؛ لأنَّ تسكُّدَ الأوقات وتنغُّصَ اللذات
لا يكون إلا عند فسادِه .

ولم يكن لإصلاح السرائر سبب يؤدي العاقل إلى استعماله إلا إظهار الله
عليه كيفية سريره ، خيراً كان أو شراً ، لكان الواجبُ عليه قِلَّةُ الإغضاء
عن تعاهدها .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

يُلبسُ اللهُ في العلانية العبدَ الذي كان يَخْتَفِي في السريرة
حَسَنًا كان ، أَوْ قَبِيحًا سَيَبْدَى كُلُّ مَا كان شَمًّا من كُلِّ سِيَرَةٍ
فَاسْتَحِ اللهُ أَنْ تُرَأَى لِلنَّاسِ فَإِنَّ الزَّيَاءَ بئْسَ الذَّخِيرَةُ
أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا عُبَيْدَةُ بن مُحمَّد عن
منصور عن عطاء بن أبي رباح عن أبيه قال : قال كعب « والذي فلقَ البحر
لبنى إسرائيل ، إني لأجد في التوراة مكتوبًا : يا ابن آدم ، اتَّقِ رَبَّكَ ، وَصِلْ
رَحِمَكَ ؛ وَبِرِّ وَالِدَيْكَ ؛ يُمِدَّ لَكَ فِي عُمُرِكَ ؛ وَيُسِّرْ لَكَ يُسْرَكَ . وَيَصْرِفْ
غَنَكَ عُسْرَكَ » .

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق حدثنا أبي
حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن مالك بن دينار قال « إن القلب إذا لم يكن

فيه حزن خَرِبَ ، كما يَخْرِبُ البيت إذا لم يكن فيه ساكن ، وإن قلوب الأبرار
تَعَلَّى بأعمال البرِّ ، وإن قلوب الفُجَّار تعلَّى بأعمال الفجور . والله يرى همومكم ،
فانظروا ما همومكم ؟ رحمكم الله .

أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا أعلنتُ أمراً حسناً فليكنَ أحسنَ منه مأسراً
فسرُّ الخيرِ مَوْسُومٌ به ومسرُّ الشرِّ مَوْسُومٌ بشرُّ

أخبرنا أبو يعلى حدثنا شريح بن يونس حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن
إبراهيم قال « إن الرجل ليتكلم بالكلام ينوى فيه الخير . فيلقى الله في قلوب
العباد ، حتى يقولوا : ما أراد بكلامه هذا إلا الخير ، وإن الرجل ليتكلم بالكلام
الشر لا ينوى فيه الخير ، فيلقى الله في قلوب الناس حتى يقولوا : ما أراد بكلامه
هذا إلا الشر » .

حدثنا محمد بن عمر الهمداني حدثنا القطواني حدثنا سيَّار حدثنا حماد بن زيد
عن أيوب قال : سمعت الحسن يقول « إنكم وقوفٌ هاهنا تنتظرون آجالكم
وعند الموت تَلْقَوْنَ الخير ، فخذوا مما عندكم لما بعدكم » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يأخذ مما عنده لما بعده من التقوى
والعمل الصالح : بإصلاح السريرة ، ونفَى الفساد عن خَلَل الطاعات عند إجابة
القلب وإيائه . فإذا كان صحة السبيل في إقباله موجوداً أنفذه بأعضائه وإن كان
عدم وجوده موجوداً كبجه عنها ، لأن بصفاء القلب تصفو الأعضاء .

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

وإنَّ لمرأاً لم يَصِفُ اللهُ قلبه لَنِي وَحْشَةً من كُلِّ نظرة ناظر
وإنَّ امرأاً لم يَرْتَحِلْ ببضاعة إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإنَّ امرأاً ابتاع دنياه بدينه لمنقلبٍ منها بصفقة خاسر

أخبرنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا أبو نصر التمار

حدثنا أبو الأشهب عن خالد الربعي قال « كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً ، فأمره سيده أن يذبح شاة ، فذبح شاة ، فقال : ائتني بأطيب مُضغَتين في الشاة ، فأثاه باللسان والقلب ، ثم مكث أياماً ، فقال : اذبح شاة ، فذبح ، فقال : ائتني بأخبث مضغتين في الشاة ، فألقى إليه اللسان والقلب ، فقال له سيده : قلت لك حين ذبحت ائتني بأطيب مضغتين في الشاة ، فأتيتني باللسان والقلب ، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة : ائتني بأخبث مضغتين في الشاة ، فألقيت اللسان والقلب ؟ فقال : إنه لا أطيّب منها إذا طابا ، ولا أخبث منها إذا خبثا . »

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وما المرء إلا قلبه ولسانه إذا حصلت أخباره ومدآخله
إذا ما رداء المرء لم يكُ طاهراً فميهات أن يُنقيه بالماء غاسله
وما كلُّ من تخشى ينالك شره وما كلُّ ما أملتَه أنت نائله

أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكّين - بواسط - حدثنا عبد الحميد بن محمد بن مُستام حدثنا محمد بن يزيد حدثنا صالح بن حسان المؤذن قال « دخلت على عمر ابن عبد العزيز ، فسمعتة يقول : لا يتقى الله عبدٌ حتى يجدَ طعمَ الذل . »

قال أبو حاتم : العاقل يفتش قلبه في ورود الأوقات ، ويكبح نفسه عن جميع المنجورات ، ويأخذها بالقيام في أنواع المأمورات ، ولزوم الانتباه عند ورود الفترة في الحالات ، ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد منه صحة التثبت في الأفعال .

أنشدني علي بن محمد البسامي :

وإذا بحثت عن التقيِّ وجدته رجلاً يصدّقُ قوله بفعال
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فidahُ بين مكارمٍ ومَعَال
وعلى التقيِّ إذا تراسخ في التقيِّ تاجان : تاجُ سَكينة ، وجمال
وإذا تناسبت الرجالُ ، فما أرى نسباً يكون كصالح الأعمال

أخبرنا القطان بالرقّة حدثنا عبد الله بن رومي البزاز عن أبيه قال : قلما دخلت على إسحاق بن أبي ربيع الرافقي إلا وهو يتمثل بهذا البيت :

خيرٌ من المال والأَيَّامُ مقبلةٌ جَيِّبٌ نَقِيٌّ من الآثامِ والدَّسِّ (١)

أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أخبرنا الربيع عن الحسن قال « أفضل العمل الورع والتفكر »

قال أبو حاتم : العاقل يدبر أحواله بصحة الورع ، ويمضى لسانه بلزوم التقوى ، لأن ذلك أول شعب العقل ، وليس إليه سبيل إلا بصلاح القلب .

ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل - على ما ذكرها في كتابنا هذا إن الله قضى ذلك وشاء - كأن قلبه شُرِّحَ بسكاكين الثّقِيّة ، ثم مُلِّحَ بِمِلْحِ الخَشْيَةِ ، ثم جُفِّ بِرياح العظْمة ، ثم أُحْيِيَ بِماء القُرْبَةِ ، فلا يوجد فيه إلا ما يُرضي المولى جل وعلا ، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا النعت أن يتّضع عند الناس ، ومحال أن يكون ذلك أبداً .

سمعت أحمد بن موسى بواسط يقول « وجد [ت] على خف عطاء السلمي مكتوبا ، وكان حائكا » :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم وفخرُك بالدنيا هو الذلّ والعَدَمُ
وليس على عبد تقيٍّ نقيصةٌ إذا صحّ التقوى ، وإن حالك أوحجَمُ
أخبرنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا طريف بن سعيد حدثنا القاسم بن عبد الله الأنصاري عن محمد بن علي بن حسين قال « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ناداه مناد من السماء : دنا الرحيلُ ، فأعدّ زاداً » .
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا انتسب الناسُ كان التقيُّ بتقواه أفضلَ من ينتسب
ومن يتق الله يَكسِب به من الحظِّ أفضلَ ما يكتسب
ومن يتخذ سبيلاً للنجاة فإنَّ تقيَّ الله خيرُ السبب

(١) ثقاء الحبيب : كناية عن طهارة القلب .

وأشدنى أحمد بن محمد بن عبد الله الصنعاني لابن عكراش :
ومهما يُسِرَّ المرءَ يَبْدُ لِرَبِّهِ وما يَنْسَهُ الإنسانُ لا يَنْسُ كاتبُهُ
ومن كان غَلَّابًا بجهدٍ وَجَدَهُ فذو الحِظِّ في لُمرِ المعيشةِ غالبه
وأشدنى أبو بدر أحمد بن خالد بن عبيد الله بن عبد الملك بجران :
يَانْفُسُ ، ما هو إلا صَبْرُ أَيَّامٍ كَأَنَّ لَدَائِمَهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ
يَانْفُسُ جُوزَى عن الدنيا مبادِرَةً وَخَلَّ عَنْهَا ، فإن العيشَ قُدَّامِي
أخبرنا الحسين بن إدريس الأنصاري أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله
أخبرنا سفيان عن معن قال : قال عبد الله « إن لهذه القلوب شهوة وإقبالاً ،
وإن لها فِتْرَةً وإدباراً ، فخنوها عند شهوتها وإقبالها ، ودعوها عند فترتها
وإدبارها » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن لا ينسى تعاهد قلبه بترك ورود
السبب الذي يُورث القساوة له عليه ؛ لأن بصلاح الملك تصلح الجنود ، وبفساده
تفسد الجنود ، فإذا اهتم بإحدى الخصلتين تجنَّبَ أُقرَبهما من هَواه ، وتَوَخَّى (١)
أبعدهما من الردى .

ولقد أحسن الذي يقول :
وإذا تشاجر في فؤادك مَرَّةً أَمْران ، فاعتمد للأعف الأجل
وإذا هممت بأمر سوء ، فاتَّبِدْ وإذا هممت بأمر خير فافْعَلْ
أخبرنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا إبراهيم بن عَزْرَةَ
الشامي عن مسعر بن كدام عن عَوْْنِ بن عبد الله قال : قال عمر بن الخطاب
« جالسوا التوابين ، فإنهم أرقُّ أفئدة » .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا محمد بن عمرو بن حَبَلَةَ حدثنا محمد بن مروان حدثنا
عطاء الأزرق قال : قال رجل للحسن « يا أبا سعيد ، كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟
(١) توخى : قصد ، والردى : الهلاك .

قال : كيف حال مَنْ أَمسى وأصبح ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يُصنَع به .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

تَحَيَّرَ قَرِينًا مِنْ فِعَالِكَ ، إِنَّمَا يَزِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ

فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ ، فَلَا تَكُنْ بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تُشْعَلُ

فَلَا بَدْءَ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنْ أَنْ تُعَدَّهَ لِيَوْمِ يَنَادِي الْمَرْءَ فِيهِ ، فَيَسْأَلُ

فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ وَلَا بَعْدَهُ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُ

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيمُ قَلِيلًا بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ

أخبرنا علي بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا محمد بن الحسين

حدثنا إسماعيل بن زياد قال « قدم علينا عبد العزيز بن سليمان عبادان في بعض

قَدَمَاتِهِ ، فَأَتَيْنَاهُ نُسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَنَا : صَفُّوا لِنَعْمِ قُلُوبَكُمْ ، يَكْفِيكُمُ الْمُؤْنُ عِنْدَ

هُمْ » ثُمَّ قَالَ « لَوْ خِدِمْتَ مَخْلُوقًا فَأَطْلَتَ خِدْمَتُهُ ، أَلَمْ يَكُنْ يَرْعَى لَخِدْمَتِكَ

حُرْمَةً ؟ فَكَيْفَ بِنِ يُنْعِمَ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُسِيءٌ إِلَى نَفْسِكَ ، تَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِهِ ،

وَتَتَعَرَّضُ لِفَضْضِهِ ؟ هِيَاهُ هِيَاهُ ، هَمَّةُ الْبَطَالِينِ ، لَيْسَ لِهَذَا خَلْقَتُمْ ، وَلَا بَدَأَ

أَمْرَتُمْ ، الْكَيْسَ الْكَيْسَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ » وَكَانَ يَفْطَرُ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ .

قال أبو حاتم : لَنْ تَصْفُو الْقُلُوبَ مِنْ وَجُودِ الدَّرَنِ فِيهَا حَتَّى تَكُونَ الِهِمَمُ

فِي اللَّهِ هَمًّا وَاحِدًا ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كُنْفَى الِهِمَمُ فِي الِهِمَمِ إِلَّا الِهِمَمُ الَّذِي يُؤَوَّلُ

مُتَعَقِّبُهُ ^(١) إِلَى رِضَا الْبَارِي جَلَّ وَعَزَّ ، بِلِزُومِ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْخُلُوعِ وَالْمَلَأِ إِذْ هُوَ

أَفْضَلُ زَادِ الْعُقَلَاءِ فِي دَارِيهِمْ وَأَجَلُ مَطِيَّةِ الْحَكَمَاءِ فِي حَالِيهِمْ .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ تَجِدُ غَيْبَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ الطَّوَلِ ^(٢)

(١) متعقبه - بضم الميم وفتح التاء والعين ، وتشديد القاف مفتوحة - أراد

عاقبته .

(٢) الغب بالكسر : عاقبة الشيء كالمغبة ، بالفتح .

ألا إن تقوى الله خيراً مغيةً وأفضل زادٍ الطاعن المترحل
قال أبو حاتم : قد ذكرت هذا الباب بكلامه بالعدل والحكايات في كتاب
محجة المبتدئين بما أرجو الغنية للناظر إذا ما تأملها ، فأغنى ذلك عن تكراره في
هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه

أخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالوا :
حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن عاصم بن أبي النجود عن زبَّان بن حُبَيْش قال :
« أتيت صفوان بن عَسَّال المرادي ، فقال : ما جاء بك ؟ قلتُ : جئتُ أنبُطَ
العلم ^(١) قال : فإن سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج
يخرج من بيته يطلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنتها رِضاً بما يصنع » .
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته : أن يُثني
بطلب العلم والمداومة عليه ، إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا
إلا بصفاء العلم فيه ، وحكم العاقل أن لا يُقصرَ في سلوك حالة توجب له بسطَ
الملائكة أجنتها رِضاً بهنيعه ذلك .

ولا يجب أن يكون متأملاً في سعيه الدنو من السلاطين ، أو نوال الدنيا
به ، فما أقبح بالعالم التذلل لأهل الدنيا ! .

حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد الديمياطي حدثنا
عبد الرحمن بن عَفَّان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « ما أقبح بالعالم
يؤتى إلى منزله ، فيقال : أين العالم ؟ فيقال : عند الأمير ، أين العالم ؟ فيقال :
عند القاضي ، ما للعالم وما للقاضي ؟ وما للعالم وما للأمير ؟ ينبغي للعالم أن يكون في
مسجده يقرأ في مُصَحَّفه » .

(١) نبط العلم : استخرجه ، والأصل فيه استنباط الماء من البئر ونحوه .
٣ — روضة العقلاء

حدثنا أبو يعلى حدثنا غسان بن الربيع حدثنا سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال « يا طلاب العلم ، لا تطلبوا العلم بسفاهة وطيش ، اطلبوه بسكينة ووقار وتؤدة » .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وفي العلم والإسلام للمرء وازع وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم
بصائرُ رُشدٍ للفتى مُستبينَة وإخلاص صدق علمها بالتعلم
أخبرنا إبراهيم بن نصر ^(١) حدثنا عبد بن حميد حدثنا سعيد بن عامر عن حميد بن الأسود عن عيسى بن أبي عيسى الخياط قال : قال الشعبي « إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان : العقل ، والنسك ، فإن كان عاقلاً ولم يك ناسكاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا النساك ، فلم يطلبه ، وإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل : هذا أمر لا يناله إلا العقلاء ، فلم يطلبه » قال الشعبي : « فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما ، لا عقل ولا نسك » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يبيع حظ آخرته بما قصد في العلم لما يناله من حطام هذه الدنيا ؛ لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره ؛ لأن المبتغى من الأشياء كلها نفعها لا نفسها ، والعلم ونفس العلم شيان ، فمن أغضى عن نفعه لم ينتفع بنفسه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، والعلم له أول وآخر .

كما حدثنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا عمرو الناقد حدثنا يحيى بن الليثان قال : سمعت سفيان يقول « أول العلم الإنصات ، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم النشر » وأنشدني الأبرش :

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطلقاني حدثنا جرير عن
برِّد بن سنان عن سليمان بن موسى قال : قال أبو الدرداء « لا تكون عالماً حتى
تكون متعلماً ، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » .

قال أبو حاتم : العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به ؛ لأن
من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد خيراً وتَجَبَّراً وللعمل تركاً وتضييعاً ، فيكون
فساده في المتأسيين به فيه أكثر من فسادِهِ في نفسه ويكون مثله كما قال الله تعالى
(١٦ : ٢٥) وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . ألا ساء ما يَنزِرُونَ) .

أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي حدثنا داود بن أحمد حدثنا عبد الرحمن
ابن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « في جهنم أَرْحِيَّةٌ تَطْحَنُ العلماء
طَحْنًا ، فقيل : من هؤلاء ؟ قال : قوم علموا فلم يعملوا » .

أخبرنا عبد الله بن محمد السعدي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا جعفر
ابن سليمان عن مالك بن دينار قال « إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرَّه علمه ،
وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه خراً » .

أخبرنا محمد بن عمر بن سليمان حدثنا محمد بن رافع حدثنا محمد بن بشر حدثني
سلمة بن الخطاب عن عبد الحميد بن أبي جعفر القراء قال : قال الحسن « مَنْ
أَحَبَّ الدُّنْيَا وَسِرَّتْهُ ذَهَبُ خَوْفِ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ عِلْمًا ثُمَّ اِزْدَادَ عَلَى
الدُّنْيَا حِرْصًا لَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا ، وَلَمْ يَزِدْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بَغْضًا » .

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثني أحمد بن إبراهيم الحُدثي حدثني
إسماعيل بن الحارث حدثني محمد بن الحسن المديني حدثنا أبو العوام « أن إبراهيم
سمع صوت هاتف ، وهو يقول :

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِأَسْرِ الْوَرَعِ وَبَيْنَ النَّوْمِ ، وَاهْجِرِ الشُّبْعَا
مَا ضَرَّ عَبْدًا صَحَّتْ إِرَادَتُهُ أَجَاعَ يَوْمًا فِي اللَّهِ أَوْ شَبْعَا

ما ضر عبداً صحت عرائمه أين من الأرض ، أينما صقعا^(١)
 ما طمعت نفس عابد فسوى سؤال قوم إلا لهم خضعاً
 يأبىها الناس ، مالمعكم في بحر ماء الملوك قد كرعاً^(٢)
 يأبىها الناس ، أتم زرع يحصده الموت كلما طلعا
 أخبرنا ابن سالم حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي حدثنا يحيى بن اليمان
 العجلي عن سفيان الثوري قال « العالم طيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا
 اجتر الطبيب الداء إلى نفسه ، فتى يداوى غيره ؟ » .

أنشدني أحمد بن محمد الصنعاني أنشدني محمد بن عبد الله العراقي :
 عنوا يطلبون العلم في كل بلدة شباباً ، فلما حصّوه وحشروا
 وصحّ لهم إسناده وأصوله وصاروا شيوخاً ضيَّوه وأدبروا
 ومالوا على الدنيا ، فهم يملكونها بأخلافها مفتوحها لا يُصرّر^(٣)
 فياعلماء السوء أين عقولكم ؟ وأين الحديث المسند المتخير ؟
 أخبرنا جعفر بن محمد الهمداني - بصور - حدثنا محمد بن عبد الله البعلبكي
 قال : سمعت عمي محمد بن زيد قال « كنت مع ابن المبارك ببغداد . فرأى إسماعيل
 ابن عُمَيَّة راكباً بغلة على باب السلطان ، فأنشأ يقول :

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد أموال السلاطين
 لا تبع الدين بدنيا ، كما يفعل ضلال الرهبانين
 احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
 وصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواء المجانين

-
- (١) أو « أينما وقع » والصقع : الوقوع على الأرض اليابسة المستحجرة
 (٢) كرع من الماء : عب وشرب .
 (٣) أخلاف : جمع خلف ، وهو ثدى الشاة ونحوها من كل حالب ، والتصرية :
 جمع اللبن واخترانه في الضرع .

ففسكر الناسُ جميعاً بأن زَلَّ حمار العلم في الطين
أخبرنا عبد العزيز بن الحسن البرزعي حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أحمد بن
عبد الله التستري قال « لما ولي ابنُ عُلَيَّةَ صدقات الإبل والغنم بالبصرة ، كتب
إليه ابن المبارك كتاباً ، وكتب في أسفله .

يا جاعل الدين له بازياً يصطاد أموال المساكين
احتلت الدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
يا فاضح العلم ومن كان ذا لبٍّ ومن عاب السلاطين^(١)
أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين ؟
وزاد غير أحمد بن عبد الله :

إن قلتَ : أكرهتُ ، فماذا كذا زَلَّ حمار العلم في الطين
فلما قرأ ابن عُلَيَّةَ الكتاب بكى ، ثم كتب جوابه ، وكتب في أسفله :
أفٍ لدنيا أبتُ تواتيني إلا بنقضي لها عُرَى ديني
عَنِّي لِحَنِّي^(٢) تدير مقلتها تطلب مامرّها لتردني

أخبرنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا العباس بن الوليد الرّسّي حدثنا
وهيب عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال « عليكم بالعلم قبل أن يقبضَ
وَقَبْضُهُ أَنْ يَذْهَبَ أَحْبَابُهُ ، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى
كتاب الله ، وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وعليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدري متى
يفتقر ، أو يفتقر إليه عنده ؟ وعليكم بالعلم ، وإياكم والبدع ، وعليكم بالعتيق » .
حدثنا محمد بن زنجوية القشيري حدثنا عمرو بن علي حدثنا أبو قتيبة حدثنا

(١) قد وقع هنا إقواء : قال في القاموس : أقوى في الشعر ، خالف في قوافيه
رفع بيت وجر آخر ، وقلت قصيدة لهم بلا إقواء ، وأما الإقواء بالنصب فقليل اه
وقد تكرر في هذا الكتاب ، فينبغي أن يتنبه له .
(٢) الحين ، بالفتح : الموت والهلاك .

قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال : قال ابن مسعود « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية » .

حدثني إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحارث بن مسكين حدثنا ابن القاسم قال : سمعت مالكا يقول « ليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية » قال أبو حاتم : الواجب على العاقل : مجانبة ما يندس علمه من أسباب هذه الدنيا ، مع التقصد في لزوم العمل بما قَدَّرَ عليه ، ولو استعمال خمسة أحاديث من كل مائتي حديث ، فيكون كأنه قد أدب زكاة العلم ، فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم فلا يجب أن يَعْجَزَ عن حفظه .

ولقد أنبأنا ابن قحطبة حدثنا حسين بن محمد الكوفي قال : سمعت محمد بن بشير الخزازي يقول :

أما لو أعي كل ما أسمع ، وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت لقليل : هو العالم المقنع^(١)
ولكن نفسي إلى كل شيء من العلم تسمع تنزع
وأحضر بالجهل في مجلسي وعلى في الكتب مستودع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشيع
ومن يك في علمه هكذا يكن دهره القهقري يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع
وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

جامع العلم تراه أبداً غير ذي حفظ ولكن ذا غلط
وتراه حسن الخط إذا كتب الخط بصيراً بالنقط
فإذا فنشته عن علمه قال : علمي يا خليلي في السقط^(٢)

(١) شاهد مقنع كمقعد : أي رضى يقنع به .

(٢) السقط - محركة كما في القاموس : كالجوالق ، أو كالفقة .

في كراريس جياذ أحكمت وبخط أي خط أي خط
فإذا قلت له : هات لنا حَكَّ لَحْيَيْهِ جميعاً وامْتَنَحَطْ
أخبرنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا حفص بن عمرو الرِّبَالِي^(١)
حدثنا الحجاج بن نصير حدثنا عبد القدوس قال : سمعت وهب بن منبه يقول
« من تعلم علماً في حق وسنة : لم يذهب الله بعقله أبداً » .
حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان
قال « كتب إلى أبي ، وأنا بالكوفة : اشتر الصحف ، واكتب العلم ؛ فإن المال
يفنى ، والعلم يبقى » .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك
قال « كتب حكيم من الحكماء ثلاثين صحيفة حِكَم ، فأوحى الله إليه : إنك قد
ملأت الأرض نفاقاً ، وإن الله لم يتقبل شيئاً من نفاقك » .
قال أبو حاتم : اقتناء المرء عمره بكثرة الأسفار ، ومباينة الأهل والأوطان في
طلب العلم ذون العمل به ، أو الحفظ له ، ليس من شيم العقلاء ، ولا من زى
الألباء ، وإن من أجرد ما يستعين المرء به على الحفظ : الطبع الجيد ، مع الهمة
واجتناب المعاصي ، وأنشدني الأبرش :

نعم عون الفتى الطلُّوبُ لعلم أو لبعض العقول صحة طبع
فإذا الطبعُ فاته بطلَّ العلم وصار العناء في غير نفع
سمعت إبراهيم بن نصر العنبري يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت
وكيعاً يقول « استعينوا على الحفظ بترك المعصية » .

قال أبو حاتم : يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله ، لأن
الازدياد من العلم آثرُ عند العاقل من الذكركر بالعلم ، والعلم زين في الرخاء ، ومنجاة

(١) الرِّبَالِي بالفتح ولام : نسبة إلى ربال اسم جده اه لباب الأنساب .

في الشدة ، ومن تعلم ازداد ، كما أن من حلم ساد ، وفضل العلم ^(١) في غير خير مهلكة ، كما أن كثرة الأدب في غير رضوان الله موبقة ، والعقل لا يسعى في فنونه إلا بما أجدى عليه نفعاً في الدارين معاً ، وإذا رزق منه الحظ لا يبخل بالإفادة ، لأن أول بركة العلم الإفادة ، وما رأيت أحداً قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه ، وكما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض مالم ينبع ، ولا بالذهب الأحمر مالم يستخرج من معدنه ، ولا بالؤلؤ النفيس مالم يخرج من بحره ، كذلك لا ينتفع بالعلم مادام مكنوناً لا ينشر ولا يفاد .

أنبأنا أحمد بن مضر الرباطي حدثنا محمد بن سهيل بن عسكر حدثنا أبو صالح الفراء قال : سمعت ابن المبارك يقول « من بخل بالحديث يتبلى بإحدى ثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينسى ، أو يتبلى بالسلطان » .

حدثنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن اسماعيل حدثنا جرير عن بُرد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « الناس عالم ومتعلم ، ولا خير فيما بين ذلك » وأنشدني الكريزي :

أفد العلم ، ولا تبخل به	وإلى علمك علماً فاستفد
استفدما استطعت من علم وكن	عاملاً بالعلم والناس أفد
من يقدم يجزه الله به	وسيفي الله عن لم يفد
ليس من نافس فيه عاجراً	إنما العاجز من لا يجتهد

حدثنا محمد بن اسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا حماد ابن واقد عن هشام بن حسان عن الحسن قال « لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه ، فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له ، فوضعها في الآخرة » .

(١) أى : التفاضل والزائد من العلم عن الحاجة

قال أبو حاتم : قد ذكرت أسباب المتعلمين وأخلاق العلماء بعلمها في كتاب « العالم والمتعلم » ، بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن التكرار ؛ لأننا شرطنا في هذا الكتاب الاختصار ، كراهية سلوك التطويل ، والإشارة إلى قصد نفس التحصيل .

ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان

أخبرنا حامد بن محمد بن شعيب البخى - ببغداد - حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » .

قال أبو حاتم : الواجب على العاقل إذا ذكر المطيبتين - اللتين ذكرتهما قبل إصلاح السريرة ولزوم العلم : أن يبلغ مجهوده حينئذ في حفظ اللسان حتى يستقيم له ، إذ اللسان هو المورد للمراء موارد العطب . والصمت يكسب المحبة والوقار ، ومن حفظ لسانه أراح نفسه ، والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام ، والصمت منام العقل ، والمنطق يقظته .

حدثنا محمد بن زنجويه حدثنا عبد الأعلى بن حماد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن لقمان قال « إن من الحكم الصمت ، وقليل فاعله » .

وأنشدني الكريزى :

أقلل كلامك واستعد من شره إن البلاء يبعضه مقرون^(١)
واحفظ لسانك واحتفظ من غيبه حتى يكون كأنه مسجون
وكل فؤادك باللسان ، وقل له إن الكلام عليك موزون
فزناه وتلك محكما ذا قلة إن البلاغة في القليل تكون
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا جعفر بن نوح حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع قال :

(١) عجز هذا البيت من قلوبهم في مثل « إن البلاء موكل بالمنطق » .

سمعت مالك بن أنس يقول « كل شيء ينتفع بفضله ^(١) إلا الكلام فإن فضله يضر » .

أخبرنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا مروان بن محمد عن سعيد ابن عبد العزيز قال : قال أبو الدرداء « لاخير في الحياة إلا لأحد رجلين : مُنصتٍ واع ، أو متكلم عالم » .

قال أبو خاتم : الواجب على العاقل أن لا يغالب الناس على كلامهم ، ولا يعترض عليهم فيه ؛ لأن الكلام وإن كان في وقته حظوةً جلية فإن الصمت في وقته مرتبة عالية ، ومن جهل بالصمت عي بالمنطق ^(٢) والإنسان إنما هو صورة ممثلة أو صالة مهملة ، لولا اللسان ، والله جل وعز رفع جراحة اللسان على سائر الجوارح ، فليس منها شيء أعظم أجراً منه إذا أطاع ، ولا أعظم ذنباً منه إذا جنى .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادى .
لئن كان يحنى اللوم ما أنت قائل ولم يك منه النفع فالصمت أيسرُ
فلا تبدِ قولاً من لسانك لم يرُضْ موافقه من قبل ذاك التفكرُ
أخبرنا ابن قتيبة حدثنا هرون بن محمد البكار قال : سمعت أبا مسهر ينشد هذا البيت :

قد أرى كثرة الكلام قبيحا كلُّ قول يشينه إلا كـثـارُ
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثني محمد بن داود بن سليمان الرملي حدثنا المسيب بن واضح قال : سمعت ابن المبارك يقول :

تعاهد لسانك إن اللسان سريع إلى المرء في قتله
وهذا اللسان بريدُ الفؤاد يدلُّ الرجال على عقله

(١) الفضل ههنا : الزيادة

(٢) أى من وصفه الناس بالجهل لصمته كان منطقهم عيا

أخبرنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا محمد بن علي الشقيق أنبأنا إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « شيطان يقسيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل » .

أخبرنا أبو يعلى حدثنا عمرو بن محمد الناقد قال : سمعت يحيى بن اليمان يقول : قال سفيان الثوري : « أول العبادة الصمت ، ثم طلب العلم ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره » .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا العتبى عن علي بن جرير عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الصمت أمان من تحريف اللفظ ، وعصمة من زيف المنطق ، وسلامة من فضول القول ، وهيبة لصاحبه » .
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم ، فما أكثر من ندم إذا نطق ، وأقل من يندم إذا سكت ، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلى بلسان مطلق ، وفؤاد مطبق .

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ، ويضع كل خصلة منها في موضعها : هو أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وناطق يرد به الجواب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وشافع تدرك به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وحاصد تذهب الضغينة ، ونازع يجذب المودة ، ومُسَل يذكي القلوب ومُعَزِّ ترَدُّ به الأحران .

ولقد أحسن الذي يقول :

إن كان يعجبك السكوت فإنه	قد كان يعجب قلبك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوت مرة	فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ، ولربما	زرع الكلام عداوة وضارا
وإذا تقرب خاسر من خاسر	زادا بذلك خسارة وتبارا ^(١)

أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا كثير بن عبد الله التيمي حدثنا العلاء ابن سعيد الكندي حدثني أبو حية قال « كنت أماشي إسماعيل بن سهل ، وكان أحد الحكماء ، فقال لي : ألا أخبرك ببيت شعر خير لك من عشرة آلاف درهم ؟ قال : نعم . قال : أيما أحب إليك : نفسك أو عشرة آلاف درهم ؟ قال : قلت : نفسي ، فأنشأ يقول .

أخفض الصوت إن نطقت بليل والتفت بالنهار قبل المقال
قال أبو حاتم : الواجب على العاقل أن يكون ناطقا كعيسى وعالمًا كجاهل ،
وساكتًا كناطق ؛ لأن الكلام لا بد له من الجواب والجواب لو جعل له جواب
لم يكن للقول نهاية ، وخرج المرء إلى ما ليس له غاية ، والمتكلم لا يسلم من أن
ينسب إليه ^(١) الصلف والتكلف ، والصامت لا يلبق به إلا الوقار وحسن السمات
ولقد أحسن الذي يقول :

حنف امرئ لسانه في جدّه أو لعبه
بين اللهها مقتله ركب في مركبه ^(٢)

أخبرنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد ابن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال عمر بن الخطاب « يا أحنف ، من أكثر كلامه أكثر سقطه ، ومن أكثر سقطه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه » .
وأنشدني الأبرش :

مأذّل ذو صمت ، وما من مكثر إلا يرأى ، وما يُعاب صموت
إن كان منطق ناطق من فضة فالصمت دُرّ زانه الياقوت

(١) الصلف : الكبر

(٢) اللهها : جمع لهأة ، وهي لحة في سقف الحلق ، أي حنقه وهلاكه في لسانه وهو عما ينسب إليه صلى الله عليه وسلم « مقتل المرء بين فكيه »

أنبأنا ابن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح قال : سمعت علي بن بكار يقول « جعل الله لكل شيء باين ، وجعل للسان أربعة : الشفيعين . مصرعين ، والأسنان مصرعين » .

أنبأنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة حدثنا نصر بن علي الجهضمي أنبأنا محمد بن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد « أن شاباً كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب ، ويحسن الاستماع ، ثم ينصرف من قبل أن يتكلم ، ففطن له عمر ، فقال له : إنك تحضر مجلسنا ، وتحسن الاستماع ، ثم تنصرف من قبل أن تتكلم ، فقال الشاب : إني أحضر فأتوفى وأتفقى ، وأصمت فأسلم » .

قال أبو حاتم - رضى الله عنه - الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه ، ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول ، لأنه إذا قال ربما ندم ، وإن لم يقل لم يندم ، وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد ما قال ، والكلمة إذا تكلم بها ملكته ، وإن لم يتكلم بها ملكها . والعجب من يتكلم بالكلمة ، إن هي رفعت ربما صرته ، وإن لم ترفع لم تضره ، كيف لا يصمت ؟ ورب كلمة سلبت نعمة ! » .

أخبرنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي قال : أنشدني رجل من ربيعة :

لعمرك ماشيء علمت مكانه	أحق بسجن من لسان مذلل
على فيك مما ليس يعينك شأنه	بققل وثيق ما استطعت فأقفل
فرب كلام قد جرى من ممزاج	فساق إليه سهم حثف معجل
وللصمت خير من كلام بمأثم	فكن صامتاً تسلم ، وإن قلت فاعدل

أخبرنا أبو يعلى حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن برد عن سليمان ابن موسى قال : قال أبو الدرداء « كفى بك ظالماً أن لاتزال مخاصماً ، وكفى بك

أثماً أن لاتزال ممارياً ، وكفى بك كاذباً أن لاتزال محدثاً ، إلا حديثاً في ذات الله تبارك وتعالى .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا معروف بن الحسن الكنانى حدثنا كثير ابن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن سعيد بن أبى سعيد عن كعب قال « العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها فى السكوت » .

أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثنا يحيى القطان عن شعبة قال « من الناس من عقله بفنائه ، ومنهم من عقله معه ، ومنهم من لا عقل له ، فأما الذى عقله معه فالذى يبصر ما يخرج منه قبل أن يتكلم ، وأما الذى عقله بفنائه فالذى يبصر ما يخرج بعد أن يتكلم ، ومنهم من لا عقل له . فحدثت به عبد الرحمن بن مهدي بعد ما رجعنا من عند يحيى ، فقال : هذه صفتنا ، يعنى الذى عقله بفنائه ، واستحسن الكلام . وقال : لا ينبغي أن يكون هذا من كلام شعبة ، لعله سمعه من غيره » .

وأنشدنى البغدادي محمد بن عبد الله بن زنجي :

أنت من الصمت آمن الزلل ومن كثير الكلام فى وجل^(١)
لا تقل القول ثم تتبعه ياليت ما كنت قلت لم أقل
سمعت محمد بن المسيب يقول : سمعت العباس بن الوليد بن زيد يقول :
سمعت أبى يقول : سمعت الأوزاعي يقول « ما بلى أحد فى دينه بلاء أضر عليه
من طلاق لسانه » .

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا أحمد بن أبى فايد يقول :
سمعت العباس بن عبد العظيم يقول : سمعت عارماً يقول : سمعت خالد ابن
الحارث يقول « السكوت زين للعاقل ، وشين للجاهل » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى الصمت خصلة تحمد إلا تزئير

(١) الزلل : السقوط ، والوجل : الخوف ، وكلاهما يفتح أوله وثانيه .

لعاقل وتشين الجاهل به لكان الواجب على المرء أن لا يفارقه الصمت ما وجد إليه سبيلاً ، ومن أحب السلامة من الآثام فليقل ما يقبل منه ، وليقل مما يقبل منه ، لأنه لا يجترىء على الكلام الكثير إلا فائق أو مائق ^(١) .

وقد ترك جماعة من أهل العلم حديث أقوام أكثروا الكلام فيما يلبق بهم . ومن ذلك ما حدثنا به محمد بن الحسن بن مكرم بالبصرة حدثنا عمرو بن علي حدثنا أمية بن خالد عن سعيد قال : قلت للحكم : مالك لا تكتب عن زاذان ؟ قال : كان كثير الكلام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لسان العاقل يكون وراء قلبه ، فإذا أراد القول رجع إلى القلب ، فإن كان له قال ، وإلا فلا ، والجاهل قلبه من طرف لسانه ، مأتى على لسانه تكلم به ، وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه .

واللسان إذا صلح تبين ذلك من الأعضاء ، وإذا فسد فكذلك .

أخبرنا محمد بن عبيد الله بن الجنيد حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان عن رجل قال « إني لأكذب الكذبة فأعرفها في عملي » أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم بن إسحاق حدثنا الفضل بن عبد الجبار حدثنا أبو إسحاق الطلقاني عن الوليد بن مسلم قال : قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال « ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والعاقل لا يبتدى الكلام إلا أن يسأل ولا يقول إلا لمن يقبل ، ولا يجيب إذا شتم ، ولا يجازى إذا أسمع ؛ لأن الابتداء بالصمت وإن كان حسناً ، فإن السكوت عند القبيح أحسن منه .

(١) الفائق : المتفوق على القدرة على حسن التأني وانتقاء القول من واسع ما علم . فهذا يقدم على الكلام واثقاً متبثاً فيفيد . والمائق : الأحمق السفیه الذي لا يهتم أن يلقى بنفسه في كل ورطة ، وأن يزج بنفسه في كل بلية لا خلاص له منها لأنه لا يقدر العواقب ، ولا يفكر في المصائر .

وأنشدني المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري :

الصمت عند القبيح يسمعه صاحبُ صدق لكل مصطحب
فأثر الصمت ما استطعت ، فقد يُؤثرُ قول الحكيم في الكتب
لو كان بعضُ الكلام من ورق لكان جُلَّ السكوت من ذهب

أخبرنا بكر بن محمد بن عبد الوهاب القزاز حدثنا إسماعيل بن إبراهيم
أبو بشر حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن المغيرة بن مسلم الهجيمي عن أسير
ابن جابر قال « ما رضعت عزراً قط ، ولو قلت : لا أرضعها خفت أن يصير بي
البلاء إلى أن أرضعها ، إن البلاء مُوَكَّل بالقول »

وأنشدني الكريزي :

استر العي ما استطعت بصمت إن في الصمت راحة للصموت
واجعل الصمت إن عيت جواباً رب قول جوابه في السكوت

وأنبأنا محمد بن المنذر حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا عبد الرحمن
ابن مهدي حدثنا سفيان بن يزيد بن حيان عن عيسى بن عتبة قال : سمعت ابن
مسعود يقول « والله الذي لا إله غيره ، ما شيء أحق بطول سجن من لسان »
قال أبو جاتم رضى الله عنه : العاقل يحفظ أحواله من ورود الخلل عليها في
الأوقات ، وإن من أعظم الخلل الفساد لصحة السرائر والمذهب لصالح الضمائر :
الإكثار من الكلام ، وإن أبيع له كثرة النطق ، ولا سبيل للمرء إلى رعاية
الصمت إلا بترك ما أبيع له من النطق .

كما أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى حدثنا عبد الله عن سفيان
عن سير بن دعلوق عن إبراهيم التيمي أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين
عاماً فلم يسمع منه كلمة تعاب .

أنبأنا الجنيدى حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله أنبأنا سفيان

عن أبي طعمة عن رجل من الحنابلة قال : أتيت الربيع بن خثيم ^(١) يعني الحسين . وقالوا : اليوم يتكلم مقالة ، فتأوه ومدّ بها صوته ، ثم قال : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك بالحق فيما كانوا فيه يختلفون .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمرو بن حبيب حدثنا الأصمعي قال « بينما أنا أطوف بالبادية إذا أنا بأعرابية تمشي وحدها على بعير لها ، فقلت : يا أمة الجبار من تطلين ؟ فقلت : بمن يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، قال : فعلمت أنها قد أضلت أصحابها ، فقلت لها : كأنك قد أضلت أصحابك ؟ قالت : ففهمناها سليمان ، وكلاً آتيناه حكماً وعلماً ، فقلت لها : يا هذه من أين أنت ؟ قالت : سبجان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، فعلمت أنها مقدسية ، فقلت لها : كيف لا تتكلمين ؟ فقلت : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، فقال بعض أصحابي : ينبغي أن تكون هذه من الخوارج ، فقلت : ولا تتف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، فبينما نحن نمشيها إذ رفعت لنا قباب وخيم ، فقلت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، قال : فلم أفطن لقولها ، فقلت : ما تقولين ؟ فقلت : وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ، قلت : بمن أصوت وبمن أدعو ؟ فقلت : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، يا زكريا إنا نبشرك ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، قال : فإذا نحن بثلاثة أخوة كالآلء ، فقالوا : أمنا ورب السكبة أضلناها منذ ثلاث ، فقلت : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، فأومأت إلى أحدهم فقلت : فابعثوا أحدهم بورقكم هذه إلى المدينة ، فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه ، فقلت : إنها أمرتهم أن يزودوا فجاءوا بحبز وكمك .

(١) النعمى - بفتح النون وكسر العين - الخبر بالموت .

فقلت : لاحتاجة لنا في ذلك ، فقلت للفتية : من هذه منكم ؟ قالوا : هذه أمنا ما تكلمت منذ أربعين سنة إلا من كتاب الله مخافة الكذب ، فدنوت منها ، فقلت : يا أمة الله ، أوصني ، فقالت : ما أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، فعلمت أنها شيعية^(١) ، فانصرفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب حفظ اللسان فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيض له من النطق ، لئلا يقع في المزجورات ، فيكون حَتْفُه فيها يخرج منه ؛ لأن الكلام إذا كثر منه أورت صاحبه التلذذ بضد الطاعات ، فإذا لم يوفق العبد لاستعمال اللسان فيما يُجْدِي عليه نفعه في الآخرة ، كان وجود الإمساك عن السوء أولى به .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه
وأقلل إذا ما قلت قولاً ، فإنه إذا قلَّ قولُ المرء قلَّ خطاؤه

أنا بن محمد بن الحسين بن الخليل حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطوانى حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلى بن زياد قال : قال : قال مؤرِّق العجلى « أمرُّ أنا في طلبه منذ عشرين سنين ، ولست بتارك طلبه : قال : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعيننى » .

أنا بن إبراهيم بن نصر العنبرى حدثنا على بن الأزهر الرازى حدثنا إبراهيم

(١) إن صحت — فلها مقصد غير ما فهم : وهى إنما توصيه أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يؤذيه أهله ، وهو يبرهم ويحسن إليهم ، ويبلغهم رسالة ربه ، رجاء نجاتهم من عذاب الله ، ورجاء سعادتهم في الدنيا والآخرة ، لما كان بينهم وبينه من القربى .

ابن رستم قال : سمعت خارجة يقول « صحبت عبد الله بن عون خمس عشرة سنة فما أظن الملائكة كتبت عليه شيئاً » .

ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب

أخبرني أحمد بن محمد بن حبيب الجنيدى قال : حدثنا حميد بن زنجويه حدثنا محاسن بن المودع حدثنا الأعمش عن أبي سفيان قال : قال عبد الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهdy إلى البر ، وإن البر يهdy إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب له صدقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهdy إلى الفجور ، وإن الفجور يهdy إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن الله جل وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح ، ورفع درجته ، وأبان فضيلته ، بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده ، فلا يجب للعاقل أن يعود آله خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب ، بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق ، وما يعود عليه نفعه فى داريه ، لأن اللسان يقتضى ماعود : إن صدقاً فصدقاً ، وإن كذباً فكذباً .

ولقد أحسن الذى يقول :

عود لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضى ماسنت له فاختر لنفسك ، وانظر كيف ترتاد

أخبرنا محمد بن سعيد القرزاز حدثنا الفضل بن العباس البغدادى حدثنا الهيثم ابن خارجة حدثنا الهيثم بن عمران قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول : « كان عبد الملك بن مروان يأمرنى أن أجنب بنية السمن ، وكان يأمرنى أن لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز ، وكان يقول : علم نبي الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم الكذب ، وإن فيه كذا وكذا يعنى القتل » .
وأنشدنى الأبرش :

السَّكْبُ مُرْدِيكَ ، وَإِنْ لَمْ تَخَفِ وَالصَّدْقُ مُنْجِيكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ
فَانْطِقْ بِمَا شِئْتَ تَجِدَ غَيْبَهُ لَمْ تُبْتَخَسْ وَزَنَهُ مُثْقَالٌ (١)

أخبرنا أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سليم
ابن حيان عن قتادة عن حميد بن عبد الرحمن الحميري أن عمر بن الخطاب قال « إن
أبا بكر قام فينا عام أول ، فقال : إنه لم يقسم بين الناس شيء أفضل من المعافاة
بعد اليقين ، إلا أن الصدق والبر في الجنة ، ألا وإن الكذب والفجور في النار »
أخبرنا أبو خليفة حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا عكرمة بن عمار حدثني
طيسلة بن علي البهذلي قال « كنت مع ابن عمر يوماً في أصول الأراك يوم عرفة ،
وبين يديه رجل من أهل العراق ، فقال له الرجل : يا ابن المنافق ، قال : المنافق ،
— ويحك — الذي إذا حدث كذب ، وإذا وعد لم ينبز ، وإذا أوتى لم يؤد »
سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت محمد بن خلف بن أبي الأزهر
يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول « مامن مُضْغَةٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ لِسَانٍ
صَدُوقٍ ، وَمَا مِنْ مُضْغَةٍ أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ مِنْ لِسَانٍ كَذُوبٍ » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده ،
خلا اللسان ، فإنه لا ينبئ إلا عما عود ، والصدق ينبئ بالكذب يردي ،
ومن غلب لسانه أمره قومه ، ومن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق
به ، ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

حدثنا أحمد بن محمد بن زنجويه حدثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي حدثنا
سعيد بن سليمان حدثنا أنس بن عياض عن صالح بن حسان عن محمد بن كعب
القرظي قال « إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه » وأنشدني الكريزي :

كذبت ، ومن يكذب فإن جزاءه إذا ملأني بالصدق أن لا يصدقاً
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا فقه إذا كان حاذقاً

(١) غيب الشيء : عاقبه ، ولم تبْتَخَسْ : معناه لم تنقص .

قال أبو حاتم : لو لم يكن للكذب من الشين إلا إزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يُصدق ، لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم ، وإن من آفة الكذب أن يكون صاحبه نسياً ، فإذا كان كذلك كان كالمنادي على نفسه بالخزي في كل لحظة وطرفة .

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت نصر بن علي الجهضمي يقول : « إن الله أعاننا على الكذابين بالنسيان » وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا مال المرء أخطاه ثلاث فبعه ، ولو بكفٍ من رماد
سلامة صدره ، والصدق منه ، وحكمان السرائر في القواد

أنبأنا بكر بن أحمد الطاحي بالبصرة حدثنا إبراهيم بن عزرة حدثنا سفيان ابن عيينة عن معمر قال : قال الزهري « لو رأيت طاووساً لعلمت أنه لا يكذب »

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اللسان سبعة عقور ، إن ضبطه صاحبه سلم ، وإن خلى عنه عقره ، وبغمه يفتضح الكذب ، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيهم فيما يعلم ؛ لأن رأس الذنوب الكذب ، وهو يبدي الفضائح ويكتم المحاسن ، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أو يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه ، وأفسد صدقه .

وقد أنبأنا أبو خليفة حدثنا ابن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الأحوص عن عبد الله قال « حَسْبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَذْبِ أَنْ يَحْدِثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن الجعد قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام « طوبى لمن خزن لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته » .

أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

وإذا الأمور تزوجت فالصدق أكرمها تتاجا

الصدق يعقد فوق رأ س حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقدر زنده في كل ناحية سراجا

أَبَانَا الْقَطَان بِالرَّقَّة حَدَّثَنَا نُوحُ بْنُ حَبِيبٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا سَفْيَانٌ عَنْ
مَنْصُورٍ عَنْ رِئَبِيِّ قَالُوا « مَنْ ذَكَرْتَ يَا أَبَا سَفْيَانَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ رُبْعِيًّا ،
وَتَدْرُونَ مَنْ كَانَ رُبْعِي ؟ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَشْجَعِ زَعَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ ،
فَسَمِعِي بِهِ سَاعَ إِلَى الْحِجَاجِ ، فَقَالَ : هَاهُنَا رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعِ ، زَعَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ لَمْ
يَكْذِبْ قَطُّ ، وَأَنَّهُ يَكْذِبُ لَكَ الْيَوْمَ ، فَإِنَّكَ ضَرَبْتَ عَلَى ابْنَيْهِ الْبَعْثَ قَعْصِيًّا ،
وَهَا فِي الْبَيْتِ ، وَكَانَ عَقُوبَةُ الْحِجَاجِ لِلْعَاصِي ضَرْبَ السِّيفِ ، قَالَ : فِدَعَاهُ فَإِذَا
شَيْخٌ مَنَحْنُ ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ رُبْعِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنَاكَ ؟ قَالَ : هَاهُمَا
ذَانِ فِي الْبَيْتِ ، قَالَ : فَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ وَأَوْصَى بِهِ خَيْرًا » .

أَبَانَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا الْغُلَابِيُّ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ « كَانَ عَمْرُ بْنُ اَلْخَطَّابِ بِنَى فَعَطُشَ ، فَاتَّهَى إِلَى عَجُوزَ ، فَاسْتَسْقَاهَا مَاءً .
فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا ، فَقَالَ : لَبَنًا ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا ، فَبَدَرَتْ جَارِيَةً ، فَقَالَتْ لَهَا :
تَكْذِيبِينَ وَمَا تَسْتَحِينِ ؟ ثُمَّ قَالَتْ لِعَمْرٍ : هَذَا السَّقَاءُ فِيهِ لَبَنٌ » فَسَأَلَ عَمْرُ عَنْ
الْجَارِيَةِ فَإِذَا أَبُوهَا ثَقْفِي فُخْطِبَهَا عَلَى عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍ ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ ، فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا
أُمُّ عَاصِمٍ ، فَزَوَّجَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
مَرْوَانَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ! » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الصدق يرفع المرء في الدارين ، كما أن الكذب
يهوى به في الحالين ، ولولم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به
قُبِلَ كَذِبُهُ ، وصار صدقا عند من يسمعه - لكان الواجب على العاقل أن يبلغ
مجهوده في رياضة لسانه ، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعِيَّ
في بعض الأوقات خير من النطق ، لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعِيَّ
خير منه .

أنشدني المنتصر بن بلال :

تحدث بصدق إن تحدثت ، وليكن لكل حديث من حديثك حين
فما القول إلا كالثياب ، فبعضها عليك ، وبعض في التخوت مضمون^(١)
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كم من حسيب كريم كان ذا شرف
قد شانه الكذب وسط الحي إن عمدا
وآخر ، كان صعلوكا ، فشرّفه
صدق الحديث وقول جانب القندا
فصار هذا شريفاً فوق صاحبه
وصار هذا وضعياً تحته أبدا

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن حبيب
ابن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، قال : قال عمر « لا يجد عبد حقيقة
الإيمان حتى يدع المرء وهو مُحَقٌّ ، ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه
لو شاء لغلِبَ » .

أنبأنا ابن سعيد القرّاز ، حدثني يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا علي بن بكار
عن يونس بن عبيد ، عن حميد بن هلال ، عن عبد الله بن عمرو قال : « ذُرْ
مالست منه في شيء ، ولا تنطق فيما لا يعينك ، واخزن لسانك كما تخزن دراهمك »
وأنشدني محمد بن سعيد الهروي :

القول كاللبن الحلوب ، ليس له ردٌّ وكيف يرثُ الحالبُ اللبن ؟
في ضرعه ، وكذلك القول ليس له في الجوف ردٌّ قبيحاً كان أو حسناً
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الإغضاء عن تعهد
اللسان ، لأن من كثّر كلامه كثّر سقطه ، والسقط ربما تعدى غيره فيهلكه
(١) التخوت : جمع تحت ، وهو كل ما يحفظ فيه الثياب .

في ورطة لاحيلة له في التخلص منها ، لأن اللسان لا ينمّل جرحه ولا يلتئم ما قطع به ، وكلمة القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدة طويلة ، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة ، ومن الناس من لا يكرم إلا لسانه ، ولا يهان إلا به ، فالواجب على العاقل أن لا يكون ممن يهان به .

أنا عبد الله بن محمد الأنماطي الهمداني ، حدثنا محمد بن عمير ، حدثنا عبد الله بن الحسين العقيلي ، حدثنا أبو سلمة الخراعي ، حدثنا شبيب بن شبة ، قال : سمعت ابن سيرين يقول « الكلام أوسع من أن يكذب فيه ظريف » .
 ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة ^(١)

أنا الفضيل بن الحباب الجُمحي ، حدثنا القَعْنَبِي عن شعبة عن منصور ، عن ربي ، عن ابن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .
 قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الحياء ، لأنه أصل العقل وبذر الخير ، وتركه أصل الجهل وبذر الشر ، والحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل ، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه ، لم ينصفه منهم حقته ، ولقد أحسن الذي يقول :

وليس بمسبوب إلى العلم وانتهى	فَتَى لا تُمرَى فيه خلائق أربُع
فواحدة : تقوى الإله التي بها	يُنال جسيمُ الخير والفضل أجمع
وثانية : صدق الحياء فإنه	طباع عليه ذو المروءة يطبع
وثالثة : حلم إذا الجهل أطلعت	إليه خبايا من خجور تسرعُ
ورابعة : جود بملك يمينه	إذا نابه الحق الذي ليس يدفع

وأشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

(١) القحة - بكسر القاف وفتحها - مصدر قولهم . وقع الرجل - بالضم -

إذا قل حياؤه .

لِإِذَا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ فَلَا خَيْرَ فِي وَجْهِهِ إِذَا قَلَّ مَلَأُوهُ
حَيَاءُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ
أَبْنَانَا أَبُو خَلِيفَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ
أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ « الْأَمُّ شَيْءٌ فِي الْمُؤْمَنِ الْفَحْشُ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْحَيَاءُ اسْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى مَجَانِبَةِ الْمَكْرُوهِ مِنَ الْخُلُصَالِ
وَالْحَيَاءِ حَيَاءُ آدَمَ :

أَحَدُهُمَا : اسْتِحْيَاءُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عِنْدَ الْإِهْتِمَامِ ^(١) بِمُبَاشَرَةِ مَا خَطَرَ عَلَيْهِ .
وَالثَّانِي : اسْتِحْيَاءُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ عِنْدَ الدَّخُولِ فِي مَا يَكْرَهُونَ مِنَ الْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ مَعًا .

وَالْحَيَاءُ آدَمَ جَمِيعًا مَحْمُودَانِ ، إِلَّا أَنْ أَحَدَهُمَا فَرَضٌ وَالْآخَرُ فَضْلٌ ، فَلِزُومِ الْحَيَاءِ
عِنْدَ مَجَانِبَةِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَرَضٌ ، وَلِزُومِ الْحَيَاءِ عِنْدَ مَقَارَفَةِ مَا كَرِهَ النَّاسُ فَضْلٌ .
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْفِ التَّيْمِيِّ قَالَ : أَنْشَدَنِي
رَجُلٌ مِنْ خِزَاعَةِ :

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ ، مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ
حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَاضِي حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ
عَنْ عَقِيلٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ قَالَ يَوْمًا وَهُوَ يَخُطُبُ « أَيُّهَا النَّاسُ ،
اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ لِحَاجَةٍ مِنْذُ بَاهَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ الْغَائِطَ إِلَّا وَأَنَا مُقْنَعٌ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ اللَّهِ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَدَاءُ
مِنَ الْجَهَنَّمَ ، وَالْجَانِي فِي النَّارِ ، إِلَّا أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ فَيُخَلِّصَهُ مِنْهُ .

(١) الْإِهْتِمَامُ : أَرَادَ بِهِ الْهَمُّ بِالشَّيْءِ وَالْعَزْمُ عَلَى فِعْلِهِ .

فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة ، كما أن الواقع إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدوماً وتواتر الشر منه موجوداً ؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزعجات كلها فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إيها ، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إيها .

ولقد أحسن الذي يقول :

وربّ قبيحةٍ ماحلٍ بيني وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ، ولكن إذا ذهب الحياء فلا دواء
وأبنا محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الأعلى
ابن عبد الأعلى حدثنا هشام عن محمد عن كثير بن أفلح عن زيد بن ثابت قال :
« من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعوّد نفسه لزوم الحياء من الناس ، وإن من أعظم بركته تعويد النفس ركوب الخصال الحمودة ومجانبتها الخلال المذمومة ، كما أن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبته مانهى الله عنه ؛ لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معاً فى المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين الخلقين ، وإذا قوى حياؤه قوى كرمه ، وضعف لؤمه ، وإذا ضعف حياؤه قوى لؤمه وضعف كرمه ، ولقد أشدنى على بن محمد البسامى :

إذا رُزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلّب فى الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لشيء يعالجه به فيه غناء
فما لك فى معاتبة الذى لا حياء لوجهه إلا العناء
قال أبو حاتم : إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ، ودفن مساويه ، ونشر محاسنه ، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ، ومن ذهب سروره هان على الناس ومُقت ، ومن مُقت أودى ، ومن أودى حزن ، ومن حزن فقد عقله ، ومن أصيب فى عقله كان أكثر قوله عليه لا له ، ولا دواء لمن لا حياء له ،

ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ومن قل حياؤه صنع ماشاء
وقال ما أحب .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع
إذا كنت تأتى المرء تعظماً حقّه ويجهل منك الحقّ فالصرم أوسع
أبناؤنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عبد الله بن مسعود الثعلبي باليمن حدثنا
أحمد بن زيد بن السكن الجندی عن سفيان بن عيينة قال : قال يحيى بن جعدة
« إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه » .

ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر

أبناؤنا أبو خليفة حدثنا موسى بن إسماعيل التبوذكي حدثنا إسماعيل بن جعفر
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ولا تواضع
أحد لله إلا رفعه الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة
التكبر ، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمد إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد
بذلك رفعةً لكان الواجب عليه أن لا يتزياً بغيره .

والتواضع تواضعان : أحدهما محمود ، والآخر مذموم . والتواضع الحمود :
ترك التطاول على عباد الله ، والإزراء بهم . والتواضع المذموم . هو تواضع المرء
لذى الدنيا رغبةً في دنياه .

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها ، ولا يفارق التواضع
الحمود على الجهات كلها .

ولقد أبناؤنا الحسن بن سفيان ، حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن
عجلان عن بكير بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدى أن عمر بن الخطاب قال « إن



الرجل إذا تواضع لله رفع الله حكمته^(١) ، وقال : انتعش نعشك الله ، فهو في نفسه صغير ، وفي أعين الناس كبير ، وإذا تكبر العبد وعدا طوره وهضمه الله إلى الأرض ، وقال : اخسأ ! اخسأك الله ، فهو في نفسه كبير ، وفي أعين الناس صغير » قال أبو حاتم رضى الله عنه : التواضع يرفع المرء قدراً ، ويعظم له خطراً ، ويزيده نبلاً .

والتواضع لله جل وعز على ضربين :

أحدهما . تواضع العبد لربه عند ما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله ، ولا راء له عنده حالة يوجب بها أسباب الولاية ، إلا أن يكون المولى جل وعز هو الذى يتفضل عليه بذلك ، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العُجب عن الطاعات والتواضع الآخر : هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المسأثم حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنایات .

كما أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزنى قال : قال أبى « يا بنى لو لم أحضر الموسم لرجوت أن يغفر لهم » .

أنبأنا عبد الرحمن بن يحيى بن معاذ البزاز ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا ابن ضَمِيع ، حدثنا زهير بن محمد عن ابن جريج عن مجاهد في قوله (كانوا لنا خاشعين) قال « متواضعين » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم مجانية التكبر ، لما فيه من الخصال المذمومة .

(١) الحكمة - بفتحات - حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحسكه تمنعه عن مخالفة رابكه ومنه حديث عمر « إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته » ورفعهما كناية عن الاعزاز ، لأن من صفة الدليل تنكيس رأسه .

إحداها : أنه لا يتكبر على أحد حتى يعجب بنفسه ، ويرى لها على غيرها الفضل ؟
والثانية : ازدراؤه بالعالم ، لأن من لم يستحق الناس لم يتكبر عليهم ، وكفى
بالمستحق لمن أكرمه الله بالإيمان طغيانا .

والثالثة : منازعة الله جل وعلا في صفاته ، إذ الكبرياء والعظمة من صفات
الله جل وعلا ؛ فمن نازعه إحداها أتاه في النار ، إلا أن يتفضل عليه بعفوه .
ولقد أحسن الذي يقول :

التيه مفسدة للدين ، منقصة للعقل ، مهتكة للعرض ، فانتبه
لا تشهرهن ؛ فإن النل في الشره والعز في الحلم لافي البطش والسفه

سمعت محمد بن محمود النسائي يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول سمعت
الأصمعي يقول : سمعت يحيى بن خالد البرمكي يقول « الشريف إذا تقرأ (١) »
تواضع ، والدنيء إذا تقرأ تكبر »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يمتنع من التواضع أحد ، والتواضع يكسب
السلامة ، ويورث الألفة ، ويرفع الخقد ، ويذهب الصد ، وثمره التواضع المحبة ،
كما أن ثمره القناعة الراحة ، وإن تواضع الشريف يزيد في شرفه ، كما أن تكبر
الوضيع يزيد في ضعفه ، وكيف لا يتواضع من خلق من نطفة مَذْرَةٍ ، وآخره
يعود جيفة قدرة ، وهو بينهما يحمل العذرة ؟

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت ابن
عيينة يقول : لو قيل : أخرجوا خيار هذه القرية لأخرجوا من لا نعرف ،

وأنشدني الكريزي :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عز وخير وممتعة فكم مات من قوم هم منك أمتع ؟

(١) تقرأ : تنسك .

أنشدنا أبو عروبة أو ابن قتيبة ، أنشدنا المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط :
وكفى بتملمس التواضع رفعةً وكفى بتملمس العلو سفلاً
أبنا ابن خزيمة ، حدثنا محمد بن هشام المروزي ، حدثنا حفص بن غياث
عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : « حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً
ونُجِبَهُ ^(١) تقاد إلى جنبه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أفضل الناس مَنْ تواضع عن رفعة ، وزهد عن
قدرة ، وأنصف عن قوة ، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر ، فلا
يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه ، وعجب المرء بنفسه أحد حساد عقله ،
وما رأيت أحداً تكبر على مَنْ دونه إلا ابتلاه الله بالدلة لمن فوقه .

وأنشدني محمد بن أبي علي الخلادي :

ودع التيه والعبوس على الناس فإن العبوس رأس الهماقة
كلما شئت أن تعادى عادي مت صديقاً وقد تفر الصداقة
قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما استجلبت البغضة بمثل التكبر ، ولا اكتسبت
الحبة بمثل التواضع ، ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ولا يجب
لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ، ولا تكاد ترى تأمها إلا وضيعاً .
فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سناً منه تواضع له ، وقال : سبقني إلى الإسلام ،
وإذا رأى من هو أصغر سناً تواضع له ، وقال : سبقته بالذنوب ، وإذا رأى من
مثله عده أخاً ، فكيف يحسن تكبر المرء على أخيه ، ولا يجب استحقار أحد ،
لأن العود المنبوذ ربما انتفع به فحك الرجل به أذنه .

أخبرنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد ، قال :
سمعت محمد بن شعيب بن شابور يقول « دخل رجل الحمام وزيد بن أبي حبيب

(١) نجب - بضم النون والجيم - جمع نجيب ، وهو الجمل .

فيه ، وكان أسود ، فقال له : يا أسود قم فاغسل رأسى قال : فقام فشد عليه إزاره فغسل رأسه ، وذلك جسده ، فلما فرغ قال له الرجل : كثر الله فى السودان مثلك ، قال : أحببت أن يكثر من يخدمك .

أنبأنا محمد بن زنجويه القشيري ، حدثنا عبد العزيز بن الله المدائني ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال « لو بنى جبل على جبل لدك الله الباغي منهما » .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة قال : « مانسيت شيئاً قط » ثم قال لغلامه « ناولنى نعلى ، قال : نعلك فى رجلك » ^(١) .

أنبأنا عبد الله بن محمد بن عمر ، أنبأنا علي بن خشرم ، قال : سمعت الفضل بن موسى يقول « كان مالك ينسى ، فقال لقهيرمانه ^(٢) : اشترى لى غلاماً وسمه باسم خفيف حتى لا أنساه ، قال فاشترى له غلاماً ، وأدخله عليه . فقال : اشتريت لك هذا الغلام ، وسميته باسم خفيف ، قال : ماسميته ؟ قال : قرقد ، قال : فنظر إلى الغلام ، وقال : اجلس يا واقد »

ذكر استحباب التحجب إلى الناس من غير مقارفة المأثم ^(٣)

أنبأنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار ببغداد ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة ، عن موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن عمرو الأزدي ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحرم على النار كل هين لين قريب سهل » ^(٤) .

(١) العبرة فى هذا : أنه أنسى ما لا يصح أن ينسى ، فكان دليلاً على فساد دعواه

(٢) القهريمان : الخادم . ومالك : هو ابن أنس إمام دار الهجرة .

(٣) أى مع التحفظ والحذر أن يدنو مما فيه إثم وخطيئة لغضب الله .

(٤) هين : ليس نافرأً مستعصياً . لين الجانب : ليس خشناً قريب الخلق ليس شكساً

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يتجنب إلى الناس بلزوم حسن الخلق : وترك سوء الخلق ؛ لأن الخلق يذيب الخطايا ، كما تذيب الشمس الجليد ، وإن الخلق السيء يفسد العمل ، كما يفسد الخلُّ العسل ، وقد تكون فى الرجل أخلاقٌ كثيرةٌ صالحةٌ كلها ، وخلق سيء ، فيفسد الخلق السيء الأخلاق الصالحة كلها . وأنشدنى البغدادى :

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلباً على الناس يهر
والقهم منك يبشر ، ثم صن عنهم عرضك عن كل قدر
أنا أنا حامد بن شعيب البلخي ببغداد ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا سفيان عن إبراهيم عن ميسرة عن طاوس قال : سمعت ابن عباس يقول « إن الرحم تقطع ، وإن النعم تكفر ، ولم أر مثل تقارب القلوب » .

أنا أنا الخلالدى ، حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى ، حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا إبراهيم بن الأشعث ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول « إذا خالطت فخالط حسن الخلق ، فإنه لا يدعو إلا إلى خير ، وصاحبه منه فى راحة ولا تحالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر ، وصاحبه منه فى عناء ، ولأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحبُّ إلى من أن يصحبنى قارىء سيء الخلق ، إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه ، وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه » .

وأنشدنى محمد بن المهاجر المعدل ، أنشدنى محمد بن إبراهيم اليعمرى :
حافظ على الخلق الجميل ومُر به ما بالجميل وبالقيح خفاء
إن ضاق مالك عن صديقك فالقه بالبشر منك إذا يحين لقاء
أنا أنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني ، حدثنا يحيى بن حكيم المقومى ، حدثنا الخليل بن عبد العزيز ، قال : سمعت حماد بن سلمة يقول « الصوم

في البستان من النخل» (١).

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حسن الخلق بذّر اكتساب الحبة ، كما أن سوء الخلق بذّر استجلاب البغضة ، ومن حُسن خُلقه صان عرضه ، ومن ساء خُلقه هتَكَ عرضه ؛ لأن سوء الخلق يورث الضغائن ، والضغائن إذا تمكنت في القلوب أورثت العداوة ، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدين أهوت صاحبها إلى النار ، إلا أن يتداركه المولى بتفضل منه وعفو .

أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا أبو حاتم الرازى ، حدثنا أبو عمير النخاس ، حدثنا ضُمرة ، عن رجاء بن أبى سلمة عن الزهرى قال « وهل يُنتفع من السيِّء الخلق بشيء ؟ » .

وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

للخير أهْلٌ لا تَزَالُ وجوههم تدعو إليه
طوبى لمن جَرَّتْ أُمُورُ الصالحات على يديه
مالمْ يَضُقْ خُلُقَ الفقى فالأرض واسعة عليه

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون عن موسى بن عبيد ، عن ميمون بن مِهْران قال « التودُّد إلى الناس نصفُ العقل ، وحسن المسألة نصفُ العلم ، واقتصادك في معيشتك يُلقى عنك نصفُ المؤونة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : التحبب إلى الناس أسهل ما يكون وجهاً ، وأظهر ما يكون بشراً ، وأحصر ما يكون أمراً ، وأرق ما يكون نهياً ، وأحسن ما يكون خُلُقاً ، وألين ما يكون كَنَفاً ، وأوسع ما يكون يداً ، وأدفع ما يكون أذى ، وأعظم ما يكون احتمالاً ، فإذا كان المرء بهذا النعت لا يَحْزَنُ من يحبه

(١) أى صوم التنفل مع وجود الرفقة الذين خرجوا للزُهة والتفرج في بستان كثير الفاكهة التى قلما ينالها طلاب العلم ، فمن صام كذلك كان منتظماً .

ولا يَفْرَحُ من يحسُّده ؛ لأن من جعل رضاه تبعاً لرضا الناس^(١) ، وعاشرهم من حيث هم استحق الكمال بالسؤدد . وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أعاشر معشَري في كل أمرٍ بأحسن ما أُرِيتُ وما رأيتُ
واجتنب المقابح حيث كانت واطرك ماهويتُ وما فرَيتُ^(٢)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : حاجة المرء إلى الناس مع محبتهم إياه خير من غناه عنهم مع بغضهم إياه ، والسبب الداعي إلى صدِّ محبتهم له : هو التضايق في الأخلاق ، وسوء الخلق ؛ لأن من ضاق خلقه سئمه أهله وجيرانه ، واستثقله إخوانه ، حينئذ تَمَنُّوا الخلاص منه ، ودعوا بالهلاك عليه .

سمعت عمر بن سعيد بن سنان الطائي يقول : سمعت أبا الحسن الرهاوى يقول : سمعت يزيد بن هارون يقول :

فَقَدْتُ ثَقَالَ النَّاسَ فِي كُلِّ بَلَدٍ فَيَارِبُّ لَا تَغْفِرْ لِكُلِّ ثَقِيلٍ
أُنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْبَلْخِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْخَافِظُ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرُو بْنَ الْحَارِثِ يَقُولُ : تَسْخِنُ الْعَيْنُ
النَّظَرَ إِلَى مَنْ تَكَرَّرَ^(٣) .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الاستئصال من الناس يكون سببه شيئين : أحدهما : مقارفة المرء مانهه الله عنه من المآثم ؛ لأن من تعدى حرمان الله أبغضه الله ، ومن أبغضته الله أبغضه الملائكة ، ثم يوضع له البغض في الأرض ،
(١) على شرط أن لا يرضيهم بما يغضب الله ، ويعنى بذلك أن يكون موطأ الكف يألّف ويؤلّف .

(٢) وما فرِيت : أى ما أتيت من الأعمال العجيبة . يقال : « وفلان يفرى الفرا » . إذا كان يأتى بالعجب . اه من لسان العرب .

(٣) من قولهم « أسخن الله عينه » أى أحزنه ، كما قالوا « أقر الله عينه » إذا دعوا بأن يسره ويفرحه .

فلأيكاد يراه أحد إلا استنقله وأبغضه .

والسبب الآخر : هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه ، فإذا كان كذلك استحق الاستنقال منهم . وأنشدني الكريزي :

ليتني كنت ساعةً ملك الموت ، فأفنى الثقال حتى يبيدوا .
ولَوْ أَنِي وَأَنْتَ فِي جَنَّةِ الْخَالِدِ لَقُلْتُ : الْخُرُوجَ مِنْهَا أُرِيدُ .
لِدُخُولِ الْجَحِيمِ أَهْوَنُ مِنْ جَنَّةِ خَلِيدٍ ، أَرَأَيْكَ فِيهَا تَرُودُ .
أَبَانَا عَمْرُ بْنُ حَفْصِ الْبَزَازِ بِمَجْدِيسَابُورِ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ الضَّيْفِ حَدَّثَنَا
أَبُو مَسْرُورٍ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يَحْيَى قَالَ « كَانَ نَقْشُ خَاتَمِ أَبِيكَ - يَعْنِي أَبَا أَبِي مَسْرُورٍ -
أَبْرَمَتْ ^(١) قَعْمٌ ، قَالَ : فَكَانَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَتَنَاقَلَ حَرَكُ خَاتَمِهِ ، وَقَالَ :
اقْرَأْ نَقْشَ خَاتَمِي ، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ قَامَ » .

أَبَانَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ
إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ رَبَاحٍ قَالَ : سَمِعْتُ مَخْلَدًا أَبَا أَبِي عَاصِمٍ يَقُولُ : إِذَا
أَبْغَضْتَ الرَّجُلَ أَبْغَضْتَ شِقِيَّ الَّذِي يَلِيهِ .

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ السَّرِيِّ الْبَغْدَادِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَ الْمُرُوزِيَّ يَقُولُ :
سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ عَنِ الثَّقَلَاءِ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ عَنْهُمْ بَشَرًا خَلَفِي ، فَقَالَ :
النَّظَرَ إِلَيْهِمْ سُخْنَةُ الْعَيْنِ ، قُلْتُ لِأَحْمَدَ : مِنَ الثَّقَلَاءِ ؟ قَالَ : أَهْلُ الْبِدْعِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . هَذَا الَّذِي قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
هُوَ اسْتِنْقَالُ الْخَاصِّ : إِذَا عَرَفَ أَحَدُهُمْ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ ثَلَمًا فِي السَّنَةِ ^(٢) أَبْغَضَهُ
عَلَى بَدْعِهِ ، فَأَمَّا الْعَامُ ^(٣) فَلَا يَكَادُونَ يِعَادُونَ وَيُوَالُونَ إِلَّا عَلَى الْحُبُوبِ مِنَ

(١) تقول : أبرم الرجل إبراما : أي أضجره وأمله وأسأمه .

(٢) الثلثة : فرجة الكسور والهدوم ، ويعني به التجافي عن السنة

(٣) أي العامة والجمهور من الناس

الخصال ، والمكروه من الفعال ، ألا ترى المقنع الكندي حيث يقول لبعض من صحبه :

ألا يا مَرَّ كَبَ المَقْتِ الذي أَرَسَى ، فلا يبرخ
ويا من سكراتُ المَوْتِ من طلعتهُ أرواحُ^(١)
لقد صَوَّرَتْ في فكري فلا أدري لما تصلح ؟
فلا تصلح أن تهجى ولا تصلح أن تمدح
بلى ، تصلح أن تُقتل أو تصلب أو تُذبح

سمعت أحمد بن محمد البلخي الذهبي يقول : قال محمد بن أبي الورد قال يحيى ابن ماسويه : النظر إلى الثقل حُمَّى تعترى بين الجلدين ،

حدثنا أحمد بن عمر بن يزيد يقول . سمعت سلمة بن شبيب يقول : سمعت
أبا أسامة يقول : اثْنُونِي بِمُسْتَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى الْفَوَادِ ، وَإِيَّائِي وَالتَّقْلَاءِ .

أَبَانَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ
ابن المنذر حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن سيرين قال : سمعت رجلا من
أهل البادية يقول : نظرت إلى ثقل مرة فغشي على .
وأنشدني المنتصر بن بلال :

وَأَنْتَ عَلَى مَوَدَّتِنَا حَرِيصٌ وَلَكِنْ لَا تُخَفُّ عَلَى الْفَوَادِ
وَأَنْقَلُ مِنْ رَحَا بَزَّرَ عَلَيْنَا^(٢) كَأَنَّكَ مِنْ بَقَايَا قَوْمٍ عَادِ
حدثنا إبراهيم بن مضر بن عنبر حدثنا يوسف بن عيسى حدثنا وكيع حدثنا
أبو سهل عن إبراهيم بن بكير قال : كان أبو هريرة إذا استنقل جليسا له قال
« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُ ، وَأَرْحَمْنَا مِنْهُ فِي عَاقِبَةِ » .

(١) من الراحة : أي أكثر راحة

(٢) أي الرحي إذا طحن حب البزر الرطب بخلاف الرجا يطحن بها ما يعد
بالتجفيف للطعام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الخصال التى تورثه استئثار الناس إياه ، وملازمة الخصال التى تؤديه إلى محبتهم إياه .

ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ويستجلب به محبتهم : البذل لهم مما يملك المرء من حطام هذه الدنيا ، واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى .

فلو أن المرء صحبه طائفتان : إحداهما تحبه ، والأخرى تبغضه ، فأحسن إلى التى تبغضه ، وأساء إلى التى تحبه ، ثم أصابته نكبة فاحتاج إليهما ، لكان أسرعهما إلى خلانه وأبعدهما عن نصرته . الطائفة التى كانت تحبه ، وأسرعهما إلى نصرته وأبعدهما عن خذلانه الطائفة التى كانت تبغضه ، لأن الكلب إذا شبع قوى ، وإذا قوى أتل ، وإذا أمل تبع المأمول ، وإذا جاع ضعف ، وإذا ضعف أيس ، وإذا أيس ولى عن المتبوع .

فن عدم المال فلييسط وجهه للناس^(١) . فإن ذلك يقوم مقام بذل المعروف ، إذ هو أخذ طرفيه .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا هارون بن عبد الخالق المارنى قال : سئل ابن المبارك عن حسن الخلق ، فقال « هو بسط الوجه ، وبذل المعروف » .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث حدثنا محمد بن القاسم الأسدى عن منحة بن عمرو قال « خرج غلام لنا بقمامة الدار ، أو بكناسة الدار عريان ، وسعيد بن جبير على الباب ، فقال : يا خبيث ارفع إزارك » .

أنبأنا محمد بن إبراهيم البدورى بالبصرة حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادى حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : إذا لقي المسلم أخاه فصاحه وكشر^(٢) فى وجهه تحت ذنوبه ، كما تحت العذق من النخلة . فقال

(١) أى يسعهم بيشره وحسن أخلاقه ، حيث لم يسعهم بماله ، فإن فى الأثر « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » .

(٢) كشر : تبسم وضحك ، لأنه يقال : كشر عن أسنانه أى أبدأها .

رجل لمجاهد : يا أبا الحجاج ، إن هذا من العمل اليسير . فقال مجاهد : (٨ : ٦٢)
هو الذى أيدك بنصره وبلؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم) أفيسير هذا ؟ .

ذكر استعمال لزوم المداراة ، وترك المداهنة مع الناس

أبنا محمد بن قتيبة اللخمى بعسقلان وعمر بن سعيد بن سنان الطائى
بمنهج قالا : حدثنا ابن واضح حدثنا يوسف بن أسباط حدثنا سفيان عن محمد
ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مداراة الناس
صدقة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم المداراة مع من
دفع إليه فى العشرة من غير مقارفة المداهنة ، إذ المداراة من المداوى صدقة له ،
والمداهنة من المداهن تكون خطيئة عليه ، والفضل بين المداراة والمداهنة :
هو أن يجعل المرء وقته فى الرياضة لإصلاح الوقت الذى هو له مقيم يلزوم المداراة
من غير ثلم فى الدين من جهة من الجهات ، ففى ما تخلق المرء بخلق شاب^(١)
بعض ما كره الله منه فى تخلقه ، فهذا هو المداهنة ، لأن عاقبتها تصير إلى قتل
ويلزم المداراة ؛ لأنها تدعو إلى صلاح أحواله ، ومن لم يدار الناس ملأه كما
أنشدنى على بن محمد البسلى :

دار من الناس ملالاتهم من لم يدار الناس ملأه
ومكرهم الناس حبيب لهم من أكرم الناس أحبوه

أبنا محمد بن أحمد بن أبى عون المرباطى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن
المبارك عن الحسن بن عمرو عن منذر الثورى عن ابن الحنفية قال « ليس بمحكم
من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدءاً ، حتى يأتية الله منه بالفرج
أو الحرج » .

(١) أى : خالطه . يقال : شاب اللبن ماء ، أى خلطه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يدارى الناس مداراة الرجل السامح في الماء الجاري ، ومن ذهب إلى عشرة الناس من حيث هو كدَّار على نفسه عيشه ، ولم تصف مودته ؛ لأن وداد الناس لا يستجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه إلا أن يكون مائماً ، فإذا كانت حالة معصية فلا سمع ولا طاعة ، والبشر قد ركب فيهم أهواء مختلفة وطبائع متباينة ، فكما يشق عليك ترك ما جُبلت عليه ، فكذلك يشق على غيرك مجانبته مثله ، فليس إلى صفو ودادهم سبيل ، إلا بمعاشرتهم من حيث هم ، والإغضاء عن مخالفاتهم في الأوقات ، أنشدني الأبرش :

وقالت وهزت رأسها وتضاحكت على الود تجفنى ، أم على العهد توصل ؟
فقلت : فلم أفعل ، فقالت : تريد ؟ فقلت : فلم أفعل ، فقالت : ستفعل
أنا أنا ابن قحطبة جدنا أحمد بن المقدم حدثنا حرم ^(١) قال : سمعت حبيب
ابن الشهيد يقول : سمعت الحسن يقول « يا ابن آدم ، اصحب الناس بأى خلق
سئت يصحبوك عليه » وأنشدني الكريزى :

لجئنى على بما قد جنى ويُعَلِّظ في القول إن لنت له
ويسبق بالعدل لى ظلماً كأن الصواب له لآلية
كما قال فى مثل عالم خذ اللص بالذنب لا تُغفله ^(٢)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من التمس رضا جميع الناس التمس مالا يُدرك ،
ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بدءاً ، وإن دفعه الوقت إلى
استحسان أشياء من العادات كان يستقيحها ، واستقيح أشياء كان يستحسنها ،
مالم يكن مائماً ؛ فإن ذلك من المداراة ، وما أكثر من دارى فلم يسلم ، فكيف

(١) فى الخلاصة فى ترجمة أحمد بن مقدم : وروى عن حماد بن زيد ، وجزم القطيعى - بالجيم والزاي .

(٢) من أمثال العرب « خذ اللص قبل أن يأخذك » .

توجد السلامة لمن لا يدارى ؟ أنشدنى محمد بن عبد الله البغدادى :

يا ذا الذى أصبح لا والد له على الأرض ولا والده
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالدة ؟
إن جئت أرضاً أهلها كلهم غورٌ فغمض عينك الواحد

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون ،
حدثنا معاذ بن سعد الأعور قال « كنت جالساً عند عطاء بن أبى رباح فحدث
رجل بحديث ، فعرض رجل من القوم فى حديثه ، قال : فغضب ، وقال : ماهذه
الطباع ؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به ، فأريه كأننى لأحسن منه
شيئاً » .

أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن محمد الصيداوى حدثنا حماد بن إسحاق
عن المدائنى ، قال : قال معاوية « لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ،
قيل : وكيف ؟ قال : لأنهم إن مدُّوا خَلَّتْها ، وإن خَلَّوْا مددتها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون
من المكروه ، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب ، كان إلى تكدير عيشه أقرب
منه إلى صفائه ، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه إلى أن
ينال منهم الوداد ، وترك الشحناء ، ومن لم يدارِ صديق السوء كما يدارى صديق
الصِّدْق ليس بحازم ، ولقد أحسن الذى يقول :

تجنب صديق السوء واصرمْ حباله وإن لم تجد عنه محيصاً فداره
وأحبب حبيب الصديق واحذر مرأه تنكُلْ منه صفو الوُدِّ ما لم تماره

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا إبراهيم الحورانى ، حدثنا أبو مسهر ، حدثنا
سهل بن هاشم عن إبراهيم بن أدهم قال : قال أبو الدرداء لأم الدرداء « إذا
غضبتُ فرَضِّينى ، وإذا غضبت رَضِّيتك ، فإذا لم نكن هكذا ما أسرع ما نفترق »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا دفعه الوقت إلى صحبة من لا يثق

بصداقته ، أو صداقة من يثق بأخوته ، فرأى من أحدها زلةً فرفضه لزلته ،
بقى وحيداً لا يجد من يعاشره ، فريداً لا يجد من يخادنه ، بل يُغضى على الأخ
الصديق زلاته ، ولا يناقش الصديق السيء على عثراته ؛ لأن المناقشة تلزمه في
تصحيح أصل الوداد أكثر مما تلزمه في فرعه .

ومن أنواع المداراة : ما حدثني الحسن بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن أحمد
ابن شبيب ، حدثنا الحسن بن واقع ، حدثنا ضمرة عن ابن شاذب قال « كانت
لرجل جارية ، فوطئها سراً ، فقال لأهله : إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة ،
فاغتسلوا ، فاغتسل هو واغتسل أهله ، قال ابن شاذب : وكانت مريم تغتسل في
كل ليلة » .

وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

أغمض عيني عن صديقي ، كأنني لديه بما يأتي من القبح جاهلٌ
وما بي جهل ، غير أن خليقتي تطيق احتمال الكره فيما أحاول
متى ما يريني مفصل ففقطعه بقيت ومالي في نهوضي مفصل (١)
ولكن أداريه ، وإن صح شدي فإن هو أعيان كان فيه تحامل (٢)
أبنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن
أبي السائب قال : قال علي « لا تعامل بالخديعة ، فإنها خلقت للثام ، والمحض أخاك
النصيحة حسنة كانت أم قبيحة ، وساعده على كل حال ، وزل معه حيث زال »

- (١) يقول : لو أني كلما رابني من صديق أمر يسبب فصل ما بيننا من مودة
لم أجد عند احتياجي إلى من ينهض بي عند عثرتي صديق ، كما قال بشار بن برد :
إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعلش واحداً أوصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
(٢) يقول : إن من الحكمة أن أداري صديقي وأغض عن زلاته ، حتى إذا صح
وده قويت به ، وأعطاني شدة في أمري ، وإن ضعف وعجز وجدت منه بعض
ما يتحمل به من قوة أتتفع بها .

ذكر استحباب إفشاء السلام، وإظهار البشر والتبسم

أنبأنا أحمد بن صالح الطبري حدثنا الفضل بن سهل الأعرج ، حدثنا محمد ابن جعفر المدائني ، حدثنا ورقاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السلام اسم من أسماء الله ، وضعه في الأرض ، فأفشوه بينكم ؛ فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بالقوم فسلمَّ عليهم فردُّوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام ، فإن لم يردوا عليه ردَّ عليه مَنْ هو خير منهم وأطيب » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يلزم إفشاء السلام على العام ؛ لأن من سلمَّ على عشرة كان له عتق رقبة ، والسلام مما يذهبُ إمشاؤه بالمسكتين من الشحناء ^(١) ، وما في الخلد من البغضاء ، ويقطع الهجران ، ويصافي الإخوان :

والبادئ بالسلام بين حسنتين : إحداهما : تفضيل الله عز وجل إياه على المسلم عليه بفضل درجة ، لتذكيره إياهم بالسلام ، وبين ردِّ الملائكة عليه عند غفلتهم عن الرد .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد حدثنا جرير ، قال : قال زيد اليامي ^(٢) « إن أجود الناس من أعطى مالا لا يريد جزاءه ؛ وإن أحسن الناس عفواً من عفا بعد قدرة ، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه ، وإن أبجل الناس من بخل بالسلام » .

أخبرنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن

(١) المسكتين : ما أكنه الضمير فأخفاه . والشحناء : الخصومة . والخلد - بفتح الحاء واللام - البال والقلب والنفس . وجمعه : أخلاذ . يقال « وقع ذلك في خلدي » أى في روعى وقلبي . (٢) هو زيد - مصغرا - بن الحارث ، - اليامي ، ويقال : الإيامي .

صَلَّةَ بْنِ زُفَرِ الْعَبْسِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ قَالَ « ثَلَاثٌ مِنْ جَمْعِهِنْ جَمْعُ الْإِيمَانِ : الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ » .
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَسْلِمَ عَلَيْهِ مُتَبَسِّمًا إِلَيْهِ فَإِنَّ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ تَحَاتُّ عَنْهُمَا خَطَايَاهُمَا كَمَا تَحَاتُّ (١) وَرَقُّ الشَّجَرِ فِي الشِّتَاءِ إِذَا يَبَسَ ، وَقَدْ اسْتَحَقَّ الْحُبَّةُ مِنْ أَعْطَاهُمْ بَشَرُ وَجْهِهِ .

وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهَاجِرِ الْمَعْدِلِ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْعَنْبَرِيُّ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدِ الْجَوْهَرِيِّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَادٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْخَمْسِ قَالَ : قِيلَ لَهُ « مَا أَبْشَكَ ؟ » قَالَ : إِنَّهُ يَقُومُ عَلَى بَرَخِيصٍ (٢) وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :
أَخُو الْبَشَرِ مَحْبُوبٌ عَلَى حَسَنِ بَشَرِهِ وَلَنْ يَعْدِمَ الْبَغْضَاءُ مَنْ كَانَ عَابِسًا
وَيَسْرِعُ يُحْلُ الْمَرْءُ فِي هَتَكِ عِرْضِهِ وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْجُودِ لِلْمَرْءِ حَارِسًا
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْبَشَاشَةُ إِدَامُ الْعُلَمَاءِ وَسَحَابَةُ الْحُكَمَاءِ ، لِأَنَّ الْبَشَرَ يَطْفِئُ نَارَ الْمَعَانِدَةِ ، وَيَحْرِقُ هَيْجَانَ الْمُبَاغِضَةِ ، وَفِيهِ تَحْصِينٌ مِنَ الْبَاغِي ، وَمَنْجَاةٌ مِنَ السَّاعِي (٣) ، وَمَنْ بَشَّ لِلنَّاسِ وَجْهًا لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ بَدُونُ الْبَاذِلِ لَهُمْ مَا يَمْلِكُ .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْقُرَازِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبَادِيُّ حَدَّثَنَا سُؤِيدٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَسْهَرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ « أَخْبَرْتُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : يَا بَنِي ، لِيَكُنْ وَجْهُكَ بَسْطًا ، وَلِتَكُنْ كَلْمُكَ طَيِّبَةً - تَكُنْ أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِنْ أَنْ تُعْطِيَهُمُ الْعَطَاءَ .

وَأَنْشَدَنِي الْخِلَادِيُّ أَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ بَكْرِ بْنِ خَالِدٍ الْيَزِيدِيُّ لِسَعِيدِ بْنِ عُبَيْدِ الطَّائِي :

(١) تحات : سقط لحفافه وييسه .

(٢) يقول : إن البشاشة رخصة لا تكلفه مالا ولا جهداً ، وإنها غالية وقيمة ، لأنها تجذب القلوب ، وتقتلع أسباب البغضاء .

(٣) الذي يسعى بالوقعة ليفرق بين الأوجه .

إِلَى بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ولا قيمهم بالطلاقه
تجن منهم جني ثمار، فخذها طيباً طعمه لذيد المذاقه

أخبرنا محمد بن صالح الطبري حدثنا محمد بن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن
سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي قال « يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك
فأما من تلقاه يبشر ويلقاك بعبوس يمتن عليك بعمله ، فلا أكثر الله في القراء
ضرب هذا ^(١) » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل إذا رزق السلوك في ميدان
طاعة من الطاعات إذا رأى من قصر في سلوك قصده أن يعبس عليه بعمله وجهه ،
بل يظهر البشر والبشاشة له ، فلعله في سابق علم الله أن يرجع إلى صحة الأوبة
إلى قصده مع ما يجب عليه من الحمد لله والشكر له على ما وفقه لخدمته ، وحرّم
غيره مثله :

أخبرنا محمد بن أبي علي الخلابي أخبرني محمد بن موسى السمرى أن حماد
ابن إسحاق أنشدهم :

فتي مثل صفو الماء ، أما لقاؤه فبشر ، وأما وعده فجميل
يسرك مفرّاً ، ويشرق وجهه إذا اعتلّ مذموم الفعل بخيل
عبي عن الفحشاء ، أما لسانه فعفّ ، وأما طرفه فكليل
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

لن تستم جيلاً أنت فاعله إلا وأنت طليق الوجه بهلول
ما أوسط الخير فابسط راحتك به وكن كأنك دون الشر مغلول
أبنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل

(١) الضرب والضريب . مثل في الشكل والقدر والخلق . ويقال « فلان ضريب
فلان » أي نظيره وشبيهه . والجمع ضروب وضرائب .

حدثنا أبو عوانة عن اسماعيل بن سالم عن حبيب بن أبي ثابت قال « من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم » .

ذكر ما أيسح من المزاح للمرء ، وما كره له منه

أنبأنا أحمد بن علي بن المثني حدثنا هذبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان له خادم يقال له : أنجشة ، وكان حسن الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنجشة لا تكسر القوارير ^(١) » قال قتادة : يعنى ضعفة النساء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح ، وترك التعبس .

والمزاح على ضربين : فمزاح محمود ، ومزاح مذموم .

فأما المزاح المحمود : فهو الذى لا يشوبه ^(٢) ما كره الله عز وجل ، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم .

وأما المزاح المذموم : فالذى يثير العداوة ، ويذهب البهاء ، ويقطع الصداقة ، ويجرئء الدنىء عليه ، ويحقّد الشريف به .

أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إبراهيم بن محمد الرقي حدثنا أبو موسى الأنصارى حدثنا بكر بن سليم قال : سمعت ربيعة يقول « إياكم والمزاح ، فإنه يفسد المودة ، ويُغلّ الصدر » .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا الفضيل بن الخضر التيمي حدثنا عبد الله ابن حبيب قال : كان يقال « لاتمازح الشريف ، فيحقّد عليك ، ولا تمازح الوضع ، فيجترئ عليك » .

وأشدنى محمد بن عبد الله :

(١) كان أنجشة رضى الله عنه يحدو الإبل وينشطها في السير بحميل صوته ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم « يا أنجشة رفقاً بالقوارير » (٢) يشوبه : يخالطه

أكرم جليسك ، لا تمازح بالأذى إن المزاح تُرى به الأضعاف^(١)
 كم من مزاح جدَّ حبْلَ قرينه فتجدت من أجله الأقران^(٢)
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح فى غير طاعة الله مسلبة للبهاء مقطعة
 للصدقة ، يورث المصن ، وينبت الغل ..

وإنما سبى المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق ، وكم من افتراق بين أخوين ،
 وهجران بين متآلفين ، كان أول ذلك المزاح .

أبنا محمد بن أحمد بن الحسين القرشى حدثنا الأسود بن عامر عن
 أبى إسرائيل عن الحكم قال : كان يقال « لا تمارِ صديقك ولا تمازحه ، فإن
 مجاهداً كان له صديق ، فمازحه ، فأعرض كل واحد منهما عن صاحبه ، فما زاده
 عن السلام حتى مات » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من المزاح ما يكون سبباً تهيج المراء ،
 والواجب على العاقل اجتنابه ؛ لأن المراء مذموم فى الأحوال كلها ، ولا يخلو المامرى
 من أن يفوته أحد رجلين فى المراء : إما رجل هو أعلم منه ، فكيف يجادل من
 هو دونه فى العلم ؟ أو يكون ذلك أعلم منه ، فكيف يمارى من هو أعلم منه ؟ .
 ولقد سمعت حفص بن عمر البزار يقول : سمعت إسحاق بن الضيف يقول :

سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول لابنه كدام :

إنى نخلتك^(٣) . يا كدام نصيحتى فاسمع مقال أبى عليك شقيق

(١) ترى : إما من الرؤية ، فمعناه : تكشف وتظهر به الأضعاف ، وإما من
 الورى . ومعناه : تقذح به نار العداوة ، وتشتعل به نار البغضاء .

(٢) جذ الحبل وجذمه : قطعه ، غير أن الجذ يستعمل كثيراً فى الثمار والزروع ،
 لأن فيه معنى الاستئصال : والجذم فى القطع مع سرعة .

(٣) إما أن يكون بالحاء المعجمة ، من نخل الدقيق : صفاء ، واستخلص تقيه ،
 يقصد أنى استخلصت لك أصدق نصيحة وأصفها ، وإما من النحلة - بالحاء المهملة -
 وهى العطية الخالصة على ود وتكريم .

أما المراحة والمراء فدعهما خلُفان لا أرضاهما لصديق
إني بَلَوْتُهُمَا فلم أحدهما لمجاور جاراً ، ولا لشقيق
والجهل يزري بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق
قال أبو حاتم رضى الله عنه : المراء أخو الشنآن^(١) ، كما أن المناقشة أخت
العداوة ، والمراء قليل نفعه كثير شره ، ومنه يكون السباب ، ومن السباب يكون
القتال ، ومن القتال يكون هراقة الدم^(٢) وما ماري أحد أحداً إلا وقد غير المراء
قلبيهما ، وقد أحسن الذى يقول :

وإياك من حلو المزاح ومراءه ومن أن يراك الناس فيه مماريا
وإن مراء المراء يُخلق^(٣) وجهه وإن مزاح المراء يبدى التشايعا
دعاه مزاح أو مراء إلى التى بها صار مقلِّ الإخاء وقاليا^(٤)
أخبرني محمد بن المنذر حدثني كثير بن عبد الله التميمي حدثني إسماعيل بن محمد
الطلحي حدثنا أبو الأخفش الكنانى أنه قال لابن له :

أَبْنَى لَاتَكَ مَاحِيَتِ مَمَارِيَا ودع السفاهة إنها لاتنفع
لَا تَحْمِلَنَّ ضَغِينَةَ لِقْرَايَةٍ إِنْ الضَّغِينَةُ لِلْقَرَابَةِ تَقْطَعُ
لَا تَحْسِنَنَّ الْحِلْمَ مِنْكَ مَذَلَّةٌ إِنْ الْحَلِيمُ هُوَ الْأَعَزُّ الْأَمْنَعُ
أخبرنا محمد بن إبراهيم الخالدي الهروي حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد
قال : سمعت أبي عن الأوزاعي قال : قال بلال بن سعد « إذا رأيت الرجل
لجوجاً ممارياً معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : المزاح إذا كان فيه إثم فهو يسود الوجه ،

(١) الشنآن : شدة البغض والعداوة .

(٢) « هراقة » أصله إرواقة ، ويقال : أراق ، وهراق ، وأهراق ، بمعنى سفع

وأسال (٣) أخلقت الثوب : أبلت جدته ، وأذهبت روحه وبهجه .

(٤) « المقلِّ » اسم مفعول ، من قليت ، بمعنى : هجرت وأبغضت .

ويُدْمى القلبَ ويورث البغضاء ، ويحيى الضغينة ، وإذا كان من غير معصية
يسلّي الهمَّ ويرقع الخلة^(١) ، ويحيى النفوس ، ويذهب الحشمة ، فالواجب على
العقل أن يستعمل من المزاح ما ينسب بفعله إلى الخلاوة ، ولا ينوى به أذى أحد
ولا سرور أحد بمساءة أحد .

أخبرنا عبد الله بن محمد بن عائذ - كان بهرة - حدثنا أحمد بن عبد الله
ابن حكيم العرياني - قرية من قرى مرو - حدثنا سهل بن يحيى عن أبيه عن
الأعمش عن إبراهيم قال « لا يمازحك إلا من يحبك » .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثنا الصلت بن
مسعود حدثني ابن عيينة قال : أظنني سمعته من داود بن شاور ، عن محمد
ابن المنكدر قال : قالت لى أمى وأنا غلام « لا تمازح الغلمان ، فتهون عليهم ،
أو يحترقوا عليك » .

حدثنا عمرو حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة حدثنا دريد بن مجاشع عن
غالب القطان عن مالك بن دينار قال : قال عمر بن الخطاب « من كثر ضحك
قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عُرف به » .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء حدثنا أبو إسحاق الطالقاني عن
مُبَشَّر بن إسماعيل عن راشد بن أبي قبال قال « استسقى سعيد بن جبير ، فأتيته
بسويق مُحَلَّى ، فقال : ياراشد شكر أزدست شيرين^(٢) » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من مازح رجلا من غير جنسه هان عليه واجترأ

(١) الخلة - بضم الخاء - : الصداقة ، ي رقع ويصلح من الصداقة والحبة
مامزقته الملالة والسأم .

(٢) بالفارسية - الشكر : السكر . أز : من . دست : يد . شيرين : حلو .
ومعناه : السكر يكون من يدك حلوا .

عليه ، وإن كان المزاح حقاً ، لأن كل شيء لا يجب أن يسلك به غير مسلكه ، ولا يظهر إلا عند أهله .

على أنى أكره استعمال المزاح بحضرة العام ، كما أكره تركه عند حضور الأشكال .

ولقد أخبرنا كامل بن مكرم حدثنا ربيعة بن الحارث الجيلاني حدثنا عبد الله ابن عبد الجبار الجارى قال : قال أبو عبد الرحمن الأعرج « كان إبراهيم بن أدهم يحدثنا ويضحكنا ، وإذا رأى غيرنا قال : هذا جاسوس » .

ذكر استحباب الاعتزال عن الناس عاماً

أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم - بيت المقدس - حدثنا عبد الرحمن ابن إبراهيم حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي سعيد الخدري قال « قيل : يا رسول الله ، أى الأعمال أفضل ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قال : ثم ماذا ؟ قال رجل فى شعب من الشعاب يتقى الله ، ويدع الناس من شره » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الاعتزال عن الناس عاماً مع توقى مخالطتهم ؛ إذ الاعتزال من الناس لو لم يكن فيه خصلة تُحمد إلا السلامة من مقارفة المآثم لكان حقيقاً بالمرء أن لا يُكدر وجود السلامة بلزوم السبب المؤدى إلى المناقشة .

ولقد أخبرنى الحسن بن سفيان حدثنا جبان بن موسى ، أنبأنا عبد الله ، أخبرنا شعبة عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص عن عاصم عن عمر بن الخطاب قال : خذوا بحظكم من العزلة » .

أنبأنا عمرو بن سعيد بن سنان الطائى حدثنا حامد بن يحيى البلخى قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول « رأيت الثورى فى المنام ، فقلت له : أوصنى ، فقال : أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس ، أقل معرفة الناس » .

أَبْنَانَا الْقَطَان بِالرَّقَّة حَدَّثَنَا الْمَرْوَزِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ :
رَأَيْتُ ابْنَ السَّمَّاكِ يَكْتُبُ إِلَى أَخٍ لَهُ : إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ لغيرِ اللَّهِ عَبْدًا
مَآوَجَدْتَ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ بُدًّا ، فَافْعَلْ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ لَا يَسْتَعْبِدُ نَفْسَهُ لِأَمْثَالِهِ بِالْقِيَامِ فِي رِعَايَةِ
حَقُوقِهِمْ ، وَالتَّصَبُّرِ عَلَى وُرُودِ الْأَذَى مِنْهُمْ ، مَا وَجَدَ إِلَى تَرْكِ الدَّخُولِ فِيهِ سَبِيلًا ،
لأنَّهُ إِذَا حَسَمَ عَنْ نَفْسِهِ تَرْكَ الْإِخْتِلَاطِ بِالْعَالَمِ ، وَالْمُحَاطَلَةِ بِهِمْ تَمَكَّنَ مِنْ صِفَاءِ
الْقَلْبِ ، وَعَدِمَ تَكَدُّرُ الْأَوْقَاتِ فِي الطَّاعَاتِ :
وَلَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْعَزَلَةَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ مَعَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مَعًا .

كَمَا أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَالِدِيُّ حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الدِّمِشْقِيُّ
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَفَّانَ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ « عَادَ فَضِيلٌ دَاوُدَ
الطَّائِي فَأَغْلَقَ دَاوُدُ الْبَابَ ، وَجَلَسَ فَضِيلٌ خَارِجَ الْبَابِ يَبْكِي ، وَدَاوُدُ دَاخِلَ
الْبَيْتِ يَبْكِي » .

أَبْنَانَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّنْجِيُّ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مَالِكٍ
قَالَ : سَمِعْتُ بَكْرَ مُحَمَّدَ الْعَابِدِ يَقُولُ : قَالَ لِي دَاوُدُ الطَّائِي « يَا بَكْرُ ، اسْتَوْحَشْ
مِنَ النَّاسِ كَمَا تَسْتَوْحَشُ مِنَ السَّبْعِ » .

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْفَرَجِ الْبَغْدَادِيُّ بِالْأَبْلَةِ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمَادٍ بْنِ زِيَادٍ
حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ « رَوَى إِلَى جَنْبِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ كَلْبٌ عَظِيمٌ
ضَخْمٌ أَسْوَدٌ رَابِضٌ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا يَحْيَى ، أَلَا تَرَى هَذَا الْكَلْبَ إِلَى جَنْبِكَ ؟
قَالَ : هَذَا خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوِّءِ » ^(١) .

(١) إِنْ مَا يَمْدَحُونَهُ مِنَ الْعَزَلَةِ وَالِاخْتِبَاءِ عَنِ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ
حَالُ أَهْلِ الْخَيْرِ جَمِيعًا ، وَإِنَّمَا هُوَ حَالُ الضَّعِيفِ ، الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ
مَا يَصَابُ بِهِ مِنْ شُرُورِ الْمُجْتَمَعِ ، وَمَنْ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَا حَالُ وَرَثَتِهِمْ
الصَّادِقِينَ كِبَارِ النُّفُوسِ أَوْلَى الْعَزْمِ وَالِإِحْتِمَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : « الْمُؤْمِنُ =

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى ذهب إليه داود الطائى وضرباؤه من القراء من لزوم الاعتزال من الخالص ، كما يلزمهم ذلك من العام - أرادوا بذلك عند رياضة الأنفس على التصبر على الوحدة ، وإيثار ضد الخلطة على المعاشرة ؛ فإن المرء متى لم يأخذ نفسه بترك ما يبيح له فأنا خائف عليه الوقوع فيما حظر عليه .

وأما السبب الذى يوجب الاعتزال عن العالم كافة : فهو مآرقتهم به من وجود دفن الخير ، ونشر الشر ، يدفنون الحسنة ، ويظهرون السيئة . فإن كان المرء عالماً بدعوه ، وإن كان جاهلاً غيروه ، وإن كان فوقهم حسدوه ، وإن كان دونهم حقروه ، وإن نطق قالوا : مهذار ، وإن سكت قالوا : عيى ، وإن قدر قالوا : مقتّر ، وإن سمح قالوا : مبذر ، فالنادم فى العواقب المخطوط عن المراتب ، من اغتر بقوم هذا نعتهم ، وغره ناس هذه صفقتهم .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل أخبرنى أحمد بن محمد بن بكر الأبنائى عن داود بن رشيد ، قال : حدثنى إبراهيم بن شماس قال : قال لى الأكَاف حفص بن حميد صاحب ابن المبارك بمرور « يا إبراهيم ، صحبتُ الناس خمسين سنة ، فلم أجد أحداً ستر لى عورة ، ولا وصلنى إذا قطعته ، ولا أمنتته إذا غضب ، فلا اشتغال بهؤلاء حمق كثير » .

== القوى خير من المؤمن الضعيف == خير لنفسه ، لأنه يزداد إيماناً وتقوى بأمرهم ونهيهم ، ويزداد يقظة وقوة وصلاً بتجنب ما يرى ويعلم من فسادهم وتحكم أهوائهم فى عقولهم ودينهم ، فإن التزم أهل الخير جميعاً العزلة فمن الناس يبلغهم عن الله إذا انكش الذين يقولون عن أنفسهم إنهم صالحون ؟ ومن ينكر النكر إذا هرب من الميدان من يزعمون أنفسهم أنهم المتقون ؟ أليس بهذه العزلة والانكماش يجد شياطين الفساد الميدان خالياً ، فيغلبوا حتى على من زعموا أنفسهم هاربين وفارين بالعزلة من الميدان ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

وَأَشَدُّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهْجَرِ الْمَعْدِلِيُّ عَلَى بْنِ حَبْرٍ السَّعْدِيِّ :

زَمَانُكَ ذَا زَمَانٍ دَخُولِ بَيْتٍ وَحَفْظِ لِسَانٍ ، وَخَفْضِ صَوْتٍ
قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُ النَّاسِ إِلَّا أَقْلَهُمْ ، فَبَادِرْ قَبْلَ قَوْتِ^(١)
فَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ شَيْءٌ وَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ إِلَّا لِمَوْتٍ
أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : وَفِيمَا قُرَأَتْ
عَنْ نَافِعٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَنَسٍ « أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَاشْوَكٍ
فِيهِ ، فَهَمَّ الْيَوْمَ شَوْكٌ لَا وَرَقَ فِيهِ » .

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلَى الْخِلَادِيُّ حَدَّثَنَا جَنِيدُ بْنُ حَكِيمٍ الدَّقَاقِيُّ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ
ابْنُ أَبِي شَيْخٍ قَالَ : كَانَ الْقَحْذَمِيُّ يَنْشُدُ كَثِيرًا :

ذَهَبَ الْحُسْنُ وَالْجَمَالُ مِنَ النَّاسِ ، وَمَاتَ الَّذِينَ كَانُوا مِلَاحًا
وَبَقِيَ الْأَسْمَجُونَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ إِنَّ فِي الْمَوْتِ مِنْ أَوْلَئِكَ رَاحًا^(٢)
• قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْبَشَرَ مَجْبُولُونَ عَلَى أَخْلَاقٍ
مُتَبَايِنَةٍ ، وَشَيْءٍ مُخْتَلَفٍ ، فَكُلُّ وَاحِدٍ يُحِبُّ اتِّبَاعَ مُسَاعِدَتِهِ ، وَتَرْكُ مُبَايَعَتِهِ ،
فَمَتَى رَامَ مِنْ أَخِيهِ ضِدَّ مَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ قَلَاءَهُ^(٣) ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ مِنْهُ خِلَافٌ
مَا أَضْمَرَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ مَلَّةً ، وَمَنْ الْمَلَالُ يَكُونُ الْاسْتِقْبَالُ ، وَمَنْ الْاسْتِقْبَالُ يَكُونُ
الْبُغْضُ ، وَمَنْ الْبُغْضُ تَهْيِيجُ الْعَدَاوَةِ ، فَالِاسْتِغْنَالُ هَذَا بَيْنَ نَعْتِهِ لِلْعَاقِلِ حَقٌّ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ النَّبَاجِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

أَرْفُضُ النَّاسَ ، وَكُلَّ مَشْغَلَهُ قَدْ بَخِلَ النَّاسَ بِمِثْلِ خَرْدَلِهِ

* لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَسْلاً مِنْ أَنْتَ لَهُ *

(١) مَرَجَتْ : اخْتَلَطَتْ . فَلَمْ يَدْرِ صَادِقُ الْعَهْدِ مِنْ مَائَتِهِ .

(٢) بَقِيَ : هَذِهِ لُغَةٌ طَيِّبَةٌ ، يَفْتَحُونَ مَا انْكَسَرَ قَبْلَ الْآخِرِ مِنَ الْمَعْتَلِ فَتَنْتَلِبُ

بِأَوِّهِ أَلْفًا ، فَيَقُولُونَ : رَضِيَ ، وَبَقِيَ ، وَفَتَى ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

(٣) قَلَاءَهُ : كَرَاهَهُ ، وَمُضَارَعَهُ يَقْلُوهُ ، وَيَقْلِيهِ .

وأنشدني ابن أبي علي قال : أنشدني محمد بن يعقوب العبدى :
إذا قلت : هذا صاحب قد رضىته وقرت به عيناي بدلت آخره ،
وذلك : أنى لا أصاحبُ صاحباً من الناس إلا خانتى وتغيرا
أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا أحمد بن أبي الجوارى حدثنا أبو مسهر
عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال مكحول « إن كان فى مخالطة الناس خير
فالعزلة أسلم » .

أبنا على بن سعيد العسكرى حدثنا شعيب بن يحيى حدثنا أحمد النسائى
حدثنا يحيى بن عبد الأعلى أن مالك بن دينار كان يقول « من لم يأنس بحديث
الله عن حديث الخلقين فقد قلَّ علمه وعمي قلبه ، وضع عمره » .
أبنا القطان حدثنا أحمد بن أبي الجوارى حدثنا محمد بن روح قال : سمعت
إبراهيم البخارى يقول : دخلت المسجد الحرام بعد المغرب ، فإذا فضيل جالس ،
فجئت فجلست إليه ، فقال : من هذا ؟ فقلت : إبراهيم ، قال : ماجاء بك ؟
قلت رأيتك وحدك ، فجلست إليك ، قال : تحب أن تغتاب ، أو تزين ،
أو ترائى ؟ قلت لا ، قال : قم عنى » .

ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاص

أبنا أحمد بن على بن المثنى بالموصل حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن
سليمان حدثنا ثابت عن أنس قال « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
سلمان وأبي الدرداء ، وآخى بين عوف بن مالك وبين الصَّعْب بن جَثَامَة ^(١)
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يغفل عن مؤاخاة
الإخوان ، وإعداده إياهم للنوائب والجدثان ، لأن من تعزَّى عن موضع سلوته

(١) روى البخارى ومسلم وأبو داود عن أنس قال « حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا مرتين أو ثلاثا »

بأخيه عند المموم والغوم ، كان عقله إلى التقديح أقرب ، ومن النماء أنقص .
ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني حدثنا
يزيد بن خالد الرملي حدثنا سهيل أبو عمرو قال : قال محمد بن واسع « لم يبق من
العيش إلا ثلاث : الصلاة في الجماعة ، ترزق فضلها ، وتكفي سهوها . وكفاف
من معاش ليست لأحد من الناس عليك فيه منة ، ولا لله عليك فيه تبعه ^(١) .
وأخ محسن العشرة ، زُغْتَ قَوْمُكَ » .

أنبأنا عبد الرحمن بن عبد الحسن بمرجان حدثنا محمد بن عبد الله القصار
أنبأنا عبد الرزاق عن ابن المقفع قال « ثلاث من اللذات : محادثة الإخوان* ،
وأكل القديد ، وحكُّ الجرب ^(٢) » .

أنبأنا محمد بن أبي علي حدثنا محمد بن هريم الشيباني أنشدنا محمد بن عمران
الضبي :

وما المرء إلا بإخوانه كما تقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجزم
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يعد في الأدواء إخوان
من لم يؤاتيه الضراء ، ولم يشاركه في السراء ، وربُّ أخى إخوان خيرٌ من أخى
ولادة ، ومن أتمَّ حفاظ الأخوة تفقد الرجل أموراً من يوده .
والوُدُّ الصحيح هو الذى لا يميل إلى نفع ، ولا يفسده منع ، والمودة أمنٌ ،
كما أن البغضاء خوف .

(١) أى : تبعه كثيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة ، فإن الله
يحاسب عليها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ،
(٢) أما محادثة إخوان الصفاء والصدق فنعيم ، وأما أكل القديد فلا يكون لذيذاً
إلا عند المحصة والفقر ، ونعوذ بالله من الفقر ، وأما الجرب : فنسأل الله العافية ،
فماذا في هذين من لذة ؟

والعاقِل لا يُؤاخى إلا من خالفه على الهوى ، وأعانَه على الرأى ، ووافق سره
 علانيته ، لأن خير الإخوان مَنْ لم يناقش ، كما أن خير الشاء ما كان على أفواه
 الأخيار ، والمستوخَم^(١) لا يُؤلف كما أن غير الثقة لا يُود ، فمتى ما آخى المرء من
 لم يضافه بالوفاء يجبُ الاستظهار عليه بمن يُسَلِّيَه عنه ، لأن التودد بمن لا يود
 يُعدُّ مَلَقًا ، ولا يفوت الإنسان في الأخوة أحدُ رجلين : إما أريب قَصَّر في
 حقوقه فاعتاله بمكر ، وإما جاهل لم يضافه فيؤذيه بسوء معاشرته ، وصيانة الأخوة
 ليست إلا في الاستغناء عن الإخوان .

واقده أحسن العباس بن عبيد بن يعيش حيث يقول :

كم من أخ لك لم يلده أبوك وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا
 صاف الكرام إذا أردت إخوانهم واعلم بأن أخا الحِفَاطِ أخوكا
 كم إخوة لك لم يلدك أبوهم وكأنا آباؤهم ولدوكا
 لو كنت تحملهم على مكروهة تخشى الختوف^(٢) بها لما خذلوكا
 وأقارب لو أبصروك معلقًا بنياط قلبك ثم ما نصروكا
 الناس ما استغنيت كنت أخًا لهم وإذا افتقرت إليهم فضجوكا
 أخبرنا القطان بالركة حدثنا أحمد بن إسماعيل السني حدثنا عبد الرزاق عن
 معمر قال « دخلت على قتادة وأنا ظمآن ، وفي الحجرة حب^(٣) ماء ، فقلت : أشرب
 من مائكم هذا ؟ قال : أنت لنا صديق » .

قال أحمد : قال عبد الرزاق : يتأول القرآن (أوصديقكم) يقول : لا يستأذن
 أنبأنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا علان بن المغيرة البصري حدثنا عمرو

-
- (١) الأرض الوخيمة والوخمة : الرديئة المناخ السبخة التربة التي لا ينجع كلؤها .
 ورجل وخيم : ردى الطبع ثقيل النفس ، سيء الخلق .
 (٢) الختوف : الناي والمهالك ، واحدها : ختف ، بفتح فسكون .
 (٣) الحب - بكسر الحاء المهملة - الحجرة الكبيرة .

الناقد حدثنا ابن عيينة عن أيوب السخيتاني أنه قال « يزيدني حرصاً على الحج لقاء إخواني لي لا ألقاهم بغير الموسم » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن الغرض من المؤاخاة ليس الاجتماع والمؤاكلة والمشاركة ، والشُّراق يداخلون الرجال على التقارف ^(١) ، ولا يزدادون بذلك مودة ، ولكن من أسباب المؤاخاة التي يجب على المرء لزومها مشي القصد ^(٢) وخفض الصوت ، وقلة الإعجاب ، ولزوم التواضع وترك الخلاف .

ولا يجب للمرء أن يكثر على إخوانه المؤونات فيبرمهم ^(٣) ، لأن المرضع إذا كثر مصه ربما ضجرت أمه فتلقيه .

ولا ينبغي لمن قدر أن يمنع أخاه شيئاً إليه ليحبر به مصيبته ، أو يفرج به كربتته .

والعاقل لا يؤاخي لثيماً ، لأن اللثيم كالحية الصماء ^(٤) لا يوجد عندها إلا اللدغ والشم ، ولا يصل اللثيم ، ولا يؤاخي إلا عن رغبة أو رهبة ، والكريم يؤد الكريم على لقية واحدة ^(٥) ، ولو لم يلتقيا بعدها أبداً .

ولقد أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس حدثنا إسماعيل

(١) التقارف : أى على قصد الإثم والعدوان .

(٢) أى الوسط ، الذى وصف الله به عباد الرحمن بقوله (٢٥ : ٦٣) الذين يمشون على الأرض هوناً (والذى ذكره الله من وصايا لقمان بقوله (٣١ : ١٩) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) والذى حذر الله من ضده فى وصايا الحكمة بقوله (١٧ : ٣٧) ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)

(٣) يبرمهم : يملهم ويسئهم .

(٤) الصماء : التى لاتستجيب لرقية الراقى .

(٥) اللقية : المرة من اللقاء .

ابن محمود عن ابن المبارك عن سفيان عن يونس بن عبيد « أنه أصيب بمصيبة فقبل له : ابنُ عوف لم يأتك ؟ فقال : إنا إذا وثقنا بمودة أخينا لم يضرَّ أن لا يأتينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يتفقد ترك الجفاء مع الإخوان ، ويراعى محوها إن بدت منه ، ولا يجب أن يستضعف الجفوة اليسيرة ، لأن من استضعف الصغير يوشك أن يجمع إليه صغيراً ، فإذا الصغير كبير ، بل يبلغ مجهوده في محوها ، لأنه لا خير في المصدق إلا مع الوفاء ، كما لا خير في الفقه إلا مع الورع ، وإن من أخرج الخرق التماس المرء الإخوان بغير وفاء ، وطلب الأجر بالرياء ، ولا شيء أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له ، وصنيعة تصطنع عند من لا يشكرها .

وأنشدني الخلابي قال : أنشدني محمد بن محمد البكري :

احذر مودة ماذق^(١) خلط المراره بالخلاوة
يُحصى الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة

وأنشدني محمد بن إبراهيم البصري - بصور - لنفسه :

لا يغرّنك صديق أبداً لك في المنظر ، حتى تخبره
كم صديق كنت منه في عمى غرّني منه زماناً منظره
كان يلقاني بوجه طلق وكلام كاللآلى ينثره
فإذا فتشته عن غيبه لم أجد ذاك لودّ يضمّره
فدع الإخوان إلا كل من يضمّر الود كما قد يظهره
فإذا فرت بمن يجمع ذا فأجعلته لك ذخراً تذخره

أبناء القطان بالركة حدثنا هشام بن عمار حدثنا إبراهيم بن موسى المكي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال « وضع عمر بن الخطاب

(١) الماذق : الذي لا يخلص الود ، بل يمزجه بغايات ومقاصد شخصية .

رضى الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة ، كلها حكم ، قال : ما كافأت من يعصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تظنَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًّا ، وأنت تجد لها في الخير محملاً ومن تعرّض للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظن ، ومن كتم سرّه كانت الخيرة ^(١) في يديه ، وعليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم ^(٢) ، فإنهم زينة في الرخاء ، وعُدّة في البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق ، ولا تعرض لما لا يعينك ، ولا تسأل عما لم يكن . فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يجب لك نجاحها ، ولا تصحبن الفاجر فتتعلّم فجوره ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من خشي الله ، وتحشع عند القول ، وذلّ عند الطاعة ، واعتصم عند المعصية ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله ، فإن الله يقول (٣٥ : ٢٨) إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يواخى إلا إذا فضل في الرأي والدين والعلم والأخلاق الحسنة ، ذا عقل نشأ مع الصالحين ، لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال .

ورأس المودة الاسترسال ، وآفتها الملالاة ، ومن أضع تعهد الود من إخوانه حرم ثمرة إخوانهم ، وآيس الإخوان من نفسه ، ومن ترك الإخوان مخافة تعاهد الود يوشك أن يبقى بغير أخ ، كما أن من ترك نزع الماء إشفاقاً على رشائه ^(٣) يوشك أن يموت عطشاً .

والعاقل يستخير أمور إخوانه قبل أن يؤاخيهم ، ومن أصح الخبرة للمرء

-
- (١) الخيرة - بوزن عبة - ما يختاره بمشيئته ، يقصد : أنه إذا أفضى سره كان أمره بيد من أفشاء إليه ، لا بيده هو ، فلم يكن له مشيئة .
 (٢) الأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب والناحية .
 (٣) الرشاء : الحبل الذي يخرج به الدلو من البئر .

وجود حالته ^(١) بعد هيجان الغضب .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الثعالبي حدثنا عبد الله بن الضحاك الهدادي حدثنا هشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال : قال لقمان لابنه « يا بني إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصف عند غضبه وإلا فدعه » .

أنبأنا محمد بن صالح الطبري حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا داود بن يحيى ابن اليمان عن أبيه عن سفيان قال « اصحب من شئت ، ثم اغضبه ، ثم دس إليه من يسأله عنك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من لم ينصفك عند غضبه لم تودك ^(٢) أيامه ، وليس الصديق كالمراة يطلقها المرء إذا شاء ^(٣) ، والجارية يبيعها متى أحب ، لكنه عرضه ومروءته ؛ فالتثبت والاتئاد أولى به من التهاجر والانقطاع ، ومن غاب عنه أخوه فلا يغيب عما يجب له عليه ، وليكثر منهم عدة للشدائد ، لأن

-
- (١) يعنى وجود حالته في الود بعد هيجان الغضب كحالته فيه عند الرضا .
(٢) كذا بالأصل : ولعله يقصد لم يأتك من أيامه ما توده وتريده من الإخاء .
(٣) غالى الشيخ في الحط من منزلة الزوج ، وكيف ومن لم يتخذ الزوجة على الصداقة والمودة ، فلم يزوج كما شرع الله ، فإنه سبحانه يقول (٣٠: ٢١) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) وأكد في كثير من آى الذكر الحكيم من حق الزوج ما لم يؤكد من حق الصديق ، وأين الصديق من الزوج التي يقول فيها (٢: ١٨٧) هن لباس لكم وأتم لباس لهن) ويقول (٤: ٢١) وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) والزوج أحق أن تكون عرض الرجل ومروءته ، ويسير عليك أن تستبدل صديقاً بصديق ، وأعسر العسر أن تستبدل زوجاً مكان زوج - وقد ارتبطتما بعلائق من الأولاد وغيرها ، مالا يوجد مثلها ولا بعضها في الصديق - فواجب العاقل : أن يتأنى ويتفحص ويتثبت في اختيار الزوج مالا يلزم بعضه في اختيار الصديق ، والسعادة بالزوجة الوفية الصالحة القاتنة الخفيظة للغيب أضعاف أضعاف السعادة بأوفى الأصدقاء وأخلص الأوداء

الشعر مع دقته إذا جمع عمل منه الحبل الغليظ الذى يقهر الفيل المغتلم^(١)، ولا يصلح أن يكون رفيقاً من لم يزدرد رقيقاً .

وأنشدنى الخلالدى قال : أنشدنى محمد بن محمد البكرى لصالح بن عبد القدوس^(٢) :

إذا كان ودّ المرء ليس بزائد على «مرحباً» أو «كيف أنت؟» وحالكا
أو القول «إنى وامق لك ، حافظ» وأفعاله تبدى لنا غير ذلكا
ولم يك إلا كاشراً أو محدثا فأفّ لودّ ليس إلا كذلكا
ولكن إخاء المرء من كان دائماً لذى الودّ منه حيثما كان سالكا
أخبرنا أبو يعلى حدثنا على بن الجعد حدثنا سفيان الثورى عن شعبة قال :
خرج عبد الله بن مسعود على أصحابه فقال « أنتم جلاء حزنى » .

أخبرنى محمد بن سعيد القزاز حدثنا هلال بن العلاء حدثنا إسحاق بن الضيف
عن شيبه بن أبى مسهر عن الحكم بن هشام قال خالد بن صفوان « لم يبق من
لذات الدنيا إلا ثلاث : مجالسة النسوان ، وشمّ الولدان ، ولقى الإخوان » .

حدثنا محمد بن المنذر حدثنا مسعدة بن حازم المصرى حدثنا خالى هارون
ابن سعيد حدثنا خالد بن نزار حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة قال « إن كنت
لألقى الأخ من إخوانى فأكون بلقيّه عاقلاً أياماً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى
كتاب « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

فالواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شيء يعدل صحة الإخوان ،
ولا غمّ يعدل فقدهم ، ثم يتوقى جهده مفسدة من صافاه ، ولا يسترسل إليه

(١) الاغتلام : شدة ثوران الشهوة فى الفحل للضراب ، وتشدد شراسة الفيل
وغيره من الفحول عند ذلك .

(٢) سيعيد أولها وثالثها مع بيتين آخرين فى ص ١١١ .

فَمَا يَشِينُهُ ، وَخَيْرَ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا عَظَّمْتَهُ صَانَكَ ، وَلَا يَعِيبُ أَخَاهُ عَلَى الرَّأْيَةِ ؛
فَإِنَّهُ شَرِيكُهُ فِي الطَّبِيعَةِ ، بَلْ يَصْفَحُ ، وَيَتَنَكَّبُ مُحَاسِدَةَ الْإِخْوَانِ ؛ لِأَنَّ الْحَسَدَ
لِلصَّدِيقِ مِنْ سَقَمِ الْمَوَدَّةِ كَمَا أَنَّ الْجُودَ بِالْمَوَدَّةِ أَعْظَمُ الْبَذْلِ ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ وَدَّ صَاحِبِهِ
مِنْ قَلْبٍ سَقِيمٍ ، وَلِيَحْذَرُ الْمَرْءُ فِي إِخَائِهِ أَلَمَ التَّثْقِيلِ عَلَى أَخِيهِ ؛ لِأَنَّ مَنْ ثَقَلَ عَلَى
صَدِيقِهِ خَفَ عَلَى عَدُوِّهِ ، وَإِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعُونَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْهَمِّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ ،
وَلَقِيَ الْإِخْوَانُ .

أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَلَالٍ الْعَقْبِيُّ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعَزْزِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَنِيُّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ « مَا مَاءُ الْعَيْشِ ؟ قَالَ : لِقَاءُ الْإِخْوَانِ »
حَدَّثَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِ حَدَّثَنَا الْمُسَيْبُ بْنُ وَاضِحٍ عَنْ
ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : قَالَ سَفْيَانُ : « لَرَبَّمَا لَقِيتُ الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِي ، فَأَقِيمُ شَهْرًا
عَاقِلًا بِلِقَائِهِ » .

وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَبْرَشُ :

اسْتَكْتَرَنْ مِنَ الْإِخْوَانِ إِيَّاهُمْ خَيْرَ لَكَ نَزْهَمُ كَنْزًا مِنَ الذَّهَبِ
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَوْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أَخِي النَّسَبِ
وَأَنْشَدَنِي الْكَرِيزِيُّ :

مِنْ خَيْرٍ مَا حُزِنْتُهُ وَدَّ لَدَيْ كَرَمٍ يَجْزِيكَ مَا عَشْتُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا
تَلْقَى بِشَاشَتِهِ فِي قَرْبِهِ ، وَإِذَا أَنْتَ نَالَكَ مِنْهُ الْبِرُّ مَا كَانَ
أَنْبَأَنَا الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَلِيمَانَ يَقُولُ « كُنْتُ
أَنْظُرُ إِلَى أَخٍ مِنْ إِخْوَانِي بِالْعِرَاقِ ، فَأَعْمَلُ عَلَى رُؤْيَيْهِ شَهْرًا » .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ حَدَّثَنَا سُورِدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْدٍ
أَبُو فَرَّاسٍ قَالَ : قَالَ رُبَيْعَةُ « الْمَرْوَةُ مَرْوَةٌ تَانُ : فَلِلْمَرْوَةِ مَرْوَةٌ ، وَلِلْحَضَرِ مَرْوَةٌ ؛
فَأَمَّا مَرْوَةُ السَّقَرِ : فَبِذْلِ الزَّادِ ، وَقَلَّةِ الْخِلَافِ عَلَى أَحْبَابِكَ ، وَكَثْرَةِ الْمَزَاحِ فِي

غير مساخت الله ، وأما مروءة الحضرة : فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ، وتلاوة القرآن .

ذكر كراهية المعادة للناس

أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام - ببيروت - حدثنا محمد بن محمد بن مصعب وحدثني ابن المبارك عن عمرو بن واقد عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أول شيء نهاني عنه ربي - بعد عبادة الأوثان - لعن الحميم ، وملاحاة الرجال » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن من يودّه لم يحسده ، ومن لم يحسده لم يعاده ؛ فيكون للعدو المكاتم أشدّ حذراً منه للعدو المبارز ، ومن وجد عنده مغترّاً ، وكان ممن لا يعفو ، ثم لا ينتصف منه ؛ أصابته الندامة ، والرأى إذا كان من الأريب كان أبلغ في هلاك العدو من العدد الكثير من الجنود ، وترك العداوة على الأحوال كلها أحوط للعاقل من الخوض في سلوكها .

أنبأنا الحسن بن سفيان حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله بن هارون هو الأعور عن إسماعيل قال « لا تشتري عداوة رجل بمودة ألف رجل » .

وأنشدني عمرو بن محمد قال : حدثنا الغلابي ، قال : أنشدني مهدي ابن سابق :

تكثر من الإخوان ما أسطعت إنهم عماد إذا استنجدتهم وظهر
وليس كثيراً ألف خلّ لصاحب وإن عدواً واحداً لكثير
قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب على العاقل أن يكافئ الشر بمثله ، وأن يتخذ اللعن والشتم على عدوه سلاحاً ؛ إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب ، وتحصين العورات ، حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً .

والعاقِل لا يرحم مَنْ يخافه ، ولا يترك إحصاء معائب العدو ، ويتفقد عثراتهم مع السكوت عن ثلبه ، ولا يستضعف عدواً بحيلة ؛ فإن من استضعف الأعداء اغتر ، ومن اغتر لم يسلم ، اللهم إلا أن يكون العدو ذليلاً فإذا كان كذلك عطف عليه بالإغضاء ؛ لأن العدو الذليل أهل أن يرحم ، كما أن المستجير الخائف أهل أن يؤمن ، والمعاداة للعاقِل خير من المصافاة للجاهل .

• وأنشدني الخَلادي أنشدني أحمد بن محمد البكري :

ولن يعادى عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديق أحق
فارغب بنفسك أن تصادق أحقاً إن الصديق على الصديق مُصَدِّقٌ
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ ومدمن القَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ
أَبْصُرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فمن عَلا قُلَّةً عَنْ غِرَّةٍ زَلْجاً^(١)

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقِل يبصر موضع خطواته قبل أن يضعها ، ثم يقارب عدوه بعض المقاربة ، لينال حاجته ، ولا يقارب به كل المقاربة فيُجترأ عليه ، والعاقِل لا يعادى ما وجد إلى الحبة سبيلاً ، ولا يعادى من ليس له منه بد ، ولا العدو الحنق الذي لا يطاق ؛ فإنه ليس له حيلة إلا الهرب منه ، وحيلة السبيل إلى القدرة على العدو وجود الغرّة فيه ، وأن يرى العدو أنه لا يتخذ عدواً ، ثم يصادق أصدقاءه ، فيدخل بينه وبينهم .

وأحزم الأمور في أمر العدو : أن لا يذكره بسوء إلا عند الفرصة ، وإن من أيسر الظفر بالأعداء اشتغال بعضهم ببعض ، وإن مما يستعين به المرء على عدوه : مجانبة من يعاشره ، ويصحب عدوه .

(١) يقول : إن من يمشى على غير تبصر ، فهما بلغ من العلو ولو إلى قلة الجبل وهي قمته ، فلا بد أن تزل قدمه ، فيجر ، فلعله أن يتحطم .

أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال : سمعت يحيى بن معين يقول : قال ابن السماك « لا تحف من تحذر ، ولكن احذر من تأمن » .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تمنيتُ أن أبقى معافى ، وأن أرى علي من يناويني تدور الدوائر^(١)
فيصبح مخذولاً ، وأمسى سالماً إلى الله داع بالكفاية ناصرُ

سمعت محمد بن محمود يقول : سمعت علي بن خشرم يقول : سمعت الفضل ابن موسى الشيباني يقول « كان صياد يصطاد العصافير في يوم ريح ، قال : فجعلت الرياح تدخل في عينيه الغبار ، فتذر فان ، فكلما صاد عصفوراً كسر جناحه وألقاه في ناموسه . فقال عصفور لصاحبه : ما أرقه علينا ، ألا ترى إلى دموع عينيه ؟ فقال له الآخر : لا تنظر إلى دموع عينيه ، ولكن انظر إلى عمل يديه » قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يأمن عدوه على كل حال ، إن كان بعيداً لم يأمن مغادرته ، وإن كان قريباً لم يأمن موائبته ، والعاقل لا يخاطر بنفسه في الانتقام من عدوه : لأنه إن هلك في قصده قيل : أضاع نفسه ، وإن ظفر قيل : القضاء فعله .

والمعاداة بعد الخلَّة فاحشة عظيمة ، لاتليق بالعاقل ارتكابها فإن دفعه الوقت إلى ركوبها ترك للصالح موضعاً .

وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي الأسود الدؤلي :

وأحسب إذا أحببت حُباً مقارباً فإنك لاتدرى : متى أنت نازع ؟

(١) يناويني : يناوئني . والمناوأة الخاصة . يقول : إنه طالما تمنى أن يعيش معافى وأن يرى دوائر الهلاك تدور على أعدائه ومناوئيه . والخليق بالمؤمن : أن يتمنى الخير والعافية والصلاح لنفسه وأحابيه وأعدائه ومناوئيه . كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في شأن أعدائه - وهم حريصون على قتله - « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »

وأبغض إذا أبغضت غير بجانب فإنك لا تدري متى أنت راجع؟
وكن معبداً للحلم واضفح عن الأذى فإنك راء ما عملت وسماع
وأشدني منصور بن محمد الكريزي :

إذا أنت عادت امرأة بعد خلة فذع في غدٍ للعود والصلح موضعاً
فإنك إن نابذت من زلةً ظلت وحيداً لم تجد لك مفرعاً
أبنا محمد بن إسحاق الثقي حدثنا أبوهم حدثنا ابن وهب أخبرني يونس
ابن يزيد عن ابن شهاب قال « اجتمع مروان بن الحكم وابن الزبير يوماً عند
عائشة ، جلسا في حجرتهما وبينهما الحجاب ، فسألا عائشة شعراً وحديثاً »
ثم قال مروان :

ومن يشاء الرحمن يخفض بقدره وليس لمن لم يرفع الله رافعاً
وقال ابن الزبير :
وفوض إلى الله الأمور إذا اعترت وبالله لا بالأقرين تدافع^(١)
وقال مروان :

وداو ضمير القلب بالبر والتقى ولا يستوى قلبان قاسٍ وخاشعٍ
وقال ابن الزبير :

ولا يستوى عبدان : عبدٌ مكلمٌ عتلٌ ، لأرحام الأقارب قاطع
وقال مروان :

وعبد يحافى جنبه عن فراشه يبيت يناجى ربه وهو راكم
وقال ابن الزبير :

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجمع
وقال مروان :

(١) في الأصول « فدافع » ولا تستقيم قافيته مع قافية باقي الآيات ، ونحسبه
محرفاً عما أثبتناه .

وَلِلشَّرِّ أَهْلٌ يَعْرِفُونَ بِشَكْلِهِمْ تَشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْفَجْورِ الْأَصَابِعُ

قال : فسكت ابن الزبير ، فلم يجب مروان بشيء .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا لَكَ لَمْ تَجِبْ صَاحِبَكَ ، وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ تَجَافَى

رَجُلَيْنِ تَجَاوَلَا نَحْوَمَا تَجَاوَلْتُمَا فِيهِ أَعْجَبَ إِلَى مِنْ مَجَاوَلْتُمَا » .

قال ابن الزبير : إِنِّي خِفْتُ عَوَلَ^(١) الْقَوْلِ ، فَكَفَفْتُ .

فَقَالَتْ عَائِشَةُ : « إِنْ لِمَرْوَانَ فِي الشَّعْرِ مَا لَيْسَ لَكَ » .

أَبْنَاءُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، حَدَّثَنَا عَصَامُ بْنُ الْفَضْلِ الدَّارِيُّ ، حَدَّثَنِي الزَّبِيرُ بْنُ

بَكَّارٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ لَابْنِهِ مُحَمَّدٌ « يَاكَ وَمَعَادَاةَ

الرِّجَالِ فَإِنَّهَا لَا تَعْدَمُكَ مَكْرَ حَلِيمٍ ، أَوْ مِبَادَاةَ^(٢) جَاهِلٍ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الْعَاقِلُ لَا يُعَادِي عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا ، لِأَنَّ

الْعِدَاوَةَ لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا حَلِيمٍ لَا يُؤْمِنُ مَكْرَهُ ، أَوْ جَاهِلٍ

لَا يُؤْمِنُ شَتْمَهُ ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ - إِذَا عَادَى - أَنْ يُغَرَّهَ إِحْسَانُهُ إِلَى عَدُوِّهِ

مَا يَرَى مِنْ سَكُونِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْمَاءَ وَإِنْ أَطِيلَ إِسْخَانُهُ ، لَيْسَ بِمَنْعِهِ ذَلِكَ مِنْ إِطْفَاءِ

النَّارِ إِذَا ضُبَّ عَلَيْهَا ، وَلَا يَجِبُ أَنْ يَعْظُمَ عَلَيْهِ حَمْلُهُ عَدُوَّهُ عَلَى عَاتِقِهِ إِذَا وَثِقَ

بِحَسَنِ عَاقِبَتِهِ ، لِأَنَّ اللَّيْنَ وَالْمُسْكِرَ أَنْتَكِي فِي الْعَدُوِّ مِنَ الْقَظَاطَةِ وَالْمُسْكَابَةِ . أَلَا

تَرَى النَّارَ مَعَ حَرِّهَا لَا تَحْرَقُ مِنَ الشَّجَرِ إِلَّا مَا ظَهَرَ ، وَالْمَاءَ مَعَ بَرْدِهِ وَلَيْسَ يَسْتَأْصِلُهَا ،

وَمِجَانِبَةُ الْمَرْءِ عَدُوَّهُ فِي الْعِشْرَةِ أَجْدُ الْأَعْوَانِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْفُرْصَةِ .

كَأَنَّ أَبْنَاءَ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، حَدَّثَنَا الْعَلَلَابِيُّ ، حَدَّثَنَا الْعَتَبِيُّ عَنْ أَبِيهِ

قَالَ : قَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ « مَنْ جَالَسَ عَدُوَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِ عِيُوبَهُ » .

وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

لَا تَخَافَنَّ إِنْ رَمَاكَ عَدُوٌّ بَعِيُوبٌ ، إِذَا تَكُونُ بَرِيًّا

(١) الْعَوْلُ : الْمِيلُ فِي الْحُكْمِ إِلَى الْجَوْرِ . وَالْعَوْلُ : النِّقْصَانُ أَيْضًا .

(٢) الْمِبَادَاةُ : الْبِدَاةُ وَالسَّفْهُ بِالسَّبَابِ وَالشَّتْمُ .

إنما العيبُ أن يكون مُحَقَّقاً في الذي قاله ، ولستَ نقيّاً
 فإذا كان كاذباً كنتَ بالصدِّق على العائب الكذوب جريّاً
 ولقد يلزُق العدو بجنب المراء عيباً تخاله مَكُوناً
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يغيره إلزاق العدو به العيوب والقبايح
 لأن ذلك لا يكون له وقعٌ ، ولا لكثرة ثبات ، ولا يلتذ المراء ما كان عدوه باقياً
 كما لا يجد السقيم طعم النور والطعام حتى يبرأ .
 وأشدّ مكيدة العدو وما يعمل فيك من سبيل مأمئك ، والغالب بالشر مغلوب
 إن من أعظم الأعوان على الأعداء تعاهد المراء ولده وعياله وخدمه ، وتوقيه
 إياهم على المعائب والزلات .

أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي
 عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بني إذا أردت أن
 تغيب عدوك فلا ترفع عن ابنك العصا » .

ذكر الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار

حدثنا الحسن بن سفيان النسائي ، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري ، حدثنا
 أبي عن شعبة عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « مثل المجلس الصالح مثل العطار ، إن لم ينلْك منه أصابك
 من ريحه ، ومثل جلس سوء مثل القَيْن ، إن لم تصبْك ناره أصابك شره » ^(١)
 قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يلزم صحبة الأخيار ، ويفارق صحبة
 الأشرار ؛ لأن مودة الأخيار سريعٌ اتصالها ، بطيء انقطاعها . ومودة الأشرار

(١) العطار : بائع العطر . والقَيْن ، بالفتح : الحداد . والحديث رواه البخارى
 ومسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما مثل المجلس
 الصالح والمجلس سوء : كحامل المسك ، ونافع الكير . فحامل المسك : إما أن
 يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة . ونافع الكير : إما أن
 يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة . و (يحذيك) أى يعطيك بدون ثمن

سريع انقطاعها ، بطيء اتصالها . وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم .

فالواجب على العاقل أن يحتنب أهل الريب ، لئلا يكون مريباً . فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير ، كذلك صحبة الأشرار تورث الشر .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

عليك ياخوان الثقات ؛ فإنهم قليل فصلهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها وضئها ؛ فإنها متى ماتجالس سِفلة الناس تغضب

سمعت أبا يعلى يقول : سمعت إسحاق بن أبي إسرائيل يقول : سمعت سفيان ابن عيينة يقول « من أحب رجلاً صالحاً فإنما يحب الله تبارك وتعالى » .
أنبأنا محمد بن أبي علي الخلادي ، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري ، حدثنا وهب بن محمد بن منبه البناني ، قال : سمعت الحارث بن وحيه يقول : سمعت مالك بن دينار يقول « إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص ^(١) مع الفجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يدنس عرضه ، ولا يعود نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار ، ولا يَغْضِي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار ، على أن الناس عند الخبرة يتبين منهم أشياء ضد الظاهر منها .
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

وقلّ ما حلّولى كلامٍ امرئ ولأنّ إلا كان مُرّ الفعّال
وربما حلّولى كلامُ الفتى وكان محموداً على كل حال
فكلُّ هذا أنت راء إذا تُصاحبُ الناس، وتبلوا الرجال

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي ، حدثنا نصر بن علي ، أنبأنا نوح

(١) الخبيص : نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن .

ابن قيس ، حدثنا حوشب عن الحسن في قوله (٢٥ : ٦٣ وعباد الرحمن الذين
يمشون على الأرض هوناً) قال « حُلَمَاءُ علماء ، صَبْرٌ ثَبَتٌ ^(١) » إن ظلموا لم يظلموا
وإن بُغِيَ عليهم لم يبغيوا ، قد برأهم الخوف كأنهم القِدَاح .

أُنبأنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ، حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا
شجاع بن أبي نصر أبو نعيم القاري عن أبي عمرو بن العلاء ، قال « رأني سعيد
بن جُبَيْر وأنا جالس مع الشباب ، قال : ما يجلسك مع الشباب ؟ عليك
بالشيوخ » .

أُنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة عن
سفيان عن أبي المحجَّل عن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال : قال أبو الدرداء
« لصاحبٌ صالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من صاحب السوء ، ومولى الخير
خير من الساكت والساكت خير من مملى الشر » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يصاحب الأشرار ؛ لأنَّ صحبة صاحب
السوء قطعة من النار ، تُعَقِّب الضغائن ، لا يستقيم وده ، ولا يفي بعهده .
وإن من سعادة المرء خصالاً أربعاً : أن تكون زوجته موافقة ، وولده
أبراراً ، وإخوانه صالحين ، وأن يكون رزقه في بلده .

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيراً تكون مجالسة الكلب خيراً من عشرته ،
ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم .
وما أشبه صحبة الأشرار إلا بما أنشدني منصور بن محمد الكريزي .
فلو كان منه الخير إذ كان شره عتيداً ^(٢) ضربت الخير يوماً مع الشر

(١) صبر - بضمين - جمع صبور ، وثبت - بضمين - جمع ثبت ، وبضم
فتشديد الباء مفتوحة جمع ثابت مثل راكم وركع . وبراهم : أي أخلهم وأهزلهم .
(٢) العتيد : اللزوم ، يقول : لو كان عنده شيء من الخير لذهب خيره بشره ،
فكان كفافاً .

ولو كان لآخريراً ولا شر عنده رضىت لعمري بالكفاف مع الأجر
ولكنه شرٌّ ، ولا خير عنده وليس على شرٍّ إذا طال من صبر
أخبرنا إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ،
حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال « أيها الرجل ، إن أشد الناس عليك
قدراً لرجلٍ إذا فرغت إليه وجدت عنده رأياً ، ووجدت عنده نصيحة ، بينا أنت
كذلك إذ فقدته ، فالتمت منه خلفاً فلم تجده .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا
عبد الله بن سليمان ، قال : قال جعفر بن محمد « من كان فيه ثلاث فقد وجب
له على الناس أربع : إذا خاطبهم لم يظلمهم ، وإذا حدثهم لم يكذبهم ، وإذا
وعدهم لم يخلفهم . وعلى الناس : أن يظهروا عدله ، وأن تكمل فيهم مروءته ، وأن
يجب عليهم أخوته ، وأن يحرم عليهم غيبته .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

أصحب خيار الناس أين لقيتهم خير الصحابة من يكون ظريفاً
والناس مثل دراهم ميّزتها فرأيت فيها فضةً وزُيوفاً
أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا إسماعيل بن
عبد الكريم ، حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهباً يقول « إن الله ليحفظ
بالعبد الصالح القبيل من الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعيز بالله من صحبة من
إذا ذكر الله لم يُعنه ، وإن نسى لم يذكره ، وإن غفل حرضه على ترك الذكر .
ومن كان أصدقاؤه أشراراً كان هو شرهم ، وكما أن الخير لا يصحب إلا البرّة ،
كذلك الردى لا يصحب إلا الفجرة ؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل
المروءات ، لأن محمد بن عثمان العقبى قال حدثنا أحمد بن داود البصرى ، حدثنا
ابن عائشة قال : قال عبد الواحد بن زيد « جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا

ولا تجالسوا غيرهم ، فإن كنتم لابد فاعلين ، فجالسوا أهل المروءات ؛ فإنهم لا يرفثون^(١) في مجالسهم .

ذكر كراهية التلون في الوداد بين المتأخين

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة بَعْسَقَلَان ، حدثنا إبراهيم الحوراني ، حدثنا بكار بن شعيب ، حدثنا ابن أبي حازم عن أبيه عن سهل ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا خير في صُحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له » قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا رزقه الله ودَّ امرئ مسلم صحيح الوداد محافظ عليه : أن يتمسك به ، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرَّمه ، وعلى الإقبال عليه إن صدَّ عنه ، وعلى البذل له إن حرَّمه ، وعلى الدنو منه إن باعده ، حتى كأنه ركن من أركانه ، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

وكم من صديق ودَّه بلسانه خؤون بظهر الغيب لا يتندم
يضاحكني كرهاً لكما أوَّده وتتبعني منه إذا غبت أسهم

أخبرنا محمد بن المهاجر المغدال ، حدثني ابن أبي شيبه ، قال : قال الأصمعي : قال رجل من الأعراب « من أعجز الناس من قصَّر عن طلب الإخوان ، وأعجز منه : من ظفر بذلك منهم فأضاع مودتهم ، وإنما يحسن الاختيار لغيره من أحسن الاختيار لنفسه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل لا يقصر في تعاهد الوداد ، ولا يكون ذا لونين ، وذا قلبين ، بل يوافق سرَّه علانيته ، وقوله فعله ، ولا خير في متأخين ينمو بينهما الخلل ، ويزيد في حالهما الدغل .

(١) الرفث : الفاحش من القول ، وما يتعلق بالنساء وأسرارهن .

أبلُ الرجال إذا أردت إخاءهم وتوسمنَ أمورهم وتفقَدُ (١)
 فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى فيه اليدين قريرَ عين فاشدُدِ
 ومتى يزلَّ ، ولا محالة ، زلةً فعلى أخيك بفضل رأيك فاردد
 وإذا اخننا نقض الحبي في موضع ورأيت أهل الطيش قاموا فاقعد .
 أخبرنا عبد الله بن فُحْطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا الوليد عن الأوزاعي
 عن يحيى بن أبي كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يابني عليك بالحبيب
 الأول ، فإن الآخر لا يعدله » .

أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن بكر بن سيف ، حدثني محمد
 ابن حسين قال « كان أعرابي بالكوفة ، وكان له صديق ، وكان يظهر له مودة
 ونصيحة ، فاتخذ الأعرابي من عُدده للشدائد إذ حَزَب الأعرابي أمر ، فأتاه ،
 فوجده بعيداً مما كان يظهر للأعرابي ، فأنشأ يقول :

إذا كان وُدُّ المرء ليس بزائد على «مرحبا» أو «كيف أنت» و«جالكا» (٢)
 ولم يك إلا كاشرا ، أو محدثا فأف لود ، ليس إلا كذلك
 لسانك معسولٌ ونفسك بشّة وعند الثريا من صديقك مالكا
 وأنت إذا همّت يمينك مرّة لتفعل خيراً ، قاتلتها شمالكا
 سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد

بن حازم :

وإن من الإخوانِ إخوانَ كَشَرَةٍ وإخوان «حيك الإله» ، و«مرحبا»
 وإخوان : كيف الحال والأهل كله؟ وذلك لا يسوى تقيرا متربا
 جواد إذا استغنيت عنه بماله يقول : إلىَّ القرض ، والقرض فاطلُبا
 فإن أنت حاولت الذي خَلَفَ ظهره وجدت الثريا منه في البعد أقربا

(١) أبل الرجال : اختبرهم وامتحانهم .

(٢) قدم أولها وثانها مع بيتين آخرين في ص ٩٢

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يصادق المتلون ، ولا يؤاخى المتقلب ، ولا يظهر من الوداد إلا مثل ما يضمن ، ولا يضمن إلا فوق ما يظهر ، ولا يكون فى النوائب عند القيام بها إلا ككونه قبل إحداثها والدخول فيها ، لأنه لا يحمى من الإخاء ما لم يكن كذلك .

وأنشدنى محمد بن المنذر ، وأنشدنى محمد بن خلف التيمى ، أنشدنى رجل من خزاعة :

وليس أخى من وَدَّنى بلسانه ولكن أخى من وَدَّنى فى النوائب
ومن ماله مالى ، إذا كنتُ معدِما ومالى له ، إن عَصَّ دهر بغارب
فلا تحمدنَّ عند الرخاء مؤاخياً فقد تُنكر الإخوانُ عند المصائب
وما هو إلا كيف أنت ومرحبا وبالبيض رَوَّاع كروغ الثعالب^(١)
أخبرنا ابن قحطبة ، حدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال : مكتوب فى الحكمة « أحب خليلك و خليل أهلك »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الأمارات على معرفة صحة الوداد وسقمه : ملاحظة العين إذا لحظتْ ، فإنها لا تكاد تبدى إلا ما يضمن القلب من الود ، ولا يكاد يخفى ما يحنه الضمير من الصد ، فالعاقل يعتبر الود بقلبه وعين أخيه ، ويجعل له بينهما مسلكاً لا يردده عن معرفة صحته شىء تخيله .

ولقد أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلى ، حدثنا على بن محمد المذهبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج مولى المهدي وعن إبراهيم بن شكلة^(٢) قال « اعلم أن من أظهر ما تحب أو ما تكره فإنما لك أن تقيس ما أضمر قلبه بالذى أظهر لسانه ، وليس لك أن تعرف ما أسر ضميره ، فعامله على نحو ما يبدي لك لسانه » وفى ذلك أقول :

(١) أراد بالبيض الدواحم .

(٢) شكلة - بكسر الشين - وفتحها - أمه ، وهو إبراهيم بن المهدي العباسي .

ليس المسمى إذا تغيب سوءه عنى بمنزلة المسمى العلين
من كان يظهر ما أحب فإنه عندى بمنزلة الأمين الحسن
والله أعلم بالقلوب ، وإنما لك ما بدا لك منهم بالأسن
ولقد يقال خلاف ذلك إنما لك ما بدا لك منهم بالأعين

غير أن خالى خالفنى فى ذلك ، وزعم أن الأعين أبين شهادة على ما فى القلوب
من الأسن . وكتب فى ذلك رسالة « أما بعد ، فقد بدا لى من صدك ، ما يسنى
من ودك ، ولم يزل يخبرنى لحظك ما تضر لى من بغضك » . وكتب فى أسفل
ذلك :

وما أحب إذا أحببت مكتما يبدى العداوة أحيانا ويخفيها
تظل فى قلبه البغضاء كامنة فالقلب يكتمها والعين تبديها
والنفس تعرف فى عيني محدثها من كان من سلمها أو من أعادها
عينك قد دلنا عيني منك على أشياء لولاهما ما كنت أدريها

أخبرنا الخلادى ، حدثنا أحمد بن محمد الصوفى ، حدثنا محمد بن صالح
البغدادى قال : سمعت إبراهيم الحبحبى يقول « دلائل الحب تعرف فى الحب ،
وإن لم ينطق لسانه » .

ذكر ائتلاف الناس واختلافهم

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع السخيتانى ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد
النرسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان الثورى عن حبيب
ابن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال : قال على « الأرواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب ائتلاف الناس وافتراقهم — بعد القضاء السابق — هو تعارف الروحين ، وتناكر الروحين ، فإذا تعارف الروحان وجدت الألفة بين نفسيهما ، وإذا تناكر الروحان وجدت الفرقة بين جسميهما .
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مهران ، حدثنا يوسف ابن يعقوب الصفار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي يحيى عن مجاهد قال : رأى ابن عباس رجلا فقال « إن هذا ليحبنى ، قالوا : وما علمك ؟ قال : إني لأحبه ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .
أنشدنى محمد بن أبى على الخلابى ، أنشدنى أحمد بن محمد بن بكر الأبنائى :
إن القلوب لأجناد مجندة لله فى الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف
أنبأنا ابن مكرم بالبصرة ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا الحكم ابن عبد الملك عن قتادة فى قول الله تعالى (١١ : ١٢٠) إلا من رحم ربك ،
ولذلك خلقهم) قال : للرحمة والطاعة ، فأما أهل طاعة الله فقلوبهم وأهواؤهم
مجتمعة ، وإن تفرقت ديارهم ، وأهل معصية الله فقلوبهم مختلفة ، وإن اجتمعت
ديارهم .

وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :
فما تبصر العينان والقلب آلف ولا القلب والعينان منطبقان
ولكنهما روحان تعرض ذى لذى فيعرف هذا ذى فيلتقيان
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أعظم الدلائل على معرفة ما فيه المرء
من قلبه وسكونه : هو الاعتبار بمن يحادثه ويوده ، لأن المرء على دين خليله ،
وطير السماء على أشكالها تقع .
وما رأيت شيئا أدل على شيء ، ولا الدخان على النار ، مثل الصاحب على
الصاحب . وأنشدنى الأبرش :

يقاس المرء بالمرء إذا ماهو ماشاه
وذو العُرِّ إذا احتك ذا الصحة أعداه^(١)
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
والروح على الروح دليل حين يلقاه

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا محمد بن كثير العبدئي ، أنبأنا سفيان عن أبي
إسحاق عن هيرة ، قال : اعتبر الناس بأخذائهم^(٢) .

أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى الأخباري ، حدثنا محمد بن صالح
العدوي ، حدثنا الحسين بن جعفر بن سليمان الضبعي قال : سمعت أبي يقول :
سمعت مالكا يقول « الناس أشكال كأجناس الطير ، الحمام مع الحمام ، والغراب
مع الغراب ، والبط مع البط ، والصَّعو مع الصَّعو^(٣) وكل إنسان مع شكله » .
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنباري :

يزين الفتى في قومه ويشينه وفي غيرهم : أخذائه ومداخله
لكل امرئ شكل من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشاكله
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إن كنت جُلْتَ ، وبى استبدلت مُطَرَّحًا وُدًّا ، فلم تأت مكروها ولا بدعا
فكل طير إلى الأشكال موقعها والفرع يجري إلى الأعراق منتزعا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحتنب مماشاة المريب في نفسه ، ويفارق
صحبة المتهم في دينه ، لأن من صحب قوماً عُرف بهم ، ومن عاشر امراً نُسب

(١) المر - بضم العين المهملة - الجرب . يقول : إن الصديق يعدى صديقه
كما يعدى الأجرب السليم .

(٢) اعتبر : قس ، والأخذان : جمع خدن - بالكسر - وهو الصديق .

(٣) الصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس .

إليه ، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكلة ، فإذا لم يجد المرء بداً من صحبة الناس تَحَرَّى صحبة مَنْ زانه إذا صحبه ، ولم يشنه إذا عرف به ، وإن رأى منه حسنة عدّها ، وإن رأى منه سيئة سترها ، وإن سكّته عنه ابتدأه ، وإن سأله أعطاه .

فأما اليوم فأكثر أحوال الناس تسكون ظواهرها بخلاف بواطنها . وما أشبه عشرتهم إلا بما أخبرني محمد بن يعقوب البغلاني ، حدثني عبد الصمد ابن الفضل حدثنا الحسين بن سهل التياس عن أبي عبيدة قال « تكلم عصفور في بني إسرائيل مع فنجٍ ، فقال العصفور : انحنأوك لماذا ؟ قال : من العبادة . قال : دفنك في التراب لماذا ؟ قال : من التواضع . قال : فما هذا الشعر ؟ قال هذا لباسي . قال : ماهذا الطعام ؟ قال : هذا أعددتُه لعابر السيل . قال : فتأذن لي فيه ؟ قال : نعم . قال : فنقر العصفور نقرَةً فأخذ بعنقه ، فجعل العصفور يقول : شَغْ شَغْ شَغْ . وقال : والله لا يغرنى قارىء بعدك أبداً » .
وأنشدني محمد بن أبي علي لابن أبي اللقيش :

إن كنت تبغى العلم أو نحوه أو شاهداً يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

تَعَارَفُ أرواحُ الرجال إذا التقوا فمنهم عدو يُتَقَى و خليل
كذلك أمور الناس والناس منهم خفيف إذا صاحبتة وثقيل
وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

اجعل قرينك مَنْ رضيت فعاله واحذر مقارنة القرين الشائن
كم من قرين شائن لقرينه ومهجنٍ منه لكل محاسن
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من الناس من إذا رآه المرء يعجب به ،

فإذا ازداد به علماً ازداد به محباً ، ومنهم من يبغضه حين يراه ، ثم لا يزداد به علماً إلا ازداد له مَقْتاً ، فاتفقهما يكون باتفاق الروحين قديماً ، وافتراقهما يكون بافتراقهما ، وإذا اختلفا ثم افترقا فراق حياة من غير بُغض حادث ، أو فراق ممات ، فهناك الموت الفظيع ، والأسف الوجيع ، ولا يكون موقف أطول مُغَمَّةً ، وأظهر حسرةً وأدوم كآبةً ، وأشد تأسفاً ، وأكثر تلهفاً من موقف الفراق بين المتواخين ، وما ذاق ذائق طعماً أمراً من فراق الخليلين ، وانصرام القرينين .

حدثنا محمد بن يعقوب الخطيب قال : سمعت معمر بن سهل يقول : سمعت جعفر بن عون يقول : سمعت مسعر بن كدام يقول :

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يَكْرِهُ عليهم ونهار
أبناؤنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن موسى أبو غزية قال : كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج فودعني ، وقال :

إن نَعَشُ نَجْتَمِعُ ، وإلا فما أَشْغَلَ من مات عن جميع الأنام
حدثنا محمد بن أبي علي ، قال : أنشدنا محمد بن موسى السمرى ، أنشدنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني :

فيا عجباً ممن يَمُدُّ يمينه إلى إلفه عند الفراق ، فيسرع
ضعفتُ عن التوديع لما رأيته فصاحته بالقلب ، والعينُ تدمع
وأنشدني ابن فياض للبحتري :

الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك ، أو عراقك
لا تعذلكني في مسيرى حيث سرت ، ولم الألق
إني خشيت مواقفاً للبين تسفح غرب ما فك (١)

(١) تسفح : تريق . والغرب . الدلو الكبير ، والملاق : الموق ، شبه موق عينه بالدلو الكبيرة لكثرة ما يندرف من الدموع عند الفراق

وعلمت ما يخشى المودَّع عند ضَمِّكَ واعتناقك
فتركت ذاك تعمداً وخرجت أهرب من فراقك

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

أفنى كل يوم حَيَّةَ البين تفرع وعيني لبين من ذوى الود تدمع ؟
فلا النفس من تَهَامِهَا مستفيدة ولا بالذى يَأْتِي به الدهر تقنع ^(١)

وأنشدني محمد بن بندار بن أصرم :

أيا قلب لا تجزع من البين ، واصطبر فليس لما يُقْضَى عليك بدافع
توكل على الرحمن إن كنت مؤمناً يُجْرِكْ ، ودعنى من نحوس الطوالع
وكل الذى قد قَدَّرَ الله واقع ومالم يُقْدره فليس بواقع

وأنشدني عبد الرحمن بن يحيى بن حبيب الأندلسى لنفسه :

نطق مدامعه بما فى قلبه وهن الجواب لسانه لا ينطق
فكأنه مما يقاسى قلبه دَفْعُ مريض أو أسير مُوثِق
وكأما الأشجان فى أحشائه لفراق أهل الود نارٌ تحرق
كيف السألو ، وهل له من سلوة مَنْ بان عن أحبابه يتَفَرَّقُ ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى إظهار الجزع عند فراق المتواخين : هو ترك الرضا بما يوجب القضاء ، ثم ورود الشيء على مضر الحشا بضد ما انطوى عليه قديماً ، فمن وطن نفسه فى ابتداء المعاشرة على ورود ضد الجميل عليها من صحبتته ، وتأمل ورود المكروه منه على غفلته ، لا يظهر الجزع عند الفراق ، ولا يشكو الأسف والاحترق ، إلا بمقدار ما يوجب العلم إظهاره .
ولقد أُولع بجماعة الفراق حتى إنهم خرجوا إلى ثَلْب الطيور ، ومدح الدمن ^(٢) وتناولوا لعن نوح عليه السلام الغراب .

(١) التهام : الهيام وهو شدة الحب ، ووقع فى الأصل « تهامها » وأحسبه محرفاً عما أثبت .

(٢) الثلب : النقص والعيب والذم . والدمن : الأطلال وآثار الديار .

أبناءنا جعفر بن أحمد بن سنان القطان ، بواسط ، حدثنا عمرو بن محمد بن عيسى الضبعي ، حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، حدثنا الجريري ، عن أبي السليل عن أبي مراوح قال « بعث نوح الغراب والحمامة حيث استقرت السفينة على الجودي ، يلتمسان له الجُدَّ - يعني الأرض - فأما الغراب فرأى جيفة فوق عليهما فأكل منها ، وأما الحمامة فجاءت عاصّة على غصن شجرة بطين أحمر . قال : فدعا للحمامة بالبركة ، وأما الغراب فلعه ، وقال له قولاً شديداً » .

أبناءنا محمد بن جعفر بن الحسن البغدادي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين البغوي ، قال : قال سليم بن منصور « أمرت لُبْنَى فاشتري لها أربعة غرابان ، فلما رأتهن صرخت وبكت ، وكنتفهن ، وجعلت تضربهن بالسوط حتى قتلتهم جميعاً . وأنشأت تقول :

لقد نادى الغراب بين لُبْنَى فطار القلب من حذر الغراب
وقال : غداً تباين دار لبني وتناهى بعد ود واقتراب
فقلت : تعست ، ويحك من غراب أكل الدهر سعيك في تباب
لقد أولعت لألقيت خيراً بتفريق الحب عن الحباب
وأنشدني إبراهيم بن علي الطرقي ، قال : أنشدني علي بن إسحاق :

غراب البين ، ويحك صحّ بقرب كما قد صحت ويحك بالبعد
تنادى بالتفرق كل يوم فمالك بالتواصل لا تنادى ؟
أراني الله ريشك عن قريب ثمّ رطه البزاة بكل وادي ^(١)
كما أسخنت يوم البين عيني وألقت الخرازة في فؤادي

أبناءنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب ، بهمدان ، حدثنا عبد الكبير بن محمد الأنسي ، حدثنا بعض أصحابنا ، قال : مررت بالبصرة على باب دار ، فإذا

(١) المرط - بفتح الميم وسكون الراء - تنف الريش والبزاة : جمع باز ، وهو من الطيور الكاسرة .

بصوت غراب يُجَلَّد ، قدنوت من الدار فإذا صاحبة الدار ، وبين يديها جَوَّار ،
وهي تأمر بجلده . فقلت : أما تتقون الله في هذا الغراب ؟ فقلن لي : هذا الغراب
الذى قيل فيه :

ألا يا غراب البين قد طرَّت بالذى أحاذر من لُبْنَى ، فهل أنت واقع ؟
فقلت : ليس هذا ذاك الغراب : فقلت : والله ما نراك تأخذ البريء بالسقيم
حتى تظفرَ بذلك الغراب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ماشا كل هذه الحكايات والأشعار
على التقصى في كتاب « الوداع والفراق » فأغنى ذلك عن تكرارها في
هذا الكتاب ؛ إذ شرطنا فيه الإشارة إلى الشيء المحصول ، والإيماء إلى
الشيء المقول .

ذكر الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم

أنا الحسن بن سفيان ، حدثنا يزيد بن صالح اليشكري ، حدثنا حماد
ابن سلمة ، عن ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أن رجلا زار أخا له في قرية ، فأرصد الله على مَدْرَجَتِهِ ملكا ^(١) فقال :
أين تريد ؟ فقال : أريد أخا لي في هذه القرية ، فقال : هل له عليك من نعمة
ترُبُّها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحبه في الله ، قال : إني رسول الله إليك ، إن الله
تبارك وتعالى أحبك كما أحبته » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل تعاهد الزيادة للاخوان
وتفقد أحوالهم ؛ لأن الزائر في قصده الزيارة ، يشتمل على مصادفة معينين :
أحدهما : استكمال الذخر في الآجل بفعله ذلك . وقد قال بعض القدماء : إن
الرجل إذا زار أخا له في الله ، لم يبق في السماء ملك إلا حياه بتحية مستأنفة

(١) أُرصد : أقامه ينتظره ويرقبه . والمدرجة . المسلك الذى يدرج فيه .
وتربها . أى تحفظها وتراعيها وتربها كما يربى الرجل ولده .

لا يحببه ملك مثله ولم تبق شجرة من شجر الجنة إلا نادى صاحبها : ألا إن فلان ابن فلان زار أخا في الله ^(١) .

والآخر : التلذذ بالمؤانسة بالأخ المزور ، مع الانقلاب بغنيمتين معاً .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا عبد الله بن رجاء الغداني قال : كان عتبة الغلام يأوى المقابر والصحارى ، ثم يخرج إلى السواحل فيقيم بها ، فإذا كان يوم الجمعة دخل البصرة فشهد الجمعة ورأى إخوانه فسلم عليهم . حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثني بعض مشيختنا ، قال : قال عامر بن قيس : إنما أجدني آسف على البصرة لأربع خصال : تجاوب مؤذنيها ، وظماء المواجر ، ولأن بها إخواني ، ولأن بها وطني .

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن بشر الخطابي ، حدثنا محمد بن سهل التميمي ، قال : سمعت القرطبي يقول : جاءني وكيع بن الجراح من بيت المقدس وهو محرم بعمرة ، فقال : يا أبا محمد لم يكن طريقى عليك ، ولكني أحببت أن أزورك وأقيم عندك ، فأقام عندي ليلة ، وجاءني ابن المبارك وقد أحرم بعمرة من بيت المقدس ^(٢) فأقام عندي ثلاثاً ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أقم عندي عشرة أيام ، قال : لا ، الضيافة ثلاثة أيام .

(١) هذا من علم الغيب الذي لا ينبغي القول فيه إلا لله وللرسول . وإلا كان قولاً على الله بغير علم . والله يقول (٧ : ٣٣ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن - إلى قوله - وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

(٢) إنما مواقيت الإحرام بالحج والعمرة كمواقيت الصلاة ، حددها الله على رسوله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم . وقال : ربنا سبحانه (٢ : ٢٢٩) ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) وإنما أتى الأولون والآخرون من قبل التساهل في مثل هذا التعدي متوهمين أنه مبالغة في العبادة ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الناس فى الزيارة على ضربين :
فمنهم من صح الحال بينه وبين أخيه ، وتعزى عن وجود الخلل ، وورود
البغض فيه ، فإذا كان بهذا النعت ، أحببت له الإكثار من الزيارة ، والإفراط
فى الاجتماع ؛ لأن الإكثار من الزيارة بين من هذا نعته لا يورث الملالة ، والإفراط
فى الاجتماع بين من هذه صفته يزيد فى المؤانسة .

والضرب الآخر : لم يستحكم الود بينه وبين من يواخيه ، ولا أداها الحال
إلى ارتفاع الحشمة بينهما فيما يبتذلان لمهنتيهما ، فإذا كان بهذا النعت أحببت له
الإقلال من الزيارة . لأن الإكثار منها بينهما يؤدى إلى الملالة ، وكل مبذول
محمول ، وكل ممنوع ملذوذ . وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة
تصرح بنفى الإكثار من الزيارة حيث يقول « زُرْ غَبًّا تَزِدُّ حُبًّا » إلا أنه
لا يصح منها خبر من جهة النقل ، فتكسبنا عن ذكرها وإخراجها فى الكتاب ،
وإليها ذهب بعض الناس حتى ذكروها فى أشعارهم .

من ذلك ما أنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

وقد قال النبى ، وكان برًّا إذا زرت الحبيب فزره غبًّا
وأقلل زور من تهواه تزدد إلى من زرته مقة وجبًّا^(١)
وأنشدنى محمد بن أبى على :

إنى رأيتك لى محبًّا وإلى حين أغيب صبا
فقعدت لا لملالة حدثت ولا استحدثت ذنبًا
إلا لقول نينسا : زوزوا على الأيام غبًّا

أبناءنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا خالد بن أحمد الشيبانى ، حدثنا سعيد
ابن عنيسة ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى ، قال : سمعت الحسن بن صالح
يقول : كل مودة لا ترداد إلا بالالتقاء مدخولة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحح الحال بينه وبين الإخوان لم يضره قلة الاجتماع ، لاستحكام الحال بينهما ، والمودة إذا أضرَّ بها قلة الالتقاء تكون مدخولة ، وأما من لم يحلَّ في نفس صحة الحال ، ولم يستحكم أسباب الوداد ؛ فالتوفى من الإكثار في الزيارة أولى به ، لثلا يستثقل ويمل .

وأنشدني الخلالى ، أنشدني أحمد بن محمد الصيداوى :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلّكا
فإني رأيت القطر يُسَام دائبا وَيُسَال بالأيدي إذا هو أمسكا
وأنشدني الكرزي :

أقلل زيارتك الحبيب تكون كالثوب استجدّه
إن الصديق يُمِلُّهُ أن لا يزال يراك عنده

وأنشدني أوس بن أحمد بن محمد بن أحمد لأبي تمام :

وطول مقام المرء في الحى مخلّقٌ لديباجتيه^(١) ، فاغترب تتجدّد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الخلق إذ ليست عليهم بسرمد
أنبأنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا حسين بن الوليد ،
حدثنا عبد الله بن المؤمل عن ابن أبي مليكة قال : قال ابن عباس « أكرم الناس
على جليسى الذى يتخطى رقاب الناس حتى يجلس إلى » .

أنبأنا مكحول ببسروت ، حدثنا عبيد بن محمد بن هارون حدثنا عمرو بن
أبي سلمة ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة في قوله تعالى (٢٦:٤٢) ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات) قال : يشفعون في إخوانهم (ويزيدهم من فضله)
قال : يشفعون في إخوان إخوانهم .

(١) الديباجتان : الخدان .

ذكر صفة الأحق والجاهل

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ نَوْفَلٍ ، أَبْنَانَا أَبُو دَاوُدَ السِّنْجِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ شَيْلِ بْنِ عِزْرَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ الْعِطَارِ ، إِنْ لَمْ يَعْطِكْ شَيْئًا يُصِيبُكَ مِنْ عَطْرِهِ ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ مَثَلُ الْقَيْنِ ، إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبَكَ أَصَابَكَ مِنْ دَخَانِهِ » .

(١) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : شَيْلِ بْنُ عِزْرَةَ هَذَا مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاهُمْ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ إِسْنَادَ هَذَا الْخَبَرِ : لِأَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ سَمِعَ هَذَا الْخَبَرَ مِنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَصَرَ بِهِ شَيْلِ وَلَمْ يَحْفَظْهُ .

وَالوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ تَرْكُ صَحْبَةِ الْأَحْقِّ ، وَمُجَانَبَةُ مَعَاشَرَةِ النَّوَكَى ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لَزُومُ صَحْبَةِ الْعَاقِلِ الْأَرِيبِ ، وَعَشْرَةُ الْفُطْنِ اللَّيِّبِ ، لِأَنَّ الْعَاقِلَ وَإِنْ لَمْ يَضِيبْكَ الْحَظُّ مِنْ عَقْلِهِ ، أَصَابَكَ مِنَ الْإِعْتِبَارِ بِهِ ، وَالْأَحْقُّ إِنْ لَمْ يُعْذِكَ حَقُّهُ تَدَنَسَتْ بَعْشَرَتُهُ .

وَقَدْ أَبْنَانَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ السِّنْجِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْبَرْسِيُّ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ عِبَادٍ حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ خَرَّاشٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَسِيرِ بْنِ عَمْرٍو - وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ الصَّحَابَةَ - قَالَ : أَهْجَرَ الْأَحْقُّ ، فَلَيْسَ لِلْأَحْقِّ خَيْرٌ مِنْ هَجْرَانِهِ .

أَبْنَانَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهَاجِرِ الْمَعْدِلِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ الرَّبْعِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْخَشَابُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ بِلَالٍ قَالَ : كَانَ فَتًى يَعْجَبُ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا وَهُوَ يَمَاشِي رَجُلًا مَتَمَّهًا ، فَقَالَ لَهُ :

لَا تَصَاحِبِ الْجَاهِلَ لِإِيَّاكَ وَإِيَاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ

يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءَ

(١) وَقَعَ هُنَا فِي الْمَطْبُوعَةِ السَّابِقَةِ أَرْبَعُ صَحَائِفَ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي شَيْءٍ ،

وَسَنَبَهُ عَلَيْهَا فِي ص ١٢٣ ، ١٢٧

وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه (١)

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اختر ذوى التميز واستبقهم وجانب النوى وأهل الريب
فصحبة العاقل زين الفتى وصحبة الأنوك أخذ السبب
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من علامات الحق التى يجب للعاقل تفقدها
ممن خفى عليه أمره : سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ،
وكثرة الالتفات ، والوقعة فى الأخيار ، والاختلاط بالأشرار .
والأحمق إذا أعرضت عنه اغتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حلت عنه
جهل عليك ، وإن جهلت عليه حلم عنك ، وأن أسأت إليه أحسن إليك ، وإن
أحسنست إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته .

وما أشبه عشرة الحق إلا بما أنشدني محمد بن إسحاق الواسطى :

لى صديق يرى حقوق عليه نافات وحقه كان فرضا
لو قطعت الجبال طولا إليه ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما صنعت غير كبير واشتهى أن أزيد فى الأرض أرضا
حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا إبراهيم بن الجنييد قال : قال لى أبو طاهر
ابن السرح قال : حدثنى خالى أبو رجاء عبد الرحمن بن عبد الحميد عن سعيد
ابن أبى أيوب قال : لاتصاحب صاحب السوء ، فإنه قطعة من النار ، لا يستقيم
وده ولا يفي بعهده .

(١) فى نسبة ذلك الشعر إلى على رضى الله عنه نظير ، فلقد نحل كثيرا من
الشعر والنثر ، بل ألصق به كثير مما فى كتاب نهج البلاغة ، وصفة البلاغة المحدثه ،
وعقيدة الاعتزال صارخة منه بأن أكثر الكتاب من صنع الشوفى الرضى أو آخر
من شكله .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

لن يسمع الأحق من واعظ في رفعه الصوت وفي همسه
لن تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
والحق داء ، ماله حيلة تُرجى ، كبعد النجم في لسه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أظلم الظلمات الحق ، كما أن أنفذ البصائر العقل ، فإذا امتحن المرء بعشرة الأحق كان الواجب عليه اللزوم لأخلاق نفسه ، والمباينة لأخلاقه ، مع الإكثار من الحمد لله على ما هب له من الانتباه لما حرم غيره من التوفيق له ، فإن جرى الأحق في صحبته ميدانه في عشرته فالواجب على العاقل لزوم السكوت حينئذ في أوقاته ، لأن أبا حمزة محمد بن عمر بن يوسف أنبأنا بنسأ حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا ابن داود قال : سمعت الأعمش يقول : السكوت للأحق جواب .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإن من الحق من لا يصدّه عن سلوكه السكوت عنه ، ولا يدفعه عن دخول المكامن الإغضاء عنه ولا ينفعه .

فالعاقل إذا امتحن بعشرة من هذا نعتة تكلف بعض التجاهل في الأحايين ؛ لأن بعض الحلم إذعان ، كما أن استعماله في بعض الحالات قطب العقل .

ولقد أنشدني محمد إسحاق الواسطي :

لئن كنت محتاجا إلى العلم إننى	إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم مُلجَم	ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمى فإنى مقوّم	ومن شاء تعويمى فإنى معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أخوا	ولكننى أرضى به خين أخرج
فإن قال بعض الناس : فيه سماجة ،	فقد صدقوا ، والذل بالحر أسمع

وأنشدني على بن محمد البسامي :

لَنْ تُرَضِيَ الرَّذَلُ إِلَّا حِينَ تَسْخَطُهُ وَلَيْسَ يَسْخَطُ إِلَّا حِينَ تَرْضِيهِ
وَلَا يَسُوءُ إِلَّا حِينَ تَكْرَهُهُ وَلَا يَسْرُكُ إِلَّا حِينَ تَقْصِيهِ
حدثنا أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو سفيان المعمرى عن سفيان
الثوري قال : ابن آدم لم يخلق إلا أحق ، ولو لا ذلك لم ينفعه عيشه .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا عصام بن الفضل الرازي حدثنا الزبير بن
بكار عن محمد بن حرب قال : قال عبد الله بن حسن لابنه : يا بني احذر الجاهل ،
وإن كان لك ناصحاً ، كما تحذر العاقل إذا كان لك عدواً ، فيوشك الجاهل أن
يورطك بمشورته في بعض اغترارك ، فيسبق إليك مكر العاقل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ومن شيم الأحمق العجلة ، والخفة ، والعجز ،
والفجور ، والجهل ، والمقت ، والوهن ، والمهابة ، والتعرض ، والتحاسد ، والظلم ،
والخيانة ، والغفلة ، والسهو ، والنمى ، والفحش ، والفخر ، والخيلاء ، والعدوان ،
والبغضاء .

وإن من أعظم أمارات الحق في الأحمق لسانه ؛ فإنه يكون قلبه في طرف
لسانه ، ما خطر على قلبه نطق به لسانه .

والأحمق يتكلم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل ، ويتكلم في الساعة
الأخرى بكلام لا يعجز عنه بأقل .

والعاقل يجب عليه مجانبة مَنْ هذا نفعه ، ومخالطة مَنْ هذه صفته ، فإنهم
يجترئون على من عاشرهم . ألا ترى الزُّطَّ (١) ليسوا هم بأشجع الناس ، ولكنهم
يجترئون على الأسد لكثرة ما يرونها .

وأنشدني محمد بن يوسف بن أيوب الأرمني :

وَلَنْ يَعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَصَادُقَ أَحْمَقًا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مَصْدَقُ

(١) الزُّط : جنس من السودان والهنود طوال الاجسام مع نخافة .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي أنشدني أبي لصالح بن عبد القدوس :

احذر الأحق أن تصحبه إنما الأحق كالثوب الخلق
كلما رقّعته من جانب حركته الريح وهناً فانخرق
أو كصدع في زجاج فاحش هل ترى صدع زجاج يلتصق ؟
كحمار السوء إن أقضته (١)
وإذا جالسته في مجلس أفسد المجلس منه بالخرق
وإذا نهنته كي يرعوى زاد شراً ، وتمادى في الحق
عجباً للناس في أرزاقهم ذاك عطشان ، وهذا قد غرق

أبانا يعقوب بن إسحاق القاضي ، حدثنا أبو هاني عبد الحميد بن عبد الله
حدثنا عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : الأحق كالثوب الخلق ، إن
رفأته من جانب انخرق من جانب آخر ، مثل الفخار المكسور ، لا يُرَقَّع ولا
يُشَعَّب ، ولا يعاد طينا .

فهذا مثل الأحق : إن صحبته عَنَّاك ، وإن اعتزلته شتمك ، وإن أعطاك من
عليك ، وإن أعطيته كَهَرَك ، وإن أسرَّ إليك أتهمك ، وإن أسررت إليه خانك ،
وإن كان فوقك حَمَرَك ، وإن كان دونك غمرَك .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

اعلم بأن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطناً بكل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

وإن عناء أن تفهم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم
وتشخص أبصار الرّاع تعجباً إليه ، وقالوا : إنه منك أفهم

(١) أقضته : علقته القضام - بضم القاف وبتشديد الضاد - وهو نبت من الحمض

(١) قال أبو حاتم رضى الله عنه : الأحق يتوهم أنه أعقل من رُكِّبَ فيه الروح ، وأن الحق قَسَّم على العالم غيره ، والأحق مُبَغِّض في الناس ، مجهول في الدنيا ، غير مرضى العمل ، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين ، كما أن العاقل محب إلى الناس ، مُسَوِّد في الدنيا ، مرضى العمل عند الله في الآخرة ، وعند الصالحين في الدنيا .

أنبأنا محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندى ، حدثنا عبد الله بن سليمان ، قال : كان الحسن يقول : أنا للعاقل المذير أرجى منى للأحق المقبل .

وأشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

وما الغيُّ إلا أن تُصاحبَ غاويًا وما الرشد إلا أن تصاحب من رَشَدَ
ولن يصحبَ الإنسانَ إلا نظيرُهُ وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وأشدنى على بن محمد البسامى :

لنا جليس تارك للأدب جليسه من نوَّكه في تعبٍ
يغضب جهلاً عند حال الرضا عمدًا ، ويرضى عند حال الغضب
فنحن منه كلما جاءنا في عجب قد جاز حدَّ العجب
كانه من سوء تأديبه أسلمَ في كتاب سوء الأدب

أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن أبي يعقوب الربعى ، حدثنا عبد الله بن موسى البصرى ، حدثنا العتبى ، قال : سمعت أعرابيًا يقول : العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسرَّ منه بلين العيش مع السفهاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : وإنَّ من شيمِ العاقل : الحلم ، والصمت ، والوقار ، والسكينة والوفاء والبذل ، والحكمة ، والعلم ، والورع والعدل ، والقوة ،

(١) من هنا يتبدى الكلام الذى نهىنا على أنه وضع فى ص ١١٨ فى المطبوعة

السابقة خطأ .

والحزم والكياسة ، والتميز ، والسمت ، والتواضع ، والعفو ، والإغضاء ،
والتعفف ، والإحسان ، فإذا وفق المرء لصحبة العاقل فليشدّ يديه به ولا يزياله
على الأحوال كلها .

والواجب على العاقل أن لا يصحب بحيلة من لا يستفيد منه خيراً .

ولقد أنبأنا محمد بن محمود بن عدى النسوى ، حدثنا على بن سعيد بن جرير ،
قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : أخبرت عن مالك بن دينار أنه قال :
مررت براهب في صومعته فناديتّه ، فأشرف علىّ ، فكلمني وكلمته ، فقال لي
فيا يقول : إذا استطعت أن تجعل فيما بينك وبين الدنيا حائطاً فافعل ^(١) ،
وإيالا وكلّ جليس لا تستفيد منه خيراً فلا تجالسّه ، قريباً كان أو بعيداً .

(١) وهذا بظاهره طلب المستحيل ، وهو من أحقق الحق وأسفه السفه ، ولا يكون
من الرهبان إلا ذلك ، فإنهم ابتدعوا عكس ما كتبه الله ، فقد كتب الله وقدر بحكمته
البالغة هذه الحياة الدنيا ، وجعلها للإنسان الطريق إلى الآخرة ، وذلك من إحسان
الله بلاريب ، وأمرنا أن نحسن الانتفاع بها مؤمنين بأن الله الحكيم ما خلقها ولا
خلق شيئاً في السموات والأرض باطلاً ، بل كله حق ، فنقدر لربنا ذلك ونضع
كل شيء في موضعه ، فقد قال سبحانه (١٠ : ٢٦) للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)
ولقد عمى أولئك الرهبان ومقلدوهم كل العمى فذهبوا متخطين في مهامه الغي
والفساد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، زعموا أنهم يقدرون أن يقهروا سنن الله
ويغلبوها فقهرتهم وغلبيتهم ، والله (٦ : ١٨) هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير) فكان منهم أفسق الفسق ، وشر العصيان ، ولئن ضل رهبان النصارى
لتبديل شريعة عيسى عليه السلام وتحريفها ، فما بال رهبان المسلمين ضلوا وراءهم
ضلالا بعيدا ؟ وهذا كتاب الله محكمة آياته ، واضحة شرائعه ، يضاء محجته ، قائمة
صواه ومعالمه ، وهذا هدى رسول الله مصون محفوظ ، كأنه قائم بين الناس يحدثهم
ويدعوهم إلى الهدى وإلى صراط الله المستقيم ؟ ولكن هو إبليس العوى ، والتقليد
الردى ، والغلو المفسد ، والهوى المتحكم ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون ،
وعليك بهدى رسول الله فهو خير هدى .

ذكر الزَّجْر عن التجسس وسوء الظن

حدثنا محمد بن أبي أحمد الرقام بنسْتَر، حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى، حدثنا أبو داود، حدثنا سليمان بن حيان عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً » .

حدثنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا جعفر بن محمد بن الحجاج الرقي ، حدثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ، حدثنا محمد بن المبارك ، عن يونس بن نافع ، عن كثير بن زياد ، قال : سمعت الحسن يقول : لا تسأل عن عمل أخيك الحسن والسيء ، فإنه من التجسس .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس ، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه ؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ، ولم يتعب قلبه ، فكما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه ، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عى قلبه وتعب بدنه ، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه ، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه من عاب الناس عابوه ، ولقد أحسن الذى يقول :

إذا أنت عبت الناس عابوا وأكثروا
وقد قال فى بعض الأقاويل قائل
إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم
فإن عبت قومًا بالذى ليس فيهم
وإن عبت قومًا بالذى فيك مثله
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه
متى تلتمس للناس عيبًا تجد لهم
عليك ، وأبدوا منك ما كان يُستَرُّ
له منطلق فيه كلام مُحَبَّرٌ
فلا عيب إلا دون مامنك يذكر
فذلك عند الله والناس أكبر
فكيف يعيب العور من هو أعور ؟
أشدُّ إذا عدَّ العيوب وأنكر ؟
عيوبًا ، ولكن الذى فيك أكثر

فسالمهم بالكف عنهم ، فإنهم بعبيك من عيفيك أهدى وأبصر
حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا هارون بن صدقة القاضي ، حدثنا سعيد
ابن مسلمة الإيادي ، قال : ادعت امرأة على رجل حماراً لها ، فقدمته إلى القاضي ،
فسألها البينة ، فأحضرت أبا دلامة ورجلاً آخر ، فقال لها القاضي : أما شاهدك
هذا فقد قبلنا شهادته ، فأتيتاً بشاهد آخر ، فأتت أبا دلامة فأخبرته ، فصار إلى
القاضي وأنشأ يقول :

إن الناس غَطَّوْنِي تَغْطِيتُ عَنْهُمْ وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبأث ؟^(١)
فقال القاضي للمرأة : كم ثمن حمارك ؟ قالت : ثلاثمائة ، قال : قد احتملناها
لك من مالى وأنشدني الكريزي :

أرى كل إنسان يري عيب غيره ويعمي عن العيب الذي هو فيه
وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذي لأخيه
حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا الليث بن عبدة المصري ، حدثنا الحسن بن
واقع ، حدثنا ضمرة عن الشيباني ، قال : في الكتب مكتوب : كما تدين تدان ،
وبالكأس الذي تسقى به تشرب ، وزيادة : لأن البادئ لا بد له من أن يزاد .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : التجسس من شعب النفاق ، كما أن حسن
الظن من شعب الإيمان ، والعاقل يحسن الظن بإخوانه ، وينفرد بغمومه وأحزانه ،
كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه ، ولا يفكر في جنائياته وأشجانه .
ولقد أحسن الذي يقول :

ما بسترِجُ المسىء ظناً من طول غم ، وما يُرِجُ
وقلَّ وجه يضيق إلا ودونه مذهب قسيح
مَنْ حَفَّ اللَّهُ عنه هبت من كل وجه إليه ريح

(١) نبت التراب ونبتشه : حفره بيده وأثارته

والجسم حيث استقر هادٍ والروح جَوَّالَةٌ تسيح
كم تذيب الأرض من بينها كلُّ فيها لها ذبيح
لن يهلك المرء من سماح وقلمًا يفلح الشحيح
قال أبو حاتم رضى الله عنه : سوء الظن على ضربين :
أحدهما : منهى عنه بحكم النبي صلى الله عليه وسلم .
والضرب الآخر مستحب .

فأما الذى نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة على ماتقدم
ذكرنا له .

وأما الذى يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبينه عداوة أو شحنة
فى دين أو دنيا ، يخاف على نفسه مكره ، فيئخذ يلزمه سوء الظن بمكائده
ومكره لئلا يصادفه على غرّة بمكره فيهلكه .

وحسن الظن يحسنُ فى أمور ويمكن فى عواقبه ندامه
وسوء الظن يسمُج فى وجوه وفيه من سماحته حرّامه
وأنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

ما ينبغى لأخى ودّ وتجربة أن يترك الدهر سوء الظن بالناس
حتى يكون قريباً فى تباعده عتاً ، ويدفع ضرّ الحرص بالياس
حدثنا محمد بن المنذر ، حدثنا إبراهيم بن هانىء ، حدثنا ابن أبى مریم ،
حدثنا (١) .

• أنبأنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن

(١) كذا بالأصلين ، وإلى هنا ينتهى الكلام الذى نبهنا فى ص ١١٨ على أنه
وضع خطأ هنا فى المطبوعة السابقة .

عمر بن سعد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : مكتوب في التوراة « من تجر^(١) فجر ، ومن حفر حفرة سوء لصاحبه وقع فيها » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مباينة العام في الأخلاق والأفعال ، بلزوم ترك التجسس عن عيوب الناس ؛ لأن من بحث عن مكنون غيره بحث عن مكنون نفسه ، وربما طمّ مكنونه على ما بحث من مكنون غيره ، وكلف يستحسن مسلم ثلب مسلم بالشئ الذى هو فيه ؟ .
وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لا تلتئم من مساوى الناس ماستروا فيهلك الناس سترأ من مساويكما
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً عيباً بما فيكما
وأنشدنى محمد بن عبد الله بن زنجى البغدادى :

إذا ما اتقيت الأمر من حيث يُتقى وأبصرت ما تأتى ، فأنت لبيب
ولاتك كالناهى عن الذنب غيره وفى كفّه مما يذم نصيب
يعيب فعال سوء من فعل غيره ويفعل أفعال الذين يعيب

حدثنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا محمد بن موسى السمرى حدثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه ، قال : وحدثنى عزيز عن الزبير بن موسى الخزومى قال : قالت ابنة عبد الله بن مطيع الأسود ، وهى زوجة طلحة بن عبد الله بن عوف لزوجها : مارأيت أحداً قط ألام من أصحابك ، قال : مه ، لاتقولى ذاك فيهم ، وما رأيت من لؤمهم ؟ قالت : أمراً والله بيناً ، قال : وما هو ؟ قالت : إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت جانبوك ، قال : مازدت على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق ، قالت : وما هذا من مكارم الأخلاق ؟ قال : يأتوننا فى حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم .

(١) أى صار تاجراً ، واتخذ التجارة صناعته .

ذكر الحث على مجانبة الحرص للعاقل

حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله - حدثنا بشر بن معاذ العقدي^(١) حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يهرم ابنُ آدم وتشب منه اثنتان : الحرص ، والحسد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أركب الله جل وعز في البشر الحرص والرغبة في الدنيا الفانية ، لثلاث خرب ، إذ هي دار الأبرار ، ومكسب الأتقياء ، وموضع زاد المؤمنين ، واستجلاب الميرة للصالحين ، ولو تعرى الناس عن الحرص فيها بطلت وخربت ، فلم يجد المرء ما يستعين به على أداء فرائض الله ، فضلا عن اكتساب ما يجدي عليه النفع في الآخرة نفلا ، والإفراط في الحرص مذموم ، كما أنشدني علي بن محمد البسامي :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببته أو كرهته
لو إلى الأمور ، أختار منها خيرا لي عواقباً ما عرفته
ولو أني حرصت جهدي أن أدفع أمراً مقدراً ما دفعته
فأرى أن أردّ ذاك إلى من عنده علم كل ما قد جهلته
وأنشدني محمد بن نصر المديني :

يا كثير الحرص مشغور لا بدنيا . ليس تبقى
ما رأيت الحرص أدنى من حريص قط رزقا
لا ، ولكن في قضاء الله : أن يعيا ويشقى
تعرف الحق ، ولكن لا ترى للحق حقاً

أنبأنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن الوليد بن أبان ، حدثنا نعيم بن حماد عن ابن المبارك قال : سخط الناس عما في أيدي الناس أكثر من

(١) في نسخة « العقدي » .

سخاء البذل ، ومروءة القناعة أكثر من مروءة الإعطاء .

أنشدنا أبو يعلى قال : أنشدونا منذ دهر للشافعي :

قدرُ الله واقعٌ حيث يقضى ورودهُ
قد مضى فيك حكمه وانقضى ما يريده
وأخو الحرص حرصه ليس مما يزيده
فأردُ ما يكون إذ لم يكن ما تريده

أنبأنا عبد الله بن عروة حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا ابن علية عن أيوب عن ابن سيرين قال : إذا لم يكن ما تريد فأردُ ما يكون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميراً ؛ لأن الحرص سبب لإضاعة الموجود عن مواضعه ، والحرص محرمة ، كما أن الجبن مقتلة ، ولو لم يكن في الحرص خصلة تدم إلا طول المناقشة بالحساب في القيامة على ما جمع لكان الواجب على العاقل ترك الإفراط في الحرص .

وقد كان بعض أصحابنا كثيراً ما ينشد :

تجنب الحرص ، ودع عنك الحسد ففيهما الذلُّ وإتعا بُ الحسد
وأنشدني الكريزي :

وأرقنى طولُ التفكير إننى عجبت لدهرٍ ما تُقضى عجائبه
فكم عاجز يدعى جليداً لغشمه ولو كلف التقوى لكَلَّت مضاربه
وعف يسمى عاجزاً لعفاه ولولا التقي ما أعجزته مذاهبه
فليس بحرص المرء أدركه الغنى ولا باحتيال أدرك المال كاسبه
ولكنه قبضُ الإله وبسطه فلا ذا يجاريه ولا ذا يغالبه

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحرص غير زائد في الرزق ، وأهون ما يعاقب الحريص بحرصه أن يمنع الاستمتاع بما عنده من محصوله ، فيتعب في طلب

مالا يدري أيلحقه أم يحول الموت بينه وبينه ؟ ولو لزم الحريص ترك الإفراط فيه
واتكل على خالق السماء لأتحفه المولى جل وعز بإدراك مالا يسعى فيه ، والظفر
بمالو يسعى فيه وهو حريص عسى لتعذر عليه وجوده .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أَلَا رَبَّ بَاغٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا وَآخِرُ قَدْ تَقَضَّى لَهُ وَهُوَ آيَسُ
يَحَاوِلُهَا هَذَا ، وَتَقَضَّى لغيره وَتَأْتَى الَّذِي تَقَضَّى لَهُ وَهُوَ جَالِسُ

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

وَكَمْ مِنْ أَكَلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا بِلَذَّةٍ سَاعَةً أَكَلَاتِ دَهْرُ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَى لشيءٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْحِرْصُ عِلَامَةُ الْفَقْرِ ، كَمَا أَنَّ الْبَخْلَ جَلْبَابُ
الْمَسْكِنَةِ ، وَالْبَخْلُ لِقَاحُ الْحِرْصِ ، كَمَا أَنَّ الْحَمِيَّةَ لِقَاحُ الْجَهْلِ ، وَالْمَنَعَ أَخُو الْحِرْصِ ،
كَأَنَّ الْأَنْفَةَ تَوَامُ السَّفَهَ ، وَأَنَشَدَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : أَنَشَدَنِي الْغُلَابِيُّ :

لَا تَأْتِيَنَّ نَذَالَةً لِمَنَالَةٍ فليأتينك رزقك المقدور
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ أَخَذْتَ كُلَّ الَّذِي لَكَ فِي الْكِتَابِ مُحِبَّرٌ مُسْطَوْر
وَاللَّهُ مَا زَادَ امْرَأً فِي رِزْقِهِ حِرْصٌ ، وَلَا أَرْزَى بِهِ التَّقْصِيرُ

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وَإَرْضَ مِنَ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا بِأَيْسَرِهِ وَلَا تَرُومَنَّ مَا إِنْ رُمَّتْهُ صَعْبُ
إِنَّ الْغَنَى هُوَ الرَّاضِي بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظَلُّ عَلَى مَافَاتٍ مَكْتُوبُ

أَبْنَاءُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْقَرَازِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنُ حَمِيدِ الطَّوِيلِ حَدَّثَنَا
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَتَبِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : اخْتَصَمَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْقَدَرِ ،
خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ ، ثُمَّ تَحَاكَمُوا إِلَى عَالَمٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : أَخْبَرْنَا عَنْ الْقَدَرِ ،
وَقَصَّرَ وَبَيْنَ لِنَفْهِمِهِ عَنْكَ الْعَوَامُ ، فَقَالَ : حَرَمَانُ عَاقِلٌ ، وَحِظُّ جَاهِلٌ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا حَظَّ فِي الرَّاحَةِ لِمَنْ أَطَاعَ الْحِرْصَ ؛ إِذَا الْحِرْصُ

سائق البلايا ، فالواجب على العاقل أن لا يكون المفرط في الحرص في الدنيا ؛
فيكون مذموماً في الدارين ، بل يكون قصده لإقامة فرائض الله ، ويكون
لبغيته نهاية يرجع إليها لأن من لم يكن لقصده [منها] نهاية آذى نفسه وأتعب
بدنه . فمن كان بهذا النعت فهو من الحرص الذي يحمد .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

الحرص عونٌ للزمان على الفتى والصبر نعم القرن للآزمان
لا تخضعنَّ فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمدّه بهوان
وإذا رآك وقد قصدت لصرفه بالصبر ، لاقى الصبر بالإذعان
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ، حدثني شعيب بن أحمد لأبي العتاهية :
لا تخضعنَّ لمخلوق على طمع فإن ذلك مُضِرٌّ منك بالدين
وأنشدني الكريزي أيضاً ، أنشدني شعيب بن أحمد لأبي العتاهية :

قد شاب رأسي ، ورأسُ الحرص لم يشب
إن الحريص على الدنيا لفي تعب
مالي أراي إذا حاولتُ منزلةً
فقلتها طمعت نفسي إلى رتب
لو كان ينفعني علمي وتجربتي
لم أشف غيظي من الدنيا ولا كلبتي

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات بعلمها
في كتاب « الثقة بالله » بما أرجو أن يكون فيه غنية لمن أراد الوقوف على
معرفتها ، فأغني ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الزُّجَر عن التحاسد والبغضاء

أنبأنا محمد بن الحسين بن مكرم البزاز بالبصرة ، حدثنا عمرو بن علي الفلاس ،

حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، حدثني عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها : فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء ، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده ، انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم ، والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه ، وهيهات أن يساعد القضاء ما للحساد في الأحشاء .

وأشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

أعذر حصودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثله الحسد
إن يحسدوني فإنى لا ألومهم قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
أنا الذى وجدونى فى صدورهم لا أرتقى صدراً منهم ولا أريد
أنبأنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق ،
عن عمرو بن ميمون ، قال : رأى موسى رجلاً عند العرش فغبطه بمكانه ، فسأله
عنه ، فقال : ألا أخبرك بعمله ؟ كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ،
ولا يعق والده ، قال : وكيف يعق والده ؟ قال : يستتب لها حتى يسبها ،
ولا يمشى بالتميمة .

أشدني ابن بلال الأنصاري :

عينُ الحسود عليك الدهر حارسةً تبدى مساويك والإحسان يخفيها
فاحذر حراستها ، واحذر تكشفها وكن على قدر ماتوليكَ توليها
أنبأنا عبد الرحمن بن زياد الكنانى ، بالأبلة ، حدثنا أبو يحيى الضرير ، حدثنا
موسى بن داود ، حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه « ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسداً ، ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامراً ، وما ضرت كلمة لم يكن لها خواطب »
وأنشدني علي بن محمد البسامي ^(١) :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقومُ أنداد له وخصوم ^(٢)
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً : إنه لدميم
وترى اللبيب مُحسداً لم يجتلب شتم الرجال ، وعرضه مشتوم
أخبرنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن حرب ، حدثنا
غسان بن الفضل ، أخبرني محمد بن يزيد عن يونس بن عبيد ، قال : قال
ابن سيرين ما حسدت حداً على شيء من الدنيا ؛ لأنه إن كان من أهل الجنة
فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة ؟ وإن كان من أهل
النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار ؟
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الحسد من أخلاق اللثام ، وتركه من أفعال
الكرام ، ولكل حريق مطفىء ، ونار الحسد لا تطفأ .

ومن الحسد يتولد الحقد ، والحقد أصل الشر ، ومن أضمر الشر في قلبه ،
أثبت له نباتاً مُراً مذاقه ، نماؤه الغيظ ، وثمرته الندم .

والحسد هو اسم يقع على إرادة زوال النعم عن غيره ، وحلولها فيه . فأما من
رأى الخير في أخيه ، وتمنى التوفيق لمثله ، أو الظفر بحاله ، وهو غير مرید لزوال
ما فيه أخوه ؛ فليس هذا بالحسد الذي ذُمر وهُي عنه .

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه ، فكلما آتاه الله
بترداد النعم ، ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم .
وقد كان داود بن علي - رحمه الله عليه - ينشد كثيراً :

(١) ثانی هذه الأبيات ينسب لابن الرومی .

(٢) المحفوظ « فالقوم أعداء له وخصوم » .

إني نشأت وحُسادى ذوو عدد إذا الماعرج ، لا تَنْقُصُ لهم عددا
إن يحسدوني على ما كان من حسن فمثل خُلُقِي فيهم جرّ لي حسدى
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الفلابي ، حدثنا مهدي بن سابق ، أخبرنا
عباد بن عباد المهلبى قال : قال أبو جعفر المنصور لسفيان بن معاوية ؛ ما أسرع
الناس إلى قدمتك المدينة ! فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرائن تلقاها مُحَسَّدة ولن ترى للثام الناس حساد
وأنشدنى الكريزى ، أنشدنى محمد بن الحسين العمى :

حسدوا النعمة لما ظهرت فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أبدى نعمة لم يضرها قولُ حساد النعم

سمعت أحمد بن محمد بن الأزهر يقول : سمعت أحمد بن سعيد الدار
يقول : سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول : كنا نتعلم في الكتاب - كما تتعلم
أبو جاد^(١) - جهلى نيسابورى ، وبخل مروزي ، وحسد هروى ، وطرم^(٢) بلخى .
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى : حدثنا عمران بن موسى بن أيوب ، حدثنى
أبى عن مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : ما حسدت أحداً
على دين ولا دنياً .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يوجد من الحسود أمان آخرُ من البعد
منه ؛ لأنه مادام مشرفاً على ما خصصت به دونه لم يزد ذلك إلا وحشة وسوء
ظن بالله ، ونماء للحسد فيه .

فالعاقل يكون على إماتة الحسد بما قدرَ عليه أحرصَ منه على تربيته ولا يجد
لإماتته دواءً أنفع من البعاد ، فإن الحاسد ليس يحسدك على عيب فيك ، ولا على

(١) أبو جاد ، أو أبا جاد : حروف الهجاء .

(٢) الطرم : من التطرم وهو الالتياث في الكلام .

خيانة ظهرت منك ، ولكن يحسدك بما ركب فيه من ضد الرضا بالقضاء كما
قال العتي :

أفكر ما ذنبى إليك فلا أرى لنفسى جرماً ، غير أنك حاسدٌ
وأشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

ليس للحاسد إلا ما حسدٌ وله البغضاء من كل أحد
وأرى الوحدة خيراً للفتى من جليس السوء فأنهض إن قعدُ
وأشدنى محمد بن نصر المدينى لحبيب بن أوس :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عرفِ العود^(١)
لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد التعمى على المحسود

أبنانا محمد بن المنذر ، حدثنا يحيى بن أبى طالب ، حدثنا روح بن عبادة ،
حدثنا حماد عن حميد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، هل يحسد المؤمن ؟ قال :
ما أنساك بنى يعقوب ؟ لا أبالك ! حيث حسدوا يوسف ، ولكن غم الحسد
فى صدرك ، فإنه لا يضررك ، ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل إذا خطر بباله ضربٌ من الحسد لأخيه
أبلغ المجهود فى كتامه ، وترك إبداء ما خطر بباله .

وأكثر ما يوجد الحسد بين الأقران ، أو من تقارب الشكل ، لأن الكتابة
لا يحسدها إلا الكتابة ، كما أن الحجة لا يحسدها إلا الحجة ، ولن يبلغ المرء مرتبة
من مراتب هذه الدنيا إلا وجد فيها من يبغضه عليها ، أو يحسده فيها ، والحاسد
خصم معاند لا يجب للعاقل أن يجعله حكماً عند نائبة تحدث ، فإنه إن حكم
لم يحكم إلا عليه . وإن قصد لم يقصد إلا له ، وإن حرم لم يحرم إلا حظّه ، وإن

(١) العرف - بالفتح - الريح المطيبة ، والعود : أراد به العود الذى يتبخر به .

أعطى أعطى غيره ، وإن قعد لم يقعد إلا عنه ، وإن نهض لم ينهض إلا إليه ،
وليس للمحسود عنده ذنب إلا النعم التي عنده .

فليحذر للمرء ملوصفت من أشكاله وأقرانه وجيرانه وبنى أعمامه .

وقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا العباس بن بكار قال : قال
رجل لشبيب بن شبة : إني لأحبك ، قال : صدقت ، قال : وما علمك ؟ قال :
لأنك لست بجار ولا ابن عم .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي .

أنت امرؤ قصّرت عنه مروءته إلا من الغش للاخوان والحسد
أأن تراني خيراً منك تحسدني ؟ إن الفضيلة لا تخلو من الحسد
قال أبو حاتم رضى الله عنه : بش الشعر للمرء الحسد ، لأنه يورث الكد ،
ويورث الحزن ، وهو داء لا شفاء له .

والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت ، وإن رأى به عثرة شمت ، ودليل مافي
قلبه كمين على وجه مبين ، وما رأيت حاسداً سأل أحدًا .

والحسد داعية إلى النكد ، ألا ترى إبليس ؟ حسد آدم فكان حسده نكداً
على نفسه ، فصار لعيناً بعد ما كان مكيناً^(١) ، ويسهل على المرء ترضى كل ساخط
في الدنيا حتى يرضى ، إلا الحسود ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد
من أجلها .

(١) لست أدري : علام أقام القائلون بمكانة إبليس : قولهم ؟ فمنهم من زعمه
كان طائوس الملائكة ، ومنهم من زعمه ، كان زينة ساكني الجنة ، وغير ذلك من
مقالاتهم . وهذا كتاب الله واضح الآيات وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجاولة الصفحات ، لا نجد في شيء من ذلك على شيء مما قالوه عن إبليس ، ومن أصدق
من الله قولا ؟ وأعتقد أن للاسرائيليات يداً طائلة في تلك التعوت التي خلعوها على
إبليس . وكل ذلك من علم الغيب الذي لا ينبغي أن تنطق فيه إلا بكتاب الله ، أو
بالصحيح الثابت من حديث رسول الله . والله أعلم .

ولقد حدثني محمد بن عثمان العقدي^(١) حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال بعض الحكماء : ألزم الناس للكتابة أربعة : رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط للأدباء وهو غير أديب ، وحكيم محتقر للأقوام ، وأبعد الناس من الدخول في دين الحق والنصيحة لأهله : جاهل ورث الضلالة عن أهله ، ورأس أهل ملته حظى فيهم بفضل الضلالة ، ومعظم الدنيا يرى بهجتها دائمة محبوبة ، ويرى مارجى من خيرها قريباً ، وماصرف من شرها بعيداً ، ليس يعقد قلبه على الإيمان ، ورجل خالط النساء فانصرف عنهم لحرصه وشرهه ، ودأبهم على مكر وخديعة .

ذكر الحث على مجانبة الغضب وكرهية العجلة

أنبأنا عمر بن حفص البزار بجنديسابور ، حدثنا محمد بن زياد الزيادي ، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة أن جابراً قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمني شيئاً يا رسول الله أدخل به الجنة ، ولا تُكثِرُ عليَّ ، لعلِّي أعقلُ ، قال : لا تغضب » قال أبو حاتم رضى الله عنه : أحسن الناس عقلاً من لم يَحْرَدَ ، وأحضر الناس جواباً من لم يغضب .

وسرعة الغضب : أنكى في العاقل من النار في يَبَسِ العُوسَجِ ؛ لأن من غضب زايله عقله ، فقال : ما سَوَّلَتْ له نفسه ، وعمل ما شانه وأرداه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقدي^(١) ، حدثنا إسحاق بن زكرياء البناني حدثنا عبد الصمد بن حسان ، حدثني وهيب قال : مكتوب في الإنجيل : ابن آدم ، اذكرني حين تغضب ، أذكرك حين أغضب ، فلا أحقك فيمن أحق ؛ وإذا ظَلِمْتَ فلا تنتصر ، فإن نُصِرْتَ لك خير من نصرتك لنفسك .

(١) في « نسخة العقبي » .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلاً تمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صحَّ إلا على الأدب
ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب
قال أبو حاتم رضي الله عنه : سرعة الغضب من شيم الحمقى ، كما أن مجانبتة
من زى العقلاء .

والغضب بذر الندم ، فالمرء على تركه قيل أن يغضب أقدرُ على إصلاح
ما أفسد به بعد الغضب .

ولقد أنبأنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا حاتم بن الليث الجوهري ، حدثنا
بكار بن محمد قال : كان ابن عون لا يغضب ، فإذا أغضبه إنسان قال : بارك الله
فيك ! .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

لم يأكل الناس شيئاً من ما كلهم أحلى وأحمدَ عقباه من الغضب
ولا تلحف إنسان بملحفه أبهى وأزين من دين ومن أدب
أنبأنا كامل بن مكرم ، حدثنا الربيع بن سليمان ، حدثنا أسد بن موسى ،
حدثنا ضمرة عن أبي سعيد قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة إذا غضب على
غلامه قال : ما أشبهك بمولاي ! أنت تعصيني وأنا أعصى الله ، فإذا اشتد غضبه
قال : أنت حر لوجه الله .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل إذا ورد عليه شيء بضد
ماتهواه نفسه أن يذكر كثرة عصيانه ربه ، وتواتر حلم الله عنه ثم يسكن غضبه
ولا يزرى بفعله الخروج إلى ما لا يليق بالعقلاء في أحوالهم ، مع تأمل وفور الثواب
في العقبى بالاحتمال ونفى الغضب .

وأنشدني الأنصاري :

وكظمي الغيظَ أولى من محاولتي غيظَ العدو بإضرارِي يا يمانِي

لا خير في الأمر تُردني مغتبه يوم الحساب إذا ما نصّ ميزاني
أنبأنا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال : سمعت سالم
ابن ميمون الخواص يقول :

إذا نطق السفية فلا تُجبه فخير من إجابته السكوتُ
سكتُ عن السفية فظنّ أني عيت عن الجواب ، وما عيتُ
شرارُ الناس لو كانوا جميعاً قذّي في جوف عيني ما قذيتُ
فلست محابواً أبداً سفياً خزيت لمن يحافيه خزيتُ
وأشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تأنّ في أمرك ، وافهم عني فليس شيء يعدلُ الثاني
تأنّ فيه ، ثم قل ، فإني أرجو لك الإرشاد بالثاني
أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الزيري عن
سعيد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، قال أنشدني يونس بن إبراهيم بن محمد بن
طلحة لمحمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله .

فلا تعجلْ على أحدٍ بظلم فإن الظلم مرتعُهُ وخيمُ
ولا تفحش ، وإن مُلّيت غيظاً على أحد ، فإن الفحش لوم
ولا تقطع أخاً لك عند ذنب وإن الذنب يغفره الكريم
ولكن داري عوراهُ برفق كما قد يُرْفَعُ الخلق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم
فما جزعُ بمغنٍ عنك شيئاً ولا مافات ترَجُّهُ الموم

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن في الغضب خصلة تدم إلا إجماع
الحكماء قاطبة على أن الغضبان لا رأى له لكان الواجب عليه الاحتيال لفارقته
بكل سبب .

والغضب ان لا يعذره أحد في طلاق ولا عتاق . ومن الفقهاء من عذّر السكران في الطلاق والعتاق ، والخلق مجبولون على الغضب والحلم معاً ، فمن غضب وحلم في نفس الغضب ؛ فإن ذلك ليس بدموم ، ما لم يخرج غضبه إلى المكروه من القول والفعل ، على أن مفارقتة في الأحوال كلها أحمد .

ولقد أنبأنا عمر بن محمد حدثنا القلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء قال : قال عبد الملك بن مروان : إذا لم يغضب الرجل لم يحلم ؛ لأن الحليم لا يعرف إلا عند الغضب .

ذكر الزجر عن الطمع إلى الناس

أنبأنا محمد بن أحمد بن المستنير بالمصيصة حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم حدثنا خالد بن عمرو عن سفیان عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، علمني عملاً إذا أنا عملته أحبني الله ، وأحبنى الناس ؛ فقال : ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ترك الطمع إلى الناس كافة بكال الإياس عنهم ؛ إذ الطمع فيما لا يشك في وجوده فقر حاضر ، فكيف بما أنت شاك في وجوده أو عدمه ؟ ولقد أحسن الذي يقول :

لأجعلنَّ سبيل اليأس لى سُبُلًا ما عشت منك ، ودارَ ألهم أوطاناً
والصبرُ أجعله غرمًا أنال به في الناس قرباً ، وعند الله رضواناً
فالنفس قانعة ، والأرضُ واسعة والدار جامعة مثني ووحداناً
وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسائي قال : أنشدني الحسين بن أحمد
ابن عثمان :

اليأسُ. أدبني ورفع همتي واليأس خير مؤدب للناس
إني رأيت مواضع الطمع الذي يضع الشريف مواضع الأخساس
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادى: ^(١)

فأجعت يأساً لا لبانة بعده واليأس أدنى للعفاف من الطمع
والنفس تطمع هشة إن أطمعت وتنال باليأس السلو فتقنع
أنا بن محمد بن عثمان العقبى ^(٢) حدثنا يزيد بن عبد الصمد حدثنا يحيى بن
صالح حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن سعد بن عمارة أنه لما قال لابنه : يا بني ،
أظهر اليأس فإنه غنى ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى
لذى طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف ، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع
ولم يعم بصره بالطمع .

ومن أحب أن يكون حراً فلا يهوى ما ليس له ؛ لأن الطمع فقر ، كما أن
اليأس غنى ، ومن طمع ذل وخضع ، كما أن من قنع عفا واستغنى .
ولقد أنشدني الكريزى :

لا خير في عزم بغير روية والشك عجز ، إن أردت سراحا
واليأس مما فات يعقب راحة ولرب مطمعة تعود ذباحا
وأنشدني علي بن محمد البسامى :

فكنت لى أملاً دهرأ أطلبه فقيرته صروف الدهر أطوارا
صرفت باليأس عنه النفس فأنصرفت فما أبالى أقام الدهر ، أم سار
أنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا عبد الله بن أبي شيبه حدثنا عبد الله بن
مروان حدثنا محمد بن هانيء الطائى قال : بعث أبو الأسود الديلى إلى جاري يقترض

(١) البيتان الآتيان ليسا من بحر واحد ولا روى واحد لذلك فصلناهما .

(٢) أنظر ص ١٣٨ السابقة .

منه ، فلم يقرضه واعتل عليه ، وكان حسن الظن به ، فقال أبو الأسود :
 لا تشعرن النفس يأساً ، فإنما يعيش بمجد عاجز وجليد
 ولا تطمعن في مال جار لقربه فكل قريب لا ينال بعيد
 وفوض إلى الله الأمور ، فإنما يروح بأرزاق العباد جدد
 أنبأنا القطان بالرقعة حدثنا المروزي قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : سمعت
 ابن السماك يقول : الرجاء حبل في قلبك ، وقيد في رجلك ، فأخرج الرجاء من
 قلبك ينفك القيد من رجلك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الطمع غدة من قلب المرء له طرفان : أحدهما :
 القيد في رجله ، والآخر : الطبع على لسانه ، فمادامت العقدة قائمة لا تنفك رجلاه ،
 ولا ينطق لسانه ، فإذا أخرج الطمع من قلبه انفك القيد من رجله ، وزال الطبع
 عن لسانه ، فسعى إلى ماشاء ، وقال ما أحب .

ودواء زوال الطمع عن القلب : هو رؤية الأشياء من مكنونها بدوام الخلوة ،
 وترك الناس كما أنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

كُنْ لِقَعْرِ الْبَيْتِ حِلْسًا وارض بالوحدة أنسا^(١)

(١) إن من يلزم قعر البيت ليكون حلساً - والحلس : الفراش المهيمن من خيش
 ونحوه ، يكون تحت الفراش القيم ، من نحو البسط والتمارق ، وهو أيضاً : ما يلي
 ظهر الفرس أو البعير تحت السرج والرحل - لا بد أن يكون مهيناً حقيراً ، عالة على
 الناس ، معطلا عن العمل والكسب ، فاراً من ميدان الكدح والجهاد في الحياة .
 بسنن الله العليم ، ولذلك جرى على ألسنة العرب : « فلان جلس بيته » على الدم ،
 يعنون أنه لا يصلح إلا للزوم البيت ، كما قال في لسان العرب . ومثل هذا لا يحبه الله
 ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فضلاً عن أن هذا لا يقطع جذور داء الطمع ، بل
 يزيد تأصلاً ، وتمكناً في النفس ، بما تلزمه الحياة وشئون العيش اللازم فيها إلى مافي
 أيدي العاملين الكادحين ، بل ويولد فيه - زيادة عن الطمع - الحسد والحقد على
 المجتمع كله ، وما نبئت رءوس شياطين الفتن في المجتمع ، والثورة على النظم =

لست بالواجد حُرًّا أو ترد اليوم أمسا
فاغرس اليأس بأرض الزهد ما عُمِرْتَ غرسا
وليكن يأسك دون الطمع الكاذب تُرسا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحتنب الطمع إلى الأصدقاء ؛ فإنه مدَّةٌ ،
ويلزم اليأس عن الأعداء ؛ فإنه منجاة ، وتركه مهلكة ، والإياس هو بذر الراحة
والعز ، كما أن الطمع هو بذر التعب والذل ، فكم من طامع تعب وذل ، ولم ينل
بقيته ، وكم من آيس استراح وتعزز ، وقد أتاه ما أمل وما لم يأمل .
وأنشدني الأبرش :

يَعْرِى وَيَغْرَثُ مِنْ أَمْسَى عَلَى طَمَعٍ مِنْ الْمَكَارِمِ وَهُوَ الطَّامِعُ الْكَاسِي .
إِنْ الْمَطَامِعُ ذَلٌّ لِلرَّقَابِ ، وَلَوْ أَمْسَى أَخُوهَا مَكَانَ السَّيِّدِ الرَّاسِ
وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيُّ :
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي إِذَا النِّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أُنْسَ أَنْ أَتَكْرَمَهَا
وَلَسْتُ بِلَوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ ، وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدِّمَهَا
أَبْنَاءُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْقَرَارِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يُونُسَ الْكَوْفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ جَبَلَةَ الْكِنَانِيُّ عَنْ معاوية بن عمار عن أبي جعفر قال : اليأس عما في أيدي
الناس عز ، ثم قال : أما سمعت قول حاتم الطائي :

إِذَا مَا عَزَمْتَ الْيَأْسَ أَلْفَيْتَهُ الْغَنَى إِذَا عَرَفْتَهُ النَّفْسَ ، وَالطَّمَعُ الْفَقْرُ
ذَكَرَ الْحَثَّ عَلَى مَجَانِبَةِ الْمَسْأَلَةِ وَكَرَاهِيَّتِهَا

حدثنا أبو يزيد خالد بن النضر بن عمرو القرشي بالبصرة حدثنا عبد الواحد
ابن غياث حدثنا حماد بن سامة حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَأْتِيَ بِحِزْمَةِ
حَطَبٍ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » .

= والحكومات إلا من جحور وأوكار أولئك الفارين من ميدان الحياة المستقيمة
بالجد والنشاط في حسن الانتفاع بسنن الله وآياته ونعمه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل مجانبة المسألة على الأحوال كلها ، ولزوم ترك التعرض ؛ لأن الإفكار فى العزم على السؤال يورث المرء مهانة فى نفسه ، ويحطه رتبة ^(١) عن مرتبته ، وترك العزم على الإفكار فى السؤال يورث المرء عزاً فى نفسه ، ويرفعه درجة عن مرتبته .

ولقد أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا الفيض بن الخضر التميمي حدثنا عبد الله بن خبيق قال : قال موسى بن طريف : إن الحاجة تعرض لى إلى الرجل ، فيخرج عزى من قلبى قطع الحاجة من ناحيته ، فيرجع عزى إلى قلبى .

وأنشدنى الكريزى قال : أنشدنا الحسن بن أحمد لعلى بن الجهم :

هى النفس ، ما حَمَلَتْها تتحملُ وللدهر أيام تجور وتعدلُ
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضلُ أخلاق الرجال التفضلُ
فلا عارَ إن زالت عن الحُرِّ نعمة ولكنَّ عاراً أن يزول التجلُّ

أخبرنا زكرياء بن يحيى الساجي حدثنا عبد الواحد بن غياث حدثنا خالد ابن عبد الله حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال « من سأل الناس لِيُثْرِى ماله ، فإنما هو رَضْفٌ ^(٢) من النار يُلقمه ، فمن شاء استقلَّ ، ومن شاء استكثر » .

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو عباد يحيى بن عباد حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت مطرف بن عبد الله يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال : يا بني ، إياكم ومسألة الناس ؛ فإنها آخرُ كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يسأل الناس شيئاً فيردوه ، ولا يُكحِف فى المسألة فيحرموه ، ويلزم التعفف والتكرم ، ولا يطلب الأمر مدبراً ، ولا يتركه

(١) الرتبة : الخطوة الواسعة نحو القفز بشدة .

(٢) الرضف : الحجارة المحمأة بالنار .

مُقبِلًا ؛ لأنَّ قَوْتَ الحاجة خَيْرٌ مِنْ طلبها إلى غير أهلها ، وإنَّ من يسأل غير المستحق حاجة حَطَّ لنفسه مرتبتين ، ورفع المسئول فوق قدره .

أخبرني محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن مؤمل المصري قال : سمعت حامد بن يحيى يقول سمعت سفيان بن عيينة يقول : من يسأل بذلاً حاجة فقد رفعه عن قدره أنشدني ابن زنجي البغدادي :

ذلَّ السؤال شَجِي في الحلق معترض من دونه شَرَقٌ ، من خَلَفَه جَرَضُ (١)
ماماء كَفَّكَ إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي إذا أَهْنَيْتَه عِوضُ
وأنشدني محمد بن عبد الله المؤدب :

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً ، وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النَّوَالِ بوزنته وجَّحَ السؤالُ ، وخَفَّ أَكْلُ نَوَالٍ
وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذله للمتكرِّم الفضال

أنا محمد بن المهاجر المعدل حدثنا أبو جعفر ابن ابنة أبي سعيد التلعلي
الدمشقي حدثنا حاجب بن أبي علقمة العطاردي قال : سمعت أبي يقول : قال
مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير لابن أخيه : يا بُنَيَّ أخى ، إذا كانت لك حاجة إلى
فاكتب بها في رُقعة ، فإني أصون وجهك عن ذلِّ السؤال . وأنشدني ذلك :

يا أيها المتعَبُ بذلُّ السؤال . وطالب الحاجات من ذى النوال
لا تحسبنَّ الموت مَوْتَ البسلى فإنما الموتُ سؤالُ الرجال
كلاهما موت ، ولكنَّ ذا أعظمُ من ذاك لذلِّ السؤال

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أعظم المصائب سوء الخلف ، والمسألة من الناس
والهَمُّ بالسؤال نصف الهرم ، فكيف المباشرة بالسؤال ؟ ومن عزَّت عليه نفسه

(١) الشجى : ما يعترض في الحلق من شوكة ونحوها . والشرق : النصبة بالماء .
والجرض : النصبة بالريق ، وهو أن يبتلعه على هم وخوف بمجهود ومشقة لجفاف حلقه ،
وأكثر ما يكون ذلك عند حضور الموت .

صُفِّرَتْ لِلدُّنْيَا فِي عَيْنِيهِ ، وَلَا يَنْبُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَعْفَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ،
وَيَتَجَاوَزَ عَمَّا يَكُونُ مِنْهُمْ ، وَالسُّؤَالُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَلَالٌ ، وَمَنْ غَيْرُهُمْ ضِدُّ النَّوَالِ
وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

أَنْبُلُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ حَرِيصَةً إِنْ الْحَرِيصُ إِذَا يُلِحُّ يُهُانُ
مَنْ يُكْثِرُ التَّسَالُ مِنْ إِخْوَانِهِ يَسْتَنْقِلُوهُ ، وَحِظُهُ الْحَرَمَانُ
وَأَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيُّ :

أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو أَرْجِي عَطَاءَهُ فَزَادَ أَبُو عَمْرٍو عَلَيَّ حَزَنًا
فَكُنْتُ كِبَاغِي الْقَرْنَ أَسْلَمَ أَذَنَهُ فَبَاتَ بِلَا أَذَنٍ ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ قَرْنًا
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعَقَبِيُّ ^(١) حَدَّثَنَا خُطَابُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَنْدِيُّ حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ : كَانَ أَكْثَمُ بْنُ صَنْيَعٍ يَقُولُ : السُّؤَالُ - وَإِنْ قَلَّ - أَثْمَنُ
مِنَ النَّوَالِ ، وَإِنْ جَلَّ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَبْذُلَ وَجْهَهُ لِمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْهِ
قَدْرَهُ ، وَيَعْظُمُ عِنْدَهُ خَطَرُهُ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ رَدُّهُ ، وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِ
قَدْرُهُ ؟ وَأَبْعَدُ اللَّقَاءِ لِلْمَوْتِ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ الْحَاجَةُ إِلَى النَّاسِ دُونَ السُّؤَالِ ، وَأَشَدُّ
مِنْهُ التَّكَلُّفُ بِالسُّؤَالِ ؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ إِذَا كَانَ بِنَجَاحِ الْحَاجَةِ مَقْرُونًا لَمْ يَحُلْ مِنْ أَنْ
يَكُونَ فِيهِ ذَلُّ السُّؤَالِ ، وَإِذَا الْحَاجَةُ لَمْ تُقْضَ كَانَ فِيهِ ذِلَالٌ مَوْجُودَانِ : ذَلُّ
السُّؤَالِ ، وَذَلُّ الرَّدِّ .

وَأَنْشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَرْبَازِيُّ :

لَا يَحْسُ الصَّدِيقُ مِنْكَ بِفَقْرٍ لَا ، وَلَا وَالِدٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ
ذَاكَ ذَلٌّ إِذَا سَأَلْتَ بِخِيَالٍ أَوْ سَأَلْتَ الَّذِي عَلَيْكَ يَجُودُ
أَنْبَأَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بَيْغَدَادِي حَدَّثَنَا هَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ أَنْبَأَنَا شُعْبَةَ
عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : سَمِعْتُ الْمَعْرُورَ بْنَ سُوَيْدٍ يَحْدُثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ « إِنْ فِي

طلب الرجل الحاجة إلى أخيه فتنة ، إذا أعطاه حمد غير الذى أعطاه ، وإن منعه
ذم غير الذى منعه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لو لم يكن فى السؤال خصلة تذم إلا وجود
التذلل فى النفس عند الاهتمام بالسؤال وإبدائه لكان الواجب على العاقل أن
لو اضطره الأمر إلى أن يستفّ الرمل ويمصّ النوى أن لا يتعرض للسؤال أبدا
ما وجد إليه سبيلا ، فأما من دفعه الوقت إلى ذلك فسأل من يعلم أنه يقضى حاجته
أو ذا سلطان لم يُخرج فى فعله ذلك ، كما لم يخرج فى القبول إذا أعطى من غير
مسألة ، ومن استغنى بالله أغناه الله ، ومن تعزز بالله لم يفقره ، كما أن من اعتز
بالعبيد أذلّه .

ولقد أنبأنا سعيد بن محمد القزاز حدثنا أبو الهيثم الرازى حدثنا خالد بن يزيد
حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف عن معمر قال : قال أبو معاوية
- رجل من ولد كعب بن مالك - : « لقد رأيتنى أنضح ^(١) أول النهار وأضرب
آخر النهار على بطنى بالمعول فى المعدن ، قال : قلت : لقد لقيت مؤونة ، قال :
أجل إنا طلبنا الدراهم من أيدي الرجال ومن الحجارة ، فوجدناها من الحجارة
أسهل علينا » .

ذكر الحث على لزوم القناعة

حدثنا الحسن بن سفيان الشيبانى حدثنا محمد بن أبى بكر المسمى حدثنا محمد
ابن عبد الرحمن الطفاوى عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر قال « أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى ، فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل » .

(١) الناضح : هو الذى يستقي من البئر بالدلو ، وأصله فى البئر ، ويستعمل فى
الإنسان على تجوز . وفى نسخة « أنضح » بالصاد المهملة : أى ينضح الناس ويعظمهم ،
وهو بالضاد المعجمة أقرب إلى مقصد الكلام .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد مكثت بُرْهَةً من الدهر مُتَوَكِّفًا أن الأعمش
لم يسمع هذا الخبر من ليث بن أبي سليم ، فدلسه ، حتى رأيت على بن المديني
حدث بهذا الخبر عن الطفاوى عن الأعمش قال : حدثني مجاهد ؛ فعلمت حينئذ
أن الخبر صحيح ، لاشك فيه ، ولا امتراء في صحته .

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر في هذا الخبر أن يكون في الدنيا
كأنه غريب أو عابر سبيل ؛ فكأنه أمره بالقناعة باليسير من الدنيا ؛ إذ الغريب
وعابر السبيل لا يقصدان في الغيبة إلا كثار من الثروة ، بل القناعة إليهما أقرب
من الإكثار من الدنيا .

ولقد أخبرني محمد بن عثمان العقي^(١) حدثني جعفر بن سنيذ بن داود حدثني
أبي حدثني حجاج حدثنا عتبة بن سالم قال : قال أكرم بن صفي لابنه : يا بني ،
من لم يأس على مفاته ودع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه .

وأشدني على بن محمد البسامي :

من تمام العيش ماقرت به عين ذى النعمة ، أثرى أو أقل
وقليل أنت مسرور به لك خير من كثير في دغل

وأشدني ابن زنجي البغدادي :

أقول للنفس : صبرا عند نائبة ففسر يومك موصول بيسر غد
ماسرني أن نفسي غير قانعة وأن أرزاق هذا الخلق تحت يدي

أنبأنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثوري عن عيسى بن
عبد الرحمن عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال « أربع قد
فرغ منها : الخلق ، والخلق ، والرزق ، والأجل . وليس أحد بأكسب
من أحد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطراً

(١) أنظر ص ١٣٨ السابقة .

القناعة ، وليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ؛ ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواضع السوء ، لطلب الفضل لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال .
ولقد أنبأنا عمر بن حفص بن عمرو البزار حدثنا أبو مسعود حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عقيل حدثنا عهد الله بن إبراهيم المدني حدثنا أبو بكر بن محمد بن المنكدر عن أبيه « القناعة مال لا ينفد » .

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت عبد العزيز بن عبد الله يقول : قال محمد بن حميد الأَكَّاف :

تَنَقَّعَ بِالْكَفَافِ ، تَعَشَّ رَخِيًّا وَلَا تَبْغِ الْفُضُولَ مِنَ الْكَفَافِ
فَفِي خَبْزِ الْقَفَارِ^(١) بَغِيرِ أَدَمَ وَفِي مَاءِ الْفَرَاتِ غَنِيٌّ وَكَافٍ
وَفِي الثَّوبِ الْمَرْقَعِ مَا يَغْطِي بِهِ مِنْ كُلِّ عُرَى وَانْكَشَافِ
وَكُلِّ تَزَيْنٍ بِالْمَرْءِ زَيْن وَأَزَيْنِهِ التَّزَيْنِ بِالْعَفَافِ
وَأُنْشَدَنِي الْكَرَيْزِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا طَوَّلَ التَّعَطُّلُ ضَائِرِي وَلَا كُلَّ شَعْلٍ فِيهِ الْمَرْءُ مَنْفَعُهُ
إِذَا كَانَتْ أَرْزَاقُ فِي الْقَرَبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سِوَاءِ فَاغْتَنَمَ رَاحَةَ الدَّعَةِ^(٢)
وَإِنْ ضَقَّتْ فَاصْبِرْ يُفْرِجُ اللَّهُ مَا تَرَى أَلَا رُبَّ ضَيْقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَهُ
وَأُنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيُّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا لَقَدْ تَزَيْنَ أَهْلُ الْخَرْصِ وَالشَّيْنِ
لَا زَيْنَ إِلَّا لِرَاضٍ فِي تَقْلَلِهِ إِنْ الْقَنْوَعُ لَثَوْبُ الْعِزِّ وَالْدِّينِ
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْعَاقِلُ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمْ يَوْضِعْ عَلَى قَدَرِ
الْأَخْطَاءِ : وَأَنَّ مِنْ عَدَمِ الْقَنَاعَةِ لَمْ يَزِدْهُ الْمَالُ غِنًى ، فَتَمَكَّنَ الْمَرْءُ بِالْمَالِ الْقَلِيلِ مَعَ

(١) القفار : الذي لا إدام معه .

(٢) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن .

قلة الهمم أهنأ من الكثير ذى التبعة ، والعاقل ينتقم من الحرص بالقنوع ، كما
ينتصر من العدو بالقصاص ؛ لأن السبب المانع رزق العاقل هو السبب الجالب
رزق الجاهل .

وأنشدني محمد بن سعيد القزاز ، أنشدنا محمد بن خلف التيمي ، أنشدني رجل
من خزاعة :

رأيت الغنى والفقرَ حَظَّينِ قسما فأحرم مُحْتَالٌ وذو العيِّ كاسبٌ
فهذا مُلِحٌّ دائِبٌ غيرُ راجحٍ وهذا مُرِيحٌ راجحٌ غيرُ دائِبٍ
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

إذا المرء لم يقنع بعيش ، فإنه وإن كان ذا مال من الفقر موقرُ
إذا كان فضل الناس يغنيك بينهم فأنت بفضل الله أغني وأيسرُ
أخبرنا أحمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان حدثنا نعيم بن
جماد قال : سمعت ابن المبارك يقول ، مروءة القناعة أفضل من مروءة الإعطاء .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : القناعة تكون بالقلب : فمن غنى قلبه غنيت
يداه ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ، ومن قنع لم يتسخط ، وعاش آمناً مطمئناً .
ومن لم يقنع لم يكن له فى الفوائد نهاية لرغبته ، والجِد والخِرمان كأنهما يصطرغان
بين العباد .

ولقد أحسن الذى يقول :

فما كُلُّ ماحاز الفتى من تَلادِهِ بِكَيْسٍ ، ولا ما فاتهُ بِتَوَانٍ
فأَجَلٌ إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جَدَّانٌ يصطرغان

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي عن
المديني قال : كان يقال : مروءة الصبر عند الحاجة والفاقة بالتعفف والغنى أكثر
من مروءة الإعطاء .

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي أنشدنا ابن عائشة :

غنى النفس يغنى النفس حتى يعفها وإن مسّها حتى بها يضرّ الفقر
وماشدة ، فاصبر لها إن لقيتها بدائمة إلا سيتبعها يسر
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادى :

فياربّ كره جاء من حيث لم تخف ومسرور أمر بالذى أنت خائف
أرى الناس ، ما لم تبل ، إخوان ظاهر وإن تبل تُسكّر جُلّ ما أنت عارف
أبنانا محمد بن عثمان العقبي حدثنا إبراهيم بن مهدي الأبلّبي حدثني محمد بن
يحيى بن أبي عمر قال : سمعت سفيان بن عيينه - وذكر عنده الفضل ابن الربيع
وضربواؤه - فأنشأ سفيان يقول :

كم من قويّ قويّ في قلبه مُهذّب الرأى عنه الرزق منحرف
ومن ضعيفٍ ضعيفٍ العقل مُختلطٍ كأنه من خليج البحر يغترف
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من نازعته نفسه إلى القنوع ، ثم حسد الناس
على ما في أيديهم فليس ذلك لقناعة ولا لسخاوة ، بل لعجز وفشل ، فمثل كمثل
حمار السوء الذى يَعْرِجُ بِخِفَّةٍ حمله ، ويحزن إذا رأى العلف يُؤثر به ذو القوة
والحمل الثقيل ، فالقانع الكريم أراح قلبه وبدنه والشرّ اللئيم أتعّب قلبه
وجسمه ، والكرام أصبر نفوساً ، واللثام أصبر أجساداً .

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدنا الغلابي :

لعمرك ما الأرزاق من حيلة الفتى ولا سبب في ساحة الحى ثاقب
ولكنها الأرزاق تُقسّم بينهم فما لك منها غير ما أنت شارب

وأنشدني محمد بن سعيد أنشدني هلال بن العلاء الباهلي :

تجمل إذا ما الدهر أولاك غِلظة فإن الغنى في النفس ، لا في التمول
يزين لئيم القوم كثرة ماله وما زين الأقوام مثل التجميل

حدثنا الحسين بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن منيب حدثنا محمد بن يحيى الصائغ قال : قال الخليل بن أحمد :

إن لم يكن لك لحمٌ كفاك خلٌّ وزيتُ
إن لا يكن ذا وهذا فكسرةٌ ويئت
تظلُّ فيه وتأوى حتى يحنك موت
هذا لعمري كفاك فلا يعرك ليت

أبنا كامل بن مكرم حدثنا محمد بن مروان البيروقي حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى (١٦ : ٩٧)
فلنحيينه حياة طيبة) قال : القناعة

ذكر الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق

أبنا زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي بالبصرة أبنا أبو الربيع الزهراني حدثنا المقرئ حدثنا حيوية بن شريح وابن لهيعة قالا : حدثنا أبو هانيء حميد بن هانيء الخولاني قال سمعت أبا عبد الرحمن الحلبى يقول : سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسةائة سنة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق ؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان ، وقرين التوحيد ، وهو السبب المؤدى إلى نفي الفقر ووجود الراحة ، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جلّ وعلا بما تضمّن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يَكِلْهُ الله إلى عباده ، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأشدنى منصور بن محمد الكريزى :

توكل على الرحمن فى كل حاجة أردت ؛ فإن الله يقضى ويقدر

متى ما يُرد ذو العرش أمراً بعبده يُصْنِئُهُ ، وما للعبد ما يتخير
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه وينجو بإذن الله من حيث يحذر
وأُشدني على بن محمد البسامي :

أحسن الظن بمن قد عودك كل إحسان ، وسوى أودك^(١)
إن من قد كان يكفيك الذي كان بالأمس سيكفيك غذك

أبنا محمد بن الحسن قتيبة بعسقلان حدثنا أبو مروان الأزرق حدثنا الوليد
عن ابن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن أم الدرداء عن
أبي الدرداء قال « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .

أُشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

لو كان في صخرة في البحر راسية صماء مضمومة مُسِّ حوالها
رزقٌ لعبد برآه الله لا نفلقت حتى تؤدِّي إليه كل ما فيها^(٢)
أو كان بين طَباق السبع مَطلَبه يوماً لسهل في المرقى مراقبها
حتى ينال الذي في اللوح خُطَّ له إن هو أتاه ، وإلا فهو آتيا
وأُشدني منصور بن محمد الكريزي أُشدني محمد بن الحسين العمي :

سل الحاجات من سيد ليس له ستر ولا حاجب
يُعطي عطاياها إذا شاءها من غير توقيع إلى كاتب

حدثنا محمد بن الحسين بن الخليل بنسأ حدثنا القطواني حدثنا سنان حدثنا
رياح القيسي قال « إن لله ملائكة موكلين بأرزاق بني آدم ، يحملون أرزاقهم
على درجاتهم ، ثم قال : أيما عبد من عبادي جعل همه هماً واحداً فضمنوا
السموات والأرضين وبني آدم رزقه ، وأئى عبد طلب رزقه أعطوه رزقه حيث

(١) الأود - بفتح الهمزة والواو - العوج .

(٢) برآه الله : خلقه ، وأصله « برأه » خفف الهمزة بقلبها ألفاً .

أرادَه ، فإن تحرّى مكاسبه بالعدل فطیبوا رزقه ، وإن تعدى إلى الحرام فليأخذه من هواه إلى غاية درجته التى ليس فوقها ، ثم حولوا بينه وبين سائر الدنيا ؛ فلا يأخذ من حلالها ولا من حرامها فوق الدرجة التى كتبت له .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يعلم أن الأرزاق قد فرغ منها وتضمنها العلى الوفى على أن يُوفرها على عباده فى وقت حاجتهم إليها ، والاشتغال بالسعى لما تضمن وتكفل ليس من أخلاق أهل الحرم إلا مع انطواء صحة الضمير ، على أنه وإن لم يسع فى قصده أتااه رزقه من حيث لم يحتسب .

وأنشدنى محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطى :

لما رأيتك قاعداً مستقبلي أيقنت أنك للهموم قرينُ
فأرفض لها وتعزّ عن أثوابها إن كان عندك للقضاء يقين
هوّن عليك ، وكن برّك واثقا فأخو التوكل شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه فى أمره من كان يعلم أنه مضمون
حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان الثورى عن أبى قيس عن
هذيل بن شرحبيل قال « جاء سائل إلى النبی صلى الله عليه وسلم ، وفى البيت
تمرّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاك ، ولولم تأتها أتنك » .

وأنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

فنحن بتوفيق الإله وأمره على كل حال أمرنا متوسعُ
عطاء ملك لا يمنّ عطاؤه خبير بما تُحْنى عليه الأضالعُ
أنبأنا محمد بن إبراهيم الشافعى حدثنا داود بن أحمد الدميّاطى حدثنا
عبد الرحمن بن عفان قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما اهتملت برزق قط
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يعلم أن السبب الذى
يدرك به العاجز حاجته هو الذى يحول بين الحازم وبين مصادفته ، فلا يجب أن
يحزن العاقل لما يهوى وليس بكائن ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن ؛ فما كان

من هذه الدنيا أتى المرء من غير تعب فيه ، وما كان عليه لم يدفعه بقوته ، ولا يُدْرِكُ
بالطلب المحروم ، كما لا يُحْرَمُ بالعودة المرزوق .
ولقد أحسن الذى يقول :

ينالُ الغنى مَنْ ليس يسعى إلى الغنى ويحرم مَنْ يسعى له ويداوم
وما العجز يحرمه ولا الحرص جالب وما هو إلا حظوة ومقاسم
وأشدنى عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابى أنشدنا العتبى :

ورزق الخلق مقسوم عليهم مقاديرٌ يقدرها الجليلُ
فلا ذو المال يُرْزَقُه بعقل ولا بالمال تقتسم العقول
أبناؤنا الهيثم بن خلف الدورى - ببغداد - قال : سمعت إسحاق بن موسى
الأنصارى يقول : سمعت يمان النجرانى - وكان لا يدخر شيئاً - يقول : مررت
براهب فى قارة فلاة من الأرض ، وأنا جائع ، فقلت : ياراهب ، هل عندك
من فضل ؟ فأدلى إلى زنبيل فيه فلقٌ من خبز فأكلت منها ، ورميت إليه الباقي ،
فقال : تزوده ، قلت : الذى أطعمنى فى هذا الموضع ، وليس فيه إنسى ، يطعمنى
إذا جعت ولا يكون معى شيء .

وأشدنى بن زنجى البغدادى :

لا تتهم ربك فيما قضى وهون الأمر ، وطب نفسا
لكل همٍّ فرَج عاجل يأتي على المصْبِح والممسى
قال أبو حاتم رضى الله عنه : التوكل هو قطع القلب عن العلائق ، برفض
الخلائق ، وإضافته بالافتقار إلى محول الأحوال ، وقد يكون المرء موسراً فى ذات
الدنيا وهو متوكل صادق فى توكله إذا كان العدم والوجود عنده سَيِّئَيْنِ لا فرق
عنده بينهما ، يشكر عند الوجود ، ويرضى عند العدم ، وقد يكون المرء لا يملك
شيئاً من الدنيا بجيلة من الحيل ، وهو غير متوكل إذا كان الوجود أحبَّ إليه
من العدم ، فلا هو فى العدم يرضى حالته ، ولا عند الوجود يشكر مرتبته .

وأنشدني الكريزي :

فلو كانت الدنيا تَنال بـفـطـنة وفضل عقول نلتُ أَعلى المراتب
ولكنما الأرزاق حَظَّ وقسمة بملك ملك ، لا بحيلة طالب
وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصاري أنشدنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :
ألا ترى الدهر لا تغني عجائبه والدهر يخلط ميسوراً بمعسور ؟
وليس للهو إلا كل صافية كأنها دمعة من عين مهجور

أبنأنا على بن سعيد العسكري حدثنا إبراهيم بن الجعيد حدثنا سهل بن عاصم
حدثنا نافع بن خالد قال : دخلنا على رابعة العدوية ، فذكرنا أسباب الرزق ،
فخضنا فيه وهى ساكتة ، فلما فرغنا قالت رابعة : خيبة لمن يدعى حُبّه ثم يتهمه
في رزقه !

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت هذا الباب بالعال والحكايات على
التقصي في كتاب « التوكل » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها

أبنأنا أحمد بن على بن المثنى بالموصل ، حدثنا أحمد بن جميل المروزي ، حدثنا
ابن المبارك أنبأنا عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ، ثم أمره
فكتب ما يكون إلى يوم القيامة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها
قد فرغ منها ، فمنها ما هو كائن لا محالة ، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه
فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتنزر بإزار له طرفان ، أحدهما : الصبر ،
والآخر : الرضا ، ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك ، فكم من شدة قد صعبت
وتعذر زوالها على العالم بأسره ، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة .

ولقد أنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

كم مِنْ أمرٍ قد تضايقتُ به فأتاني الله منه بالفرج
ولعبس مؤيس قربه قَدَّرَ الله ، فعاد بالنهج
فله الحمد على ذي سرمد ما أضاء الصبح يوماً وبلج
وكذلك الله ربُّ قادر يُصلح الأمر الذي فيه عوج
وله الحمد على آلائه يستديم اليسر منه والفالج ^(١)
حدثنا أبو خليفة حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي
الحجاج الأزدی قال : سألتنا سلمان : ما الإيمان بالقدر ؟ قال : إذا علم العبد أن
ما أصابه لم يكن ليخطئه [وما أخطاه لم يكن ليصيبه]
وأنشدني الأبرش :

هَوِّنْ على نفسك من سعيها فليس ما قُدِّرَ مردود
وارضَ بحكم الله في خلقه كل قضاء الله محمود

أنبأنا عبد الله بن قحطبة الطرحي حدثنا منصور بن قدامة الواسطي حدثنا
محمد بن كثير عن معمر قال : لما حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير بمكة جعلت الحجارة
تضرب الحائط ، فقليل له : لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر ، فقال ابن الزبير :

هون عليك ، فإن الأمور بكفَّ الإله مقاديرها
فليس بأتيسك منها ولا قاصرٍ عنك مأمورها

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي
حدثنا سفيان عن مسعر : أن رجلاً ركب البحر ، فكسره ، فوقع في جزيرة
من جزائر البحر ، فكث فيها ثلاثاً لا يرى أحداً ، ولا يأكل طعاماً ، ولا
يشرب شرباً ، فأيس من الحياة ، فتمثل :

إذا شاب الغراب أتيتُ أهلي وصار القارُ كاللبن الخليب

فأجابه بحبيب يقول :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب
فنظر ، فإذا سفينة في البحر ، فلوّح لهم ، فأتوه ، فحمله ، وأصاب معهم
خيرًا ، ورجع إلى أهله سالمًا .

وأنشدني محمد بن جعفر الهمداني - بصور - على ساحل بحر الروم :

لاتضيّقنَّ في الأمور فقد تُكسّر شف غماؤها بغير اختيال
ربما تكره النفوس من الأمر ، له فرجة كحلّ العقال

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

عسى فرج يأتي به الله ؛ إنه له كلّ يوم في خليقته أمرُ
عسى ما ترى أن لا يدوم ، وأن ترى له فرجًا مما ألحّ به العسرُ
إذا اشتد عسر فارحُ يسرًا ؛ فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

أنبأنا محمد بن صالح الطبري بالصيمرة حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال : لما
حدث شريك بحديث الأعمش عن سلمان عن ثوبان : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « اسقيموا لقريش ما استقاموا لكم ، فإذا خالفوكم فضعوا سيوفكم على
عواتقكم ، فأبيدوا خضراءهم ، فإن لم تفعلوا فكونوا زراعين أشقياء » فسعى
به إلى المهدي ، فبعث إلى شريك ، فأتاه ، فقال : حدثت بها ؟ قال : قلت : نعم
قال : عمن رويتها ؟ قلت : عن الأعمش ، قال : ويلى عليه ؟ لمعرفت مكان قبره
لأخرجته فأحرقته بالنار ، قلت : إن كان لما مونا على ماروي ، قال : يا زنديق
لأقتلنك ، قلت : الزنديق من يشرب الخمر ويسفك الدم ، قال : والله لأقتلنك .
قلت : أو يكفي الله ! قال : فخرجنا من عنده ، فاستقبلني الفضل بن الربيع ،
فقال : ليس لك موضع تهرب إليه ؟ قلت : بلى ، قال : فإنه قد أمر بقتلك ، قال :
فخرجت إلى جبل ، فخرجت يومًا أتجسس الخبير ، فأقبل ملاح من بغداد ،

فاستقبله ملاح آخر من البصرة ، فسأله : ما الخبر ؟ قال : مات أمير المؤمنين ، قلت : ياملاح قَرِّب ، فقرب .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

تجرى المقادير إن عسراً وإن يُسراً وللمقادير أسبابٌ وأبوابٌ
ما شئت عسر ، ولا انسدَّت مذاهبه إلا تفتَّح من مسروره باب
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

ألا رب عسر قد أتى اليسر بعده وعَمْرَةَ كَرَّبَ فُرِّجَتْ لِكَظِيمٍ
هو الدهر يوم ، يوم يؤس وشدة ويوم سرور للفتى ونعيم

أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم حدثنا محمد بن عبد الوهاب النيسابوري حدثنا بشر بن عبد الحكم عن علي بن عثمان قال : رَأَى إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدِمْ مَتْنَفِطَ الرَّجُلَيْنِ ^(١) ، رافعهما على ميل ، وهو يقول (٤٧ : ٣١) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) .

أنبأنا القطان بالرقعة حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا عبد العزيز بن عمير عن عطاء الأزرق عن عبد الواحد بن زيد قال : قلت للاحسن : يا أبا سعيد ، من أين أتى هذا الخلق ؟ قال : من قلة الرضا عن الله ، قلت : ومن أين أوتى قلة الرضا عن الله ؟ قال : من قلة المعرفة بالله .

(١) نفطت - بكسر الفاء - رجله ، وتنفطت : تفرحت من كثرة المشي في الأرض الصعبة ، وهل كان تنفط رجل ابن آدم لكثرة جهد وسعى في سبيل الله : لجهاد عدو ، أو لطلب علم ، أو لصلة رحم ، أو لأمر بمعروف ، أو لنهي عن منكر ؟ إنما كان ذلك لشدة ما أجهد نفسه في الجبال والصحارى منقطعاً عن الناس ، وفاراً من الناس ومن الاختلاط بهم ، وقد أمر الله أولى العلم أن يعاشرُوا الناس ، لعلهم أن يقيموا من اعوجاجهم أو يصلحوا من فسادهم .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر ، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقى من درجة الصبر إلى درجة الرضا ، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر ، لأنه أول مراتب الرضا ، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجالاً كريماً ، إذ هو بذر الخير ، وأساس الطاعات .

ولقد أخبرني محمد بن سعيد القزاز حدثنا طاهر بن الفضل بن سعيد ، حدثنا سفيان بن عيينة قال : سمعت رجلاً من أهل الكتاب أسلم ، قال : أوحى الله إلى داود : ياد اود اصبر على المؤنة ، تأتلك منى المعونة .

وأنشدني عبد الله بن الأحوص بن عمار القاضى :

صبراً جحيلاً على ماناب من حدث والصبرُ ينفع أحياناً إذا صبروا

الصبر أفضل شيء تستعين به على الزمان إذا ما مسك الضرر

وأنشدني إبراهيم بن محمد بن سهل أنشدني أبو يعلى الموصلى :

إنى رأيت - وفى الأيام تجربة - للصبر عاقبةً محمودة الأثر

وقبل من جدّ فى شيء يحاوله فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وأنشدني عبدالعزيز بن سليمان الأبرش :

أتاك الرّوح والفرج القريب وساعدك القضاء ، فلا تخيب

صبرت ، فملت عُقْبَى كلِّ خير كذاك لكل مصطبر عقيب

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا الغلابى حدثنا محمد بن على قال : سمعت

مضر أبا سعيد يقول : قال عبد الواحد بن زيد : ما أحببت أن شيئاً من الأعمال

يتقدم الصبر إلا الرضا ، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا ، وهو

رأس الحبة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر جماع الأمر ، ونظام الحزم ودِعامَة

العقل ، وبذر الخير ، وحيلة من لا حيلة له .

وأول درجته الاهتمام ، ثم التيقظ ، ثم التثبت ، ثم التصبر [ثم الصبر]

ثم الرضا ، وهو النهاية في الحالات .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقي^(١) حدثنا شعيب بن عبد الله البزار حدثنا غيلان عن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال « مانال عبد شيئاً من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى .

فهاشدة يوماً ، وإن جَلَّ خطيئها
وإن عسرت يوماً على المرء حاجة
بمسارلة إلا سيتبعها يسر
وضاقت عليه كان مفتاحها الصبر
وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تعرَّ ، فإن الصبر بالحرِّ أجمل
فإن تكن الأيام فينا تبدلت
وليس على رَبِّ الزمانِ مُعَوَّل
بُنْعَمَى وبُؤْسَى ، والحوادث تفعل
فما لَيْتَ مِنَّا قناةً صليبة
ولا ذللتنا للذي ليس بِجَمَل
ولكن رَحَلناها نفوساً كريمة
تُحْمَلُ مالا تستطيع فتحمل
وأنشدنا عمرو بن محمد الأنصارى أنشدنا الغلابي :

إنى رأيت الخير في الصبر مسرعاً
وحسبك من صبر تمحوز به أجراً
عليك بتقوى الله في كل حالة
فإنك إن تفعل تُصيب به ذخراً
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الصبر على ضروب ثلاثة : فالصبر عن المعاصي ،
والصبر على الطاعات ، والصبر عند الشدائد المصيبات .

فأفضلها الصبر عن المعاصي .

فالعاقِل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل ، حتى يرتقى بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا ، في حال العسر واليسر معاً ، أسأل الله الوصول إلى تلك الدرجة بمنه .

وأنشدني عبد الله بن الأحوص :

تَعَزَّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْلُ اصْطِبَاراً وَخَشِيَةً
وَلَيْسَ يَذُودُ النَّفْسَ عَنْ شَهْوَاتِهَا
وَأَنْشَدَنِي ابْنُ زَنْجِي الْبَغْدَادِي :

غَايَةُ الصَّبْرِ لَذِيذُ طَعْمِهَا
إِنْ فِي الصَّبْرِ لِفَضْلًا بَيْنًا
وَأَنْشَدَنِي الْكَرِيزِيُّ :

صَبَرْتُ وَمَنْ يَصْبِرُ يَجِدُ غَيْبَ صَبْرِهِ
وَمَنْ لَا يَطْبِقُ نَفْسًا ، وَيَسْتَبِقُ صَاحِبَا

فِي الصَّبْرِ مَسَلَّةُ الْهَمُومِ الْوَاظِمِ
سَلَوْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبِهَائِمِ
مَنْ النَّاسِ إِلَّا كُلُّ مَاضِي الْعِزَائِمِ

وَبَدِئْتُ الصَّبْرَ مِنْهُ كَالصَّبْرِ (١)
فَاحْمِلِ النَّفْسَ عَلَيْهِ تَصْطَبِرْ

أَلَذُّ وَأَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمْرِ
وَيَغْفِرُ لِأَهْلِ الْوُدِّ يُضْرَمُ وَيَضْرَمُ

أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَنْجُوِيهِ الْقَشِيرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ حَمَادِ النَّرْسِيِّ حَدَّثَنَا
حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَةَ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ عَنْ مَعَاذَةَ امْرَأَةِ صَلَةَ بْنِ أَشِيمَ قَالَتْ : « لَمَّا أَتَاهَا
نَعَى زَوْجَهَا وَابْنَهَا جَاءَهَا النِّسَاءُ ، فَقَالَتْ : إِنْ كُنْتُ جِئْتُ لَتَهْنِئَتِنَا بِمَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ
بِهِ وَإِلَّا فَارْجِعْنِ » .

قَالَ ثَابِتٌ : وَكَانَ صَلَةُ يَأْكُلُ يَوْمًا فَاتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : مَاتَ أَخُوكَ ، قَالَ :
هِيَ هَاتِ ، قَدْ نَعَى إِلَيَّ ، اجْلِسْ فَكُلْ ، قَالَ الرَّجُلُ : مَا سَبَقَنِي إِلَيْكَ أَحَدٌ ، فَقَالَ
قَالَ اللَّهُ (٣٩ : ٤٠) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ حَدَّثَنَا الْغَلَابِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ قَالَ :
كُتِبَ بَعْضُ الْحِكْمَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ يَغْزِيهِ عَنْ ابْنِ لَهُ يَقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ :

اصْبِرْ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ ، وَتَجَدَّ وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُحَدَّدٍ
وَإِذَا ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَمَصَابِيَهُ فَادْكُرْ مَصَابِيكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِيُّ :

(١) الصبر - بفتح فكسر - ثمرة طعامها مر كربه .

يَعْرِىُ المعزى ، ثم يمضى لشأنه ويبقى المعزى فى أحرّ من الحجر
ويُرْمَى المعزى بعد ذاك بسلوة ويثوى المعزى عنه فى وحشة القبر
وأنشدنى المنتصر بن بلال :

من يسبق السلوة بالصبر فاز بفضل الحمد والأجر
ياعجبى من هلع جازع يُصبح بين الدم والوزر
مصيبة الإنسان فى دينه أعظم من جائحة الدهر
وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

تجرى المقادير إن عُسراً وإن يسراً حاذرت واقعها أو لم تكن حذراً
والعسر عن قدر يجرى إلى يسرٍ والصبر أفضل شيء وافق الظفرا
سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادى يستتر يقول : كان لنا جار ببغداد
كنا نسميه طبيب القراء ، وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم ، فقال لى : دخلت
يوماً على أحمد بن حنبل ، فإذا هو مغموم مكروب ، فقلت : مالك يا أبا عبد الله ؟
قال : خير ، قلت : وما الخير ؟ قال : امتحنت بتلك المحنة ، حتى ضربت ،
ثم عالجونى ، و برأت ، إلا أنه بقى فى صلبى موضع يؤعنى . هو أشد على من ذلك
الضرب ، قال قلت : اكشف لى عن صلبك ، قال : فكشف لى ، فلم أر فيه
إلا أثر الضرب فقط ، فقلت : ليس لى بذى معرفة ، ولكن سأستخبر عن هذا ،
قال : فخرجت من عنده ، حتى أتيت صاحب الحبس ، وكان بينى وبينه فضل
معرفة ، فقلت له : أدخل الحبس فى حاجة ؟ قال : ادخل ، فدخلت وجمعت
فتيانهم ، وكان معى دريهمات فرقها عليهم ، وجعلت أحدهم حتى أنسوا بى ،
ثم قلت : من منكم ضرب أكثر ؟ قال : فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد
منهم أنه أكثرهم ضرباً ، وأشدهم صبراً ، قال : فقلت له : أسألك عن شيء ؟
فقال : هات ، فقلت : شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع

للقتل سياطاً يسيرة ، إلا أنه لم يمت ، وعالجوه وبرا ، إلا أن موضعاً في صلبه
يوجعه وجعاً ليس له عليه صبر ، قال : فضحك ، فقلت : مالك ؟ قال : الذي عالجته
كان حائكاً ، قلت : إيش الخبر ؟ قال : ترك في صلبه قطعة لحم ميتة لم يقلعها ،
قلت : فما الحيلة ؟ قال : يُبَطُّ (١) صلبه ، وتتخذ تلك القطعة ويرمى بها ، وإن
تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته ، قال : فخرجت من الحبس ، فدخلت على أحمد
ابن حنبل فوجدته على حالته ، فقصصت عليه القصة ، قال : ومن يبطله ؟ قلت
أنا ، قال : أو تفعل ؟ قلت : نعم ، قال : فقام ، فدخل البيت ، ثم خرج ويده
مخدتان ، وعلى كتفه فوطه ، فوضع إحداها لى والأخرى له ، ثم قعد عليها ،
وقال : استخر الله ، فكشف الفوطه عن صلبه ، وقلت : أرني موضع الوجع ،
فقال : ضَعْ إصبعك عليه ، فإنى أخبرك به ، فوضعت إصبعي ، وقلت : هاهنا
موضع الوجع ؟ قال : ههنا أحمد الله على العافية ، فقلت : ههنا ؟ قال هاهنا أحمد الله
على العافية ، فقلت : هاهنا ؟ قال : هاهنا أسأل الله العافية ، قال : فعلت أنه
موضع الوجع ، قال : فوضعت الموضع عليه ، فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده
على رأسه ، وجعل يقول : اللهم اغفر للمعتصم ، حتى ببططته ، فأخذت القطعة
الميتة ورميت بها ، وشددت العصابة عليه ، وهو لا يزيد على قوله : اللهم اغفر
للمعتصم ، قال : ثم هداً وسكن ، ثم قال : كأني كنت معلقاً فأصدرت ، قلت :
يا أبا عبد الله ، إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ، ورأيتك تدعو
للمعتصم ؟ قال : إني أفكرت فيما تقول ، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فكرهت أن آتي يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة .
هو مني في حل .

(١) البط : الشق بآلة الجراحة التي هي الموضع .

ذكر الحث في العفو عن الجاني

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي بالبصرة حدثنا العقبى حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال « أتى رجل فقال : يا رسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، ويسيثون إلى ، وأحسن إليهم ، ويجهلون على ، وأحلم عنهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كان كما تقول : فكأنما تسفهم الملل ^(١) ، ولا يزال من الله معك ظهير ما زلت على ذلك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة ، وترك الخروج لمجازاة الإساءة ، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان ، ولا سبب لنماء الإساءة وتهيجها أشد من الاستعمال بمثلها .

ولقد أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

سأزُومُ نفسى الصّبح عن كل مذنب وإن كثرت منه إلى الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة : شريف ، ومشروف ، ومثلُ مقاوم
وأما الذى فوقى : فأعرف فضله وأتبع فيه الحق ، والحق لازم
وأما الذى دونى : فإن قال صنت عن إجابته عِرضى ، وإن لام لائم
وأما الذى مثلى : فإن زلّ أو هفا تفضّلت ، إن الحلم للفصل حاكم
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ^(٢) حدثنا محمد بن عامر الأنطاكى حدثنا ابن توبة
حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن جليس قال : ثلاثة يحبهم الله :

(١) الملل - بفتح الميم - الرماد الحار تحت الحجر ، يدفن فيه الخبز لينضج . أراد صلى الله عليه وسلم : إنما تجعل الملة لهم سفوفاً يستفؤنه ، يعنى عطاءك وصلتك وإحسانك وحملك عليهم ، ذلك برد عليك وخير لك ، ونار فى بطونهم .

(٢) انظر ص ١٣٨ السابقة .

من كره سوءاً يأتيه إلى أخيه وصاحبه ، فذلك قمينٌ أن يستحي من الله ، ومن كان ذا رفعة من الناس فتواضع لله ، فذلك الذي عرف عظمة الله ، فيخاف مقتبه ، ومن كان عفوه قريباً من إساءته ، فذلك تقوم به الدنيا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : من أراد الثواب الجزيل ، واسترهان الودَّ الأصيل ، وتوقع الذكر الجميل ؛ فليتحمل من ورود ثقل الردى ، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى ، باستعمال السنة التي ذكرناها في الصلة عند القطع ، والإعطاء عند المنع ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الظلم ، لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون عن داود بن الزبرقان قال : قال أيوب « لا يَنْبُلُ الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عنهم » .

وأشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

وإذا مذهب أتابه به الحق فغطاه عفوه في ستوره راجياً للثواب في كل زُرءٍ من خَفِيِّ الأمور ، أو مشهوره فهو في عاجل الحياة كريم ومن الفائزين يوم نشوره خَصْلَةٌ جَزَلَةٌ بها خَصَّه الله لزين الدنيا ويوم كروره

أنبأنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا عمر بن حفص الشيباني حدثنا سفيان عن رجل ، قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول « أحب الأمور إلى الله ثلاثة : العفو في القبرة ، والقصد في الجِدَّة ، والرفق في العبادة ، وما رَفَقَ أحدٌ بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة » .

أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة قال : كتب الحجاج إلى عبد الملك « إنك أعزُّ ما تكون أحوجُّ ما تكون إلى الله ، فإذا تعززت بالله فاعفُ ، فإنك به تعز ، وإليه ترجع » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم ، رجاء عفو الله جل وعلا عن جنائياته التى ارتكبها فى سالف أيامه ؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء ، وصاحب العقاب ، وإن انتقم كان إلى الندم أقرب ، فأما من له أخ يودّه فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلاته .

ولقد أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا أحمد بن داود التمار ، قال : سمعت مردويه الصائغ يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : احتمل لأخيك إلى سبعين زلة ، قيل له : وكيف ذلك يا أبا على ؟ قال : لأن الأخ الذى آخيته فى الله ليس يزل سبعين زلة .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا لم تجاوز عن أخ لك عثرةً فلست غداً من عثرى متجاوزا
وكيف يرجيك البعيد لنفعه إذا كان عن مولاك برك عاجزا
أبناؤنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا الرمادى حدثنا الجعفى يحيى بن سليمان حدثنا ابن أبحر حدثنى أبى قال : « أقبل الشعبى يوماً ، فإذا هو برجلين من قومه من وراء جدار قصير ، قال : فاستمع عليهما ، فإذاهما يقعان فيه ويشتمان ، وينتقصانه ^(١) حتى أكثرا ، فلما أطالا أشرف عليهما الشعبى ، فقال ^(٢) :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلحت
فقالا : والله يا أبا عمرو ، لا نفعُ فيك بعد اليوم » .

وأنشدنى بعض أهل العلم :

ولربما ابتسم الوقور من الأذى وضميره من حرّ بيتأوه
ولربما خزّن الحليم لسانه حذر الجواب وإنه لمقوه
وأبناؤنا أبو عوانة يعقوب بن إبراهيم ، أبناؤنا عبد الله بن الحسين الميصى ،

(١) فى نسخة « ويستقصانه » (٢) البيت لكثير عزة .

أبنا يعقوب بن أبي عباد ، قال : قال الفضيل بن عياض : مَنْ طلب أحاً بلا عيب بقي بلا أخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أغنى الناس عن الحقد مَنْ عظم عن المجازاة ، وأجلُّ الناس مرتبة من صدَّ الجهل بالحلم ، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه ، فأما مجازاة الإحسان إحساناً فهو المساواة في الأخلاق ، فربما استعملها البهائم في الأوقات ، ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم ، بالمجازاة على الإساءة إساءة ، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء ، وإن لم يكن بادئاً .

كما أنشدني الكريزي :

أسأت ، وأنكرتُ أنى أسأتُ فأفضل ، ولاتك عين المسيء
لك الفضل بالعفو عما عفوت وإلا فانت القرن السوى
وعفوك مقتدرًا نعمة وعفو المند غير الهني
سمعت محمد بن عثمان العقبى ، قال : سمعت هلال بن العلاء الباهلى يقول : جعلت على نفسى منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكفىء أحداً بسوء ، وذهبتُ إلى هذه الأبيات :

لما عفوت ، ولم أحقد على أحد أرحتُ قلبى من غمِّ العداوات
إنى أحى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه كأنما قد حشى قلبى محبات

أبنا ابن قتيبة ، حدثنا ابن أبي السرى ، قال : سمعت أبا عمر الصنعاني يقول : حدثنا زيد بن أسلم قال : قال لقمان لابنه « كذب من قال : إن الشر يطفىء الشر ، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار ، فلينظر هل تطفىء إحداها الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفىء الشر ، كما يطفىء الماء النار » .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف البسامي ، حدثنا محمد بن عبد الله الداري ، حدثنا محمد بن عمران الضبي ، قال : قال ابن السكك :
لن لمن يحفوا ، فقل من يصفو .

وأنشدني الأبرش :

توخ من السبل أوساطها وعدّ عن الحائر المشتبه
وسمك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند استماع القبيح شريك لقائله ، فانتبه
فكم أزعج الحرص من طالب فوافي المنية في مطلبه

أبنا عمر بن حفص البزاز بجنديسابور ، حدثنا جعفر بن محمد بن حبيب الذارع حدثنا عبد الله بن رشيد ، حدثنا مجاعة بن الزبير ، قال : قال لقمان لابنه « أي بني ، أي شيء أقل ؟ وأي شيء أكثر ؟ وأي شيء أحلى ؟ وأي شيء أبرد ؟ وأي شيء آنس ؟ وأي شيء أوحش ؟ وأي شيء أقرب ؟ وأي شيء أبعد ؟ قال : أما أقل شيء فاليقين ، وأما أي شيء أكثر فالشك ، وأما أي شيء أحلى فروح الله بين العباد يتحابون بها ، وأما أي شيء أبرد فغفو الله عن عباده ، وغفو الناس بعضهم عن بعض ، وأي شيء آنس حبيبك إذا أغلق عليك وعليه باب واحد ، وأي شيء أوحش جسد إذا مات ، فليس شيء أوحش منه ، وأي شيء أقرب فالآخرة من الدنيا ، وأي شيء أبعد فالدنيا من الآخرة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يحسن عند الجفوة ، ويغضى عند المجازاة عليها بمثلها .

وقد قيل : إن من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وهو عندي - والله أعلم - غضب لا يخرج به إلى المعاصي : ولا إلى الانتقام من الجاني ، كأنه في نفسه يعلم محل الجفوة منه ، كما يعقل ورود النعمة عليه ، وما

أقبح قدرة اللئيم إذا قدر ، ومن أساء سمعاً أساء إجابة ، ومن أتى المكروه إلى أحد فبنفسه بدأ ؛ لأن الشرور تبدو صغاراً ثم تعود كباراً .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا محمد بن إدريس الرازي ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى وإسماعيل بن عبيد الله الحزومي ، قالوا حدثنا عبد الأعلى ابن مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : سمعت إسماعيل بن عبيد الله يقول لبنيه : « يا بني أكرموا من أكرمكم ، وإن كان عبداً حبشياً ، وأهينوا من أهانكم ، وإن كان رجلاً قرشياً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الذى قال إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر : إن استعمله العاقل فى الأحوال كلها مع الجاهل فلا ضير ، فأما من ارتفع عن حد الجاهل ، واتضع عن حد العقلاء ، فالإغضاء عن مثله فى الأوقات أحمد مخافة الازدياد منه ، ولأن يصبر المرء على حرارة الجفاء ومرارتها أولى من الانتقام مما يستجلب عليه بما هو أحر وأمرّ مما مضى ، لأن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمر من الصبر .
ولقد أحسن الذى يقول :

لقد أسمع القول الذى كاد كلما تذكريه النفس قلبى تصدّع
فأبدي لمن أبداه منى بشاشة كأنى مسرور بما منه أسمع
وما ذاك عن عجز به ، غير أننى أرى أن ترك الشر للشر أقطع

أنبأنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة ، حدثنا أحمد بن مقدم العجلي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطفلوى عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى عمرو فى هذه الآية (٧ : ١٩٩ خذ العفو وأمر بالعرف) قال : « أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالعفو عن أخلاق الناس » .

ذكر صفة الكريم واللئيم

أنبأنا محمد بن الحسن بن الخليل بنسا ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبدة

ابن سليمان عن عبيد الله بن عمر ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال « قيل يارسول الله ، أى الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ؟ قال : فعن معادن العرب تسألوننى ؟ قالوا : نعم ، قال : خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام ، إذا فقهوا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أكرم الناس من اتقى الله ، والكريم التقى . والتقوى : هى العزم على إتيان المأمورات ، والانزجار عن جميع المزجورات ^(١) فمن صح عزمه على هاتين الخصلتين فهو التقى الذى يستحق اسم الكرم ، ومن تعرى عن استعمالهما ، أو أحدهما ، أو شعبة من شعبهما ، فقد نقص من كرمه مثله .

ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا عيسى بن محمد بن سهل الأزدي عن أبيه عن المدائني ، قال : قال زيد بن ثابت « ثلاث خصال لا تجتمع إلا فى كريم : حسن المحضر ، واحتمال الزلة ، وقلة الملالة » .
وأشدنى ابن زنجي البغدادي :

رأيت الحق يعرفه الكريم لصاحبه وينكره اللئيم
إذا كان الفتى حسناً كريماً فكل فعاله حسن كريم
إذا ألفتته سمجاً لئيماً فكل فعاله سمج لئيم
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم لا يكون حقوداً ولا حسوداً ، ولا

(١) هذا تفسير باللائم ، وإلا حقيقة التقوى فى اللغة : الأخذ بكل أسباب ما يدفع عن الإنسان كل ما يكره ويحذر فى الدنيا والآخرة ، واتخاذ الوقاية مما يؤذى ويضر فى الجسم والقلب والعقل ، ولا يكون ذلك إلا بالعلم واليقظة التامة ، والبصيرة النيرة فكم من آت بكل المأمورات ومنزجر عن كل الحرمات ولكنه على جهل وتقليد أعمى لا ينفعه شيء مما يأتى ، ولا يدفع عنه انزجار شيئاً مما يخاف ويحذر ، والله الموفق لكل خير والهادى إلى سواء السبيل .

شامتاً ، ولا باغياً ، ولا ساهياً ، ولا لاهياً ، ولا فاجراً ، ولا فخوراً ، ولا كاذباً ، ولا ملولاً ، ولا يقطع إلفه ، ولا يؤذى إخوانه ، ولا يضيع الحفاظ ، ولا يجفوفى الوداد ، يعطى من لا يرجو ، ويؤمن من لا يخاف ، ويعفو عن قدرة ، ويصل عن قطيعة .

أخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن علي بن محمد المرجبي عن محمد بن إبراهيم العباسي عن عبد الله بن الحجاج - مولى المهدي - عن إبراهيم بن شكلة ، قال « إن لكل شيء حياة وموتاً ، وإن مما يحيي الكرم مواصلة الكرماء ، وإن مما يحيي اللؤم معاشره اللئام » .
وأنشدني الكريزي :

وما بال قوم لئام ليس عندهم عهد ، وليس لهم دين إذا ائتمنوا
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً منا ، وما سمعوا من صالح دفنوا
صُمُّ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذنوا^(١)
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الكريم يلين إذا استعطف ، واللئيم يقسو
إذا أُلِيفَ ، والكريم يُجِلُّ الكرام ، ولا يهين اللئام ، ولا يؤذى العاقل ، ولا يمازح الأحمق ، ولا يعاشر الفاجر ، مؤثراً إخوانه على نفسه باذلاً لهم ماملت ، إذا اطلع على رغبة من أخ لم يدع مكافأتها ، وإذا عرف منه مودة لم ينظر في قلق العداوة ، وإذا أعطاه من نفسه الإخاء لم يقطعه بشيء من الأشياء .
كما أنشدني الخلابي ، أنشدنا أحمد بن أبي علي القاضي ، قال : أنشدنا محمد ابن مقيس الأزدي :

فإن الذي بيني وبين عشيرتي وبين بني عمي مختلف جدا
إذا قدحوا لي نار حرب برّندهم قدحتُ لهم في كل مكرمة زندا

(١) يقال : أذن الرجل للقول : أي ألقى سمعه وأصغى بانتباه ويقظة زائدة ،
والأبيات لقمنب بن أم صاحب .

وإن أكلوا لحى وفَرَّتْ لحومهم وإن هدموا مَجْدَى بنيتُ لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقد
وأعطيهم مالى إذا كنت واجدا وإن قلَّ مالى لم أكفهم رَفْدًا^(١)
أُنَبِّأنا ابن حوصا ، حدثنا النحاسى حدثنا ضمرة عن إبراهيم بن أبى عليّة قال :
رأيت سالم بن عبد الله ومحمد بن عبد العزيز يتسايران بأرض الروم ، فأبال أحدهما
دابته ، فأمسك عليه الآخر حتى لحقه .

أُنَبِّأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا أحمد بن أبى بكر بن خالد اليزيدى عن قطبة
ابن العلاء بن المنهال ، قال : سمعت المبارك بن سعيد يقول سمعت الأعمش يقول :
قال الشعبي « إن كرام الناس أسرعهم مودة ، وأبطؤهم عداوة ، مثل الكوب
من الفضة يبطئ . الانكسار ، ويسرع الانحجار ، وإن لثام الناس أبطؤهم مودة ،
وأسرعهم عداوة ، مثل الكوب من الفخار : يسرع الانكسار ، ويبطئ
الانحجار » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم مَنْ أعطاه شكر ، ومن منعه عذره ،
ومن قطعه وصله ، ومن وصله فضله ، ومن سألَه أعطاه ، ومن لم يسألَه ابتدأه ،
وإذا استضعف أحداً رحمه ، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه ، واللّهم
بضد ما وصفنا من الخصال كلها !

ولقد أنَبَّأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز ، حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلى ،
حدثنا أحمد بن الخليل ، حدثنا يحيى بن أيوب عن أبى عيسى قال : كان إبراهيم
ابن أدهم كريم النفس ، يخالط الناس بأخلاقهم ويأكل معهم ، قال : فرمّا اتخذ
لهم الشواء والجواذبات والخبيص ، وربما خلا وأصحابه الذين يأنس بهم فيتصارعون
قال : وكان يعمل عمل رجلين ، وكان إذا صار إلى نفسه أكل عجيناً .

(١) هذه الأبيات من شعر الحماسة منسوبة إلى المقنع الكندى من قصيدة له ،
وفى بعض ألفاظها اختلاف . و « الرَفْد » العطاء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أجمع أهل التجارب للدهر ، وأهل الفضل في الدين ، والراغبون في الجليل : على أن أفضل ما اقتنى لنفسه في الدنيا ، وأجل ما يندّخر لها في العقبى هو لزوم الكرم ، ومعاشرة الكرام ؛ لأن الكرم يحسن الذكر ، ويشرف القدر ، وهو طباع ركبها الله في بنى آدم ، فمن الناس من يكون أكرم من أبيه ، وربما كان الأب أكرم من ابنه ، وربما كان للملوك أكرم من مولاه ، وربّ مولى أكرم من مملوكه .

ولقد أحسن الذى يقول :

رب مملوك إذا كشفته كان من مولاه أولى بالكرم
فهو ممدوح على أحواله وترى مولاه يُهَجَى ويُدَم
وتراه كيف يعلو دائماً ؟ وترى مولاه من تحت القدم
وفى تلقى أباه دونـه . وأباً تلقاه أعلى وأتم
من بنيه ، ثم لا يعتلّ إن طُلب العروف منه بالصم
وكذاك الناس - فاعلم - ربُّنا . قدر الأخلاق فيهم وقسم
وأنشدنى الأبرش :

رأيت اللين لا يرضى بضم لأن الضيم يسخطه الكريم
وإن اللين أكرم كل شيء فليس يحبه خلق لئيم
فإن نزل الأذى واللين قلباً فإن اللين يرحل لا يقيم
ويبقى للأذى في القلب صحب من البغضاء يلبث لا يزيم^(١)

حدثنا القطان بالركة ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، قال : سمعت أبا يقول :
ما من أحد إلا وله توبة ، إلا سيء الخلق ؛ فإنه لا يتوب من ذنب إلا دخل في
شر منه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكريم محمود الأثر في الدنيا ، مرضى العمل

في العقبى ، يحبه القريب والقاصى ، ويألفه المتسخط والراضى ، يفارقه الأعداء
واللثام ، ويصحبه العقلاء والكرام .

وما رأيت شيئاً أ كثر عملاً في نقص كرم الكريم من الفقر ، سواء كان
ذلك بالقلب أو بالموجود .

ولقد أنشدنى المنتصر بن بلال الأنصارى :

لعمرك ، إن المال قد يجعل الفتى نسيباً ، وإن الفقر بالمرء قد يُزْرِى
ولا رَفَعَ النفسَ الدنيَّةَ كالغنى ولا وضع النفسَ الكريمة كالفقر
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا حميد بن
عبد الرحمن عن زكريا بن أبي زائدة عن علي بن الأقر عن أبي جحيفة قال :
« جالسوا الكبراء ، وخالطوا الحكماء ، وسألوا العلماء » .

ذكر الزجر عن قبول قول الوُشاة

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء ، حدثنا مهدي بن ميمون
حدثنا واصل الأحدب عن أبي وائل عن حذيفة « أنه بلغه أن رجلاً يَمُومُ
الحديث ، فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل
الجنة مَمَامٌ » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على الناس كافة : مجانبة الأفكار في
السبب الذى يؤدى إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس ، والسعى فيما يفرق جمعهم
ويشتت شملهم ، والعقل لا يخوض فى الأفكار فيما ذكرنا ، ولا يقبل سعاية الواشى
بجيلة من الخيل ، لعلمه بما يرتكب الواشى من الإثم فى العقبى بفعله ذلك .

ولقد أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه
عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال : قال سليمان بن داود لابنه « يا بنى ،
إياك والنيمة ، فإنها أحد من السيف » .

وأنشدني الكريزي :

من نَمَّ في الناس لم تؤمن عقار به على الصديق ، ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل في الليل لا يدري به أحد من أين جاء ، ولا من أين يأتيه ؟
فالويل للعهد منه كيف ينقضه ؟ والويل للود منه كيف يفتيه ؟

أخبرنا أحمد بن إسحاق الناقد بواسط ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال « لما تعجل موسى ابن عمران إلى ربه رأى رجلاً تحت العرش ، فغبطه بمكانه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه ، قال : لكنتى أخبرك من عمله بثلاث خصال : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ولا يعق والديه ، ولا يمشى بالنميمة » .

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن يعقوب الربعي ، حدثنا محمد بن إدريس المحدث عن العتيبي قال « سمعت أعرابية توصي ابناً لها ، فقالت : عليك بحفظ السر ، وإيالك والنميمة ، فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ، ولا ضغينة إلا أوقدتها » .

ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إلى مقارقتها من أن يحترس من مجالسته ، وأن لا يوثق بمودته ، وأن يزهد في مواصلته ومعاشرته .

ولذلك يقول أخو ربعة :

تمشيت فينا بالنميمة ، وإنما تفرق بين الأصفياء النمام
وما زلت منسوباً إلى كل آفة وما زال منسوباً إليك الملام
لأنك لم تقدم لشر فعلته وما تأت من خير فإنك نادم

أبنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا علي بن محمد المدائني قال : « وشي واش بعبد الله بن همام السلولي إلى زياد ، قال : فبعث زياد إلى ابن همام ، فجاء فأدخل الرجل بيتاً ، فقال له زياد : يا ابن همام . بلغني أنك هجوتني ، فقال له : كلاً ، أصلحك الله ! ما فعلت ، وما أنت لذلك

أهل ، قالى : فإن هذا أخبرنى - وأخرج الرجل - فأطرق ابن همام هنيهة ، ثم أقبل على الرجل ، فقال :

وأنت امرؤ : إما ائتمنتك خاليا فحُنته ، وما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذى كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم
قال : فأعجب زياد بجوابه ، وأدناه ، وأقصى للساعى ، ولم يقبل منه .

وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

يمشون فى الناس يبعون العيوب لمن لا عيب فيه ، لسكى يستشرف العطب
إن يعلموا الخير يخفوه ، وإن علموا شراً أذاعوا ؛ وإن لم يعلموا كذبوا
أخبرنى محمد بن أبى على ، حدثنا ابن أبى شيبه أبو جعفر ، حدثنا الحسن بن
صالح قال : سمعت حُجَين بن المثنى يقول « سعى رجل بالليث بن سعد إلى والى
مصر ، فبعث إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا الحارث ، إن هذا أبلغنى
عنك كذا وكذا ، فقال له الليث : سله - أصلح الله الأمير ! - عما أبلغك :
أهو شئ ائتمناه عليه فخاننا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من خائن ، أو شئ كذب
علينا فيه ، فما ينبغى لك أن تقبل من كاذب ، فقال الوالى : صدقت يا أبا الحارث »
أخبرنا ابن حوصا ، حدثنا عبد الله بن هانىء بن عبد الرحمن عن ابن أبى عُلَية
عن أبيه عن عمه إبراهيم بن أبى عليه قال : « كنت جالسا مع أم الدرداء فأتاها
أت فقال : يا أم الدرداء ، إن رجلا نال منك عند عبد الملك بن مروان ،
فقلت : إن تؤن^(١) بما ليس فينا فطالما زُكِّينا بما ليس فينا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل
الوشاة وصرف جميعها إلى الإحسان ، وترك الخروج إلى ما يليق بأهل العقل ،
مع ترك الأفكار فيما يُزرى بالعقل ، لأن من وشى بالشئ إلى إنسان بعينه يكون
قصده إلى المخبر أكثر من قصده إلى المخبر به ، لمشافهته إياه بالشئ الذى يسقُّ

عليه علمه وسماحه .

ولقد أحسن الذى يقول :

من يُخبرك بستم عن أخ فهو الشاتم ، لا من شتمك
ذاك شيء لم يشافهك به إنما اللوم على من أهلك
كيف لم ينصرك ؟ إن كان أخا ذا وفاء عند من قد ظلمك
إنما رام بإبلاغ الذى نَمَّ فيه - فاعلمن - أن يُرغمك
فأنه ، إنه من لؤمه إن تُهنه بهوان أكرمك
لكن الحرُّ إذا أكرمه لم يُصغرك ، ولكن فَخَّمك

أبنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن عبدالله السويدي قال : سمعت العباس
ابن ميمون يقول : شيع المأمون الحسن بن سهل ذا الوزارتين ، فلما بلغا غاية
التشيع ، قال له المأمون : يا حسن ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، تحفظ
على من قلبك مالا أستطيع إدراكه إلا بك ، ويكون بيني وبينك قول كثير عزة :
وكونى على الواشين لذاء شعبة كما أن للواشى ألدَّ شعوب
أخبرنا محمد بن سعيد القرزاز ، حدثنا محمد بن خزيمة البصرى حدثنا حذيفة
حدثنا عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبى كثير قال : « الذى يعملُه النمام فى ساعة
لا يعملُه الساحر فى شهر » .

أخبرنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن الملالى حدثنا أبو عوانة
البصرى ، حدثنا داود بن شبيب ، حدثنا حماد بن سلمة قال « باع رجل من رجل
غلاماً له ، وقال : أبرأ إليك من النيمة ، فاشتراه على ذلك ، فجاء إلى مولاه ،
فقال : إن زوجك ليس بحبك ، وهو يتسرّى عليك ويتزوج ، أفتريد أن يعطف
عليك ؟ قالت : نعم ، قال : خذى موسى فاحلقى به شعرات من باطن لحيتة
وبخريه بها ، وجاء إلى الرجل ، فقال : إن امرأتك تبعى ، وتصادق ، وهى
قاتلتك ، أفتريد أن يبين لك ذلك ؟ قال : نعم ، قال فتناول لها ، قال : فتناول لها ،

فجاءت بموسى تخلق الشعر ، فأخذها فقتلها ، فأخذها أولياؤها فقتلوه .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا وأمثاله من ثمرة النخلة ، لأنها تهتك الأستار
وتفشي الأسرار ، وتورث الضغائن ، وترفع المودة ، وتجدد العداوة ، وتبدد الجماعة
وتهيج الحقد ، وتزيد الصد ، فمن وُشى إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته
على المفقة إن كانت ، وقبول العذر إذا اعتذر ، وترك الإكثار من العتب ، مع
توطين النفس على الشكر عند الحفاظ ، وعلى الصبر عند الضياع ، وعلى المعاتبة
عند الإساءة .

• وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

كافر الخليل على المودة مثلها وإذا أساء فكافه بعقابه
وإذا عتبت على امرئ أحبته فتوق ظاهر عيبه وسبابه
والن جناحك ما استلان لوده وأجب أخاك إذا دعا بجوابه
وأنشدنى على بن محمد البسامى :

أعاب إخوانى ، وأبقى عليهم ولست لهم بعد العتاب بقاطع
وأغفر ذنب المرء إن زلَّ زلة إذا ما أتاها كارهاً غير طائع
وأجزع من لوم الحليم وعذله وما أنا من جهل الجهول بجازع
أخبرنى محمد بن على الخلابى ، أخبرنى محمد بن يزيد النحوى عن العتبى
عن أبيه قال : عتب ابن الزبير على معاوية فى شىء ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير
المؤمنين : اسمع أبيتاً أعتبتك فيها ، قال : هات ، فأنشده ^(١) :

لعمرك ما أدرى ، وإنى لأوجل على أيننا تعدو المنية أول
وإنى على أشياء منك تربيته كثيراً لزو صفح على ذاك مجمل
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرّف الهجران لو كان يعقل
فقال له معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا بكر ، فدخل عليه معن بن أوس

(١) الأبيات لمعن بن أوس ، وسيدكر المؤلف ذلك .

المرزى بعد ذلك ، فقال له معاوية : هل أحدث بعدنا شيئاً ؟ قال نعم ، ثم أنشده :

* لعمرك ما أدرى وإنى لأوجل *

فقال : على بابن الزبير ، فقال : أليس هذا لك فيما زعمت ؟ قال : أنا ألقت المعنى ، وهو ألف القوافى ، وهو بعد ظئرى ، ومهما قال من شيء فأنا قلته ، فضحك معاوية ، وكان مثنى بن أوس مسترضعاً فى مزرينة .

سمعت الحسين بن إسحاق الأصفهاني يقول : كتب على بن حجر السعدى إلى بعض إخوانه :

أحسُّ إلى عتابك ، غير أنى
أجلُّك عن عتابٍ فى كتاب
ونحن إذا التقينا قبل موت
شفيتُ غليلَ صدرى من عتابى
وإن سبقتُ بنا أيدي المنايا
فكم من عاتب تحت التراب
وأنشدنى عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

صحائف عندى للعتاب طويتها
ستنشر يوماً ، والعتاب يطولُ
كتاب لعمري لا بنانٌ يحطُّه
وسوف يؤديه إليك رسول
سأكتب إن لم يجمع الله بيننا
وإن نجتمع يوماً فسوف أقول
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن لا يقصّر عن معاتبة أخيه على زلته ، لأن من لم يعاتب على الزلة لم يكن بحافظ للخلة ، ومن أعتب لم يذنب ، كما أن من اغتفر لم يعاقب ، وظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد ، ورُبَّ عَتَبٍ أنفعُ من صفح ؛ ولذلك أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

إذا ما امرؤ ساءتكَ منه خليقةٌ
فكأتمته ، فالوهن فى ذاك تركبُ
لعلك لو عاتبته ، ثم لمته
لشرك ، حتى لم تكن تتعتبُ
وأنشدنى الكريزى :

فإن تكن العتبى فأهلاً ومرحباً
وحق لها العتبى لدينا وقلتُ

وإن تكن الأخرى ، فإن وراءنا مفاوز لو سارت بها العيس كَلَّت
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب على العاقل أن يناقش على تصحيح
الإعتاب بالإكثار مخافة أن يعود المعاتب إلى ما عوتب عليه ؛ لأن من عاتب على
كل ذنب أخاه ، فحقيق أن يَمَلَّه ويقلاه ، وإن من سوء الأدب كثرة العتاب .
كما أن من أعظم الجفاء ترك العتاب ، والإكثار فى المعاتبه يقطع الود ، ويورث الصد
ولقد أنشدنى عبدالله بن أحمد النقيب البغدادى لابن المعتز :
معاتبه الإلفين تحسنُ مرةً فإن أكثروا إذْمانها أفسد الحَبَّاءَ
إذا شئتَ أن تُقَلِّىَ فزر مُتتابِعاً وإن شئتَ أن تزداد حُبّاً فزر غِيَّاباً
وأنشدنى محمد بن أبى على الصيداوى ^(١) :

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعرش واحداً ، أو صِلْ أخاك فإنه مقارف ذنبٍ مرةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مِراراً على القَدَى ظَمِئت ، وأى الناس تصفومشاربه ؟
أخبرنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن الحسن الذهلى عن أبى السائب قال :
قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « لا تكثر العتاب ، فإن العتاب يورث
الضعينة والبغضة ، وكثرته من سوء الأدب » .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات فى
كتاب « مراعاة الإخوان » فأغنى ذلك عن تكرارها فى هذا الكتاب .

ذكر استحباب قبول الاعتذار من المعتذر

أنبأنا على بن الحسن بن عبد الجبار - بنصيبين - حدثنا على بن حرب الطائى
حدثنا وكيع عن الثورى عن ابن جريج عن العباس بن عبد الرحمن بن مينا عن

(١) تنسب الأبيات لبشار بن برد .

جودان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اعتذر إلى أخيه فلم يقبل كان عليه مثلُ خطيئة صاحب مكس »

قال أبو حاتم رضى الله عنه : أنا خائف أن يكون ابن جريج رحمة الله ورضوانه عليه دلس هذا الخبر بأن سمعه من العباس بن عبد الرحمن فهو حديث حسن .

فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى ، أو لتقصير سبق ، أن يقبل عذره ، ويجعله كمن لم يُذنب ؛ لأن من تُنصّل إليه فلم يقبل أخاف أن لا يردّ الحوض على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن قرط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عليه الاعتذار في تقصيره إلى أخيه .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخ مُقرّر
فصنّه عن جفائك ، واعفُ عنه فإن الصفح شِمة كل حرّ
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

شفيع من أسلمه جرمه إقراره بالجرم والذنب
وتوبة المذنب من ذنبه إعتاب من أصبح ذا عتب

أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة . قال : غضب سليمان بن عبد الملك على خالد بن عبد الله ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين القدرة تذهب الحفيظة ، وأنت تجلّ عن العقوبة ، فإن تعف فأهل ذاك أنت ، وإن تعاقب فأهل ذاك أنا ، قال : فعفا عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للمرء أن يعتذر بحيلة إلى من لا يجب أن يجد له عذراً ، ولا يجب أن يكثر من الاعتذار إلى أخيه ؛ فإن الإكثار من الاعتذار هو السبب المؤدى إلى التهمة ، وإنى أستحب الإقلال من الاعتذار على الأحوال كلها ؛ لعلمى أن المعاذير يعتريها الكذب ، وقلّ ما رأيتُ أحداً

اعتذر إلا شاب اعتذاره بالكذب ، ومن اعترف بالزلة استحق الصفح عنها ،
لأن ذلك الاعتذار عن الزلة يوجب تسكين الغضب عنها والمعتذر إذا كان محققاً
خضع في قوله ، وذلك في فعله ، كما أنشدني المنتصر بن بلال :

أيارب قد أحسنتَ عوداً وبدأةً إلى ، فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر إليك وحجةٍ فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر
وأنشدني الكريزي :

وإني وإن أظهرتَ لي منك جفوةً وألزمتني ذنباً وإن كنتُ مجرمًا^(١)
راضٍ لنفسي ما رضيت لها به أراك بها منى أبر وأرحما
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الفيض بن الجهم التميمي ، حدثنا عبد الله
ابن خبيق قال : كان يقال : احتمل من دلَّ عليك ، واقبل ممن اعتذر إليك .
أنبأنا بكر بن محمد بن الوهاب القزاز - بالبصرة - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم
أبو بشر قال : سمعت أبي قال : حدثنا مبارك بن فضالة عن حميد الطويل عن
أبي قلابه ، قال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً ، فإن لم
تجد له عذراً فقل : لعل له عذراً لا أعلمه .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يجب للمرء أن يعلن عقوبة من لم يعلن ذنبه ،
ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين : إما أن يكون صادقاً في اعتذاره ،
أو كاذباً ؛ فإن كان صادقاً فقد استحق العفو ؛ لأن شرَّ الناس من لم يُقِلَّ
العثرات ، ولا يستر الزلات ، وإن كان كاذباً فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر
إثم الكذب ووريبته وخضوع الاعتذار وذلتة : أن لا يعاقبه على الذنب السالف

(١) «إن» الأخيرة نافية ، والمعنى : وما لم أكن في الواقع مجرمًا ، على حد قوله
تعالى (٣٥ : ٤١) إن أمسكهما من أحد من بعده (وقوله (٧٢ : ٢٥) إن أدرى
أقرب ماتوعدون) .

بل يشكر له الإحسان المحدث ، الذي جاء به في اعتذاره وليس يعيب المعتذر
إن دَلَّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه .

وأنشدني الأبرش :

هَبْنِي أَسَاتُ ، كما زعمت فأين عاطفة الأخوة ؟

أو إن أسأت ، كما أسأت فأين فضلك والمروءة ؟

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

هَبْنِي مَسِيئًا كالذي قلت ظالما فعفو جميل كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن للعفو منك - لسوء ما أتيت به - أهلا ، فأنت له أهل

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

هَبْنِي أَسَاتُ ، وكان جُرمي مثل جرم أبي هُبْ

فأنا أتوب كما أسأت ، وكما أسأت فلم تتب ؟

وأنشدني محمد بن أبي عليّ ، أنشدنا الربيعي عن الأصمعي :

أَتَيْتَكَ تَائِبًا مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَيْرَ النَّاسِ مَنْ أَخْطَأَ فَتَابَ (١)

أَلَيْسَ اللَّهُ يَسْتَعْفِي فَيَعْفُو وَقَدْ مَلَكَ الْعُقُوبَةُ وَالثَّوَابُ ؟

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

عَصِيْتُ وَتَبَيْتُ ، كما قد عصي وتاب إلى ربه آدمُ

فقل قولَ يوسف لا تثرِبًا لَكُمْ يَغْفِرُ الْغَافِرُ الرَّاحِمُ

أُنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَهْجَرِ الْمَعْدِلُ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْجُرْزِيُّ عَنْ حَمِيدِ

ابْنِ سَنَانَ الْخَلَّادِيِّ - وَكَانَ نَدِيمًا لِأَبِي دُلْفٍ - قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي دُلْفٍ يَوْمًا -

وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابٌ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ : هَذَا كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَفِيهِ

أَبْيَاتٌ أَحَبُّ أَنْ أَشْدُكَ بِهَا ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ اسْتَبْطَأْتُهُ فِي بَعْضِ الْمَرَاتِ ،

فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :

(١) أَخْطَأَ : أَصْلَهُ أَخْطَأَ ، قَلْبُ الْهَمْزَةِ أَلْفًا لَانْفِتَاحٍ مَاقَبْلَهَا .

أرى وُدَّكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وودى بكم كالآس حسناً وبهجة له نصرة تبقى إذا فنى الورد
فكتب إلى هذه الأبيات :

شَبَّهت ودى الورد، فهو مشاكلي وهل زهرٌ إلا وسيدها الوردُ
وشَبَّهت منك الود بالآس في البقا ولم تخلف التشبيه فيك ولم تعدُ
فودُّك كالآس المرير مذاقه وليس له في الريح قبل ولا بعدُ

أخبرنا عبد الكبير بن عمر الخطابي بالبصرة ، حدثنا أبو حاتم السجستاني
عن الأصمعي قال : حدثنا عيسى بن عمر قال : كان لأبي الأسود الدؤلي صديق ،
فراى عنه بعض ما يكره ، فقال أبو الأسود :

رأيت امرأة لم أكن أبله^(١) أتاني ، فقال : اتخذني خليلا
فخالته ، ثم صافيته فلم ينقص الود منه فتिला
فراجعته ، ثم عاتبته عتاباً رفيقاً ، وقولا جميلا
فألفيته غير مُستعِيب ولا ذاكر الله إلا قليلا
ألست حقيقاً بتوديعه وأتبع ذلك هجراً طويلا ؟

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الاعتذار يذهب الهموم ، ويُجلى الأحران ،
ويدفع الحقد ، ويذهب الصد ، والإقلال منه تستغرق فيه الجفائيات العظيمة
والذنوب الكثيرة ، والإكثار منه يؤدي إلى الاتهام وسوء الرأي ، فلو لم يكن
في اعتذار المرء إلى أخيه حصلة تُحمد إلا نفى التعجب عن النفس في الحال لكان
الواجب على العاقل أن لا يفارقه الاعتذار عند كل زلة .

ولقد أنشدني الكريزي :

فانظر إلى بطرف غير ذى مرض فطال ماصح لي من طرفك النظرُ

(١) هكذا في الأصل ، والمحفوظ « أريت امرأة كنت لم أبله » إلخ ، مع بعض
اختلاف في الباقي .

أدرك بفضلك عَظَمًا كُنتَ تَجْبُرُهُ واجمع برقتك ماقد كلد ينتشر (١)
 أنبأنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق
 حدثنا عطاء بن مصعب قال : قدم عبد الرحمن بن عَنبَسَةَ بن سعيد على معن بن
 زائدة باليمن ، وكانت بينهما عداوة ، فلما رآه قال له : يا عبد الرحمن ، بأي وجه
 أتيتني ؟ ولأي خير أملتني ؟ قال : أصلح الله الأمير ! اسمع مني حتى أنشدك بيتين
 قالهما نَصِيبُ في عبد العزيز بن مروان ، قال : وما هما ؟ فأنشده :

لو كان فوق الأرض حيٌّ فعَالُهُ كفعلك ، أو للفعل منك مقاربُ
 لقلت له هذا ، ولكن تَعَذَّرْتُ سواك على المستعنين المذاهبُ
 فقال : أقم ، فإنني لا أؤاخذك فيما مضى ؛ ولا أُعَنِّقُ فيما بقي .

أنبأنا الخلادي حدثنا محمد بن موسى السَّمَرِيُّ عن حماد بن إسحاق . قال ابن
 السماك لحمد بن سليمان ، أو حماد بن موسى لكاتبه ، ورآه كالمعرض عنه : مالي
 أراك كالمعرض عني ؟ قال : بلغني عنك شيء كرهته ، قال : إذاً لا أبالي ، قال :
 ولم ؟ قال : لأنه إن كان ذنباً غفرته ، وإن كان باطلاً لم تقبله ، قال : فعاد
 إلى المؤانسة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما يشاكل هذه الحكايات في كتاب
 « مراعاة العشرة » فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على لزوم كتمان السر

أنبأنا محمد بن سليمان بن فارس الدلال ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد
 العبدى ، حدثنا الهيثم بن أيوب العطار السلمي ، حدثنا سهل بن عبد الرحمن عن
 محمد بن مطرف أبي غسان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن أبي هريرة قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على الحوائج بكتمان السر ، فإن
 لكل نعمة حاسداً » .

(١) ينتشر : يتفرق ويذهب ههنا وههنا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا إسناد حسن ، وطريق غريب ، إن كان عروة هذا هو ابن الزبير بن العوام ، وسعيد بن سلام ، ما أرى حفظ حديثه ؛ فلذلك تنكبت ^(١) عن ذكره .

فالواجب على من سلك سبيل ذوى الحجب لزوم ما انطوى عليه الضمير بتركه إبداء المكنون فيه ، لا إلى ثقة ولا إلى غيره ؛ فإن الدهر لا بد من أن يضرب ضرباته فيوقع ضدَّ الوصل بينهما بحالة من الأحوال فيخرجه وجود ضد ما انطوى عليه قديماً من وفائه إلى صحة الخروج بالكلية إلى جفائه ، بإبداء مكنوماته ، والكشف عن مخبئاته .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثني محمد بن عبد الكريم العبدى ، حدثنا بكر بن يونس بن بكير ، حدثني موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال : عجبت من الرجل يفرُّ من القدر ، وهو موافقه ، ومن الرجل يرى القذاه في عين أخيه ، ويدع الجذع في عينه ، ومن الرجل يخرج الضغن من موضع ويدع الضغن في نفسه ، وما ندمت على أمر قط فلمت نفسي على تندمى عليه ، وما وضعت سرى عند أحد فلمته على أن يفشيه ، كيف ألومه وقد ضقت به ؟ .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

تبيح بسرِّك ضيقاً به	وتبغى لسرك من يكم
وكتمانك السرِّ من تخاف	ومن لا تخافنه أخزم
إذا ذاع سرِّك من مخبر	فأنت وإن لمته ، ألوم

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره	فألقاه في صدرى فصدرى أضيق
ومن لامنى في أن أضيع سره	وضيَّعه قبلى فذو السر أخرق ^(٢)

(١) تنكبت : أعرضت .

(٢) أخرق : أحمق .

أخبرنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا أحمد بن محمد الصيداوى ، حدثنا حماد ابن إسحاق عن المدائنى قال : كان يقال : أصبر الناس الذى لا يفشى سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شيء فيفشي ، وأنشدنى البغدادي :

صُنِ السِّرُّ بالسَّكْمَانِ يَرْضِيكَ غُبُهُ فَقَدْ يَظْهَرُ الْمَرْءُ الْمَضِيعُ فَيَنْدُمُ
فَلَا تَلْجُئَنَّ سِرًّا إِلَى غَيْرِ حَرْزِهِ فَيَظْهَرُ حَرْزُ السُّوءِ مَا كُنْتَ تَكْتُمُ
وَأُنْشَدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَاسِطِي :

إذا المرء لم يحفظ سريرة نفسه وكان لسرِّ الأَخِّ غيرَ كَتومٍ ^(١)
فَبُعْدًا لَهُ مِنْ ذِي أَخٍ وَمَوَدَّةٍ وَلَيْسَ عَلَى وَدِّهِ لَهُ بِمَقِيمٍ
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من حَصَّنَ بالسَّكْمَانِ سره تَمَّ له تديره ، وكان له الظفر بما يريد ، والسلامة من العيب والضرر ، وإن أخطأه التمكن والظفر ، والحازم يجعل سره فى وِعَاءٍ ويكتمه عن كل مستودع ، فإن اضطره الأمر وغلبه أودعه العاقلُ الناصح له ، لأن السر أمانة ، وإفشائه خيانة ، والقلب له وِعَاؤُهُ ، فمن الأوعية ما يضيِّق بما يودع ، ومنها ما يتسع لما استودع .

وَأُنْشَدْنِي الْكَرِيرِي :

اجعل لسرك من فؤادك منزلا لا يستطيع له اللسان دخولا
إن اللسان إذا استطاع إلى الذى كتم الفؤاد من الشئون وصولا
ألفيت سرَّكَ فى الصديق وغيره من ذى العداوة فاشيا مبذولا
وَأُنْشَدْنِي الْمُتَتَمِرُ بْنُ بِلَالِ الْأَنْصَارِي :

سأكتمه سرى وأكتم سره ولا غَرَّنى أنى عليه كريم
حليم فيفشى ، أو جهول يذيعه وما الناس إلا جاهل وحليم
أخبرنى محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا إبراهيم بن الجعيد ، حدثنى على بن عيسى عن محمد عن ابن الأعرابي قال : كان يقال : العاقل مَنْ حَذَرَ صَدِيقَهُ .

(١) الأَخ - ههنا بتشديد الحاء - وهى لغة .

وأنشدني بعض إخواننا :

لعمرك كتمان الفتى سرَّ مانوى أعفَّ وأدنى للرشاد وأكرم
وأجملُ في بثِّ الحديث مقالة وأحسن في الأخلاق دوماً وأحزم
وأنشدني السكريزي :

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فانت إذا حملته الناس أضيع
ويضحك في وجهي إذا مالقته وينهشني بالغيب يوماً ويلسع
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز ،
وما كتبه المرء من عدوه فلا يجب أن يظهره لصديقه ، وكفى لدوى الألباب عبراً
ماجر بوا ، ومن استودع حديثاً فليستر ، ولا يكن مهتاكاً ، ولا مشياًعاً ؛ لأن
السر إنما سمي سرّاً ؛ لأنه لا يفشى .

فيجب على العاقل أن يكون صدره أوسع لسره من صدر غيره بأن لا يفشيه
ولقد أنبأنا محمد بن المهاجر المعدل ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن يعقوب الأعمى
قال : أنشدني محمد بن سليمان بن سلام الجمحي لرجل من عبد شمس :

إذا ماضاق صدرك عن حديث فأفشاه الرجالُ فمن تلومُ
إذا عاتبتُ من أفشى حديثي وسرّى عنده فأنا الظلوم
وإني يوم أسأم حمل سرى وقد ضمّنه صدرى شؤون
فلست مُحَدَّثاً سرى خليلي ولا نفسى إذا حضرت هموم
وأطوى السرَّ دون الناس : إني لما استودعت من سرّ كنومُ

وأنشدني علي بن حيدة الكاتب ، قال : أنشدنا عبد الرحمن بن بNDAR
لشيطان الطاق :

أمتِ السرّ بكتمان ولا يُسمعن منك إذا استودعت سرّ
فإذا ضقت به ذرعاً ، فلا تضعنُ سرّك إلا عند حُرّ
أنبأنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الرمادى ، حدثنا مسدد قال : سمعت ابن

داود يقول : سمعت الأعشى يقول : يضيق صدر أحدكم بسره ، حتى يحدث به ،
ثم يقول : اكتمه على :

وأنشدني إبراهيم بن علي الظفري ^(١) أنشدني الحسين بن عبيد الله -
لا يكتم السر إلا من له شرف والسر عند كرام الناس مكتوم
السر عندي في بيت له غلق ضلت مفاتيحه والباب مختوم
أبناؤنا الخلدی ، حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع البياضي ، قال :
أنشدنا عبد الرحمن بن محمد :

وإني لأنسى السر كما أضونه فيأمن رأى شيئاً يَصَانُ بأن ينسى
مخافة أن يجري ببال ذكره فيخلصه قلبي إلى منطقي خلصا
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الظفر بالحزم ، والحزم بإجالة الرأي ، والرأي
بتحصين الأسرار ، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده ، ومن أنبا الناس بأسراره
هان عليهم وأذاعوها ، ومن لا يكتم السر استحق الندم ، ومن استحق الندم صار
ناقص العقل ، ومن دام على هذا رجع إلى الجهل .
فتحصين السر للعاقل أولى به من التلief بالندم بعد خروجه منه .
ولقد أحسن الذي يقول :

خشيتُ لسانى أن يكون خُوناً فأودعته قلبي ، فكان أمينا
فقلت ، ليخفي دون شخصي وناظري : أيا حَرَكَاتِي كنَّ في سكونا
أبناؤنا إبراهيم بن إسحاق الأنماطي ، حدثنا محمد بن سليمان المصيصي ، حدثنا
ابن عيينة عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله تعالى (٣ : ١٥٩) وشاورهم في الأمر)
قال : ما كان يحتاج إليهم ، ولكن أحب أن يستنَّ به من بعده .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : المستشار مؤتمن ، وليس بضامن ، والمستشير
متحصن من السقط ، متخير للرأى .

(١) وجد في هامش الأصل « نسخة الطرقي »

والواجب على العاقل السالك سبيل ذوى الحجى : أن يعلم أن المشاورة تفشى الأسرار ، فلا يستشير إلا اللييب الناصح الودود للفاضل فى دينه ، وإرشاد المُشير المستشير قضاء حق النعمة فى رأى ، والمشورة لا تخلو من البركة إذا كانت مع مثل من وصفنا نَعْتَهُ .

ولقد أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابى ، حدثنا ابن عائشة ، قال : قال الحسن ماحزب^(١) قوماً قط أمر فاجتمعوا فتشاوروا فيه إلا أرشدهم الله لأصوبه . وأنشدنى الكرىزى :

دَبَّرَ إِذَا مَارَمْتَ أَمْرًا بِفِكْرَةٍ لتعلم ما تَأْتِي وما تَتَجَنَّبُ
وشاور نَقَى الرَّأْيَ عِنْدَ التَّبَاسِهِ لِكَيْ يَضِحَ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ أَصُوبُ^(٢)
وأنشدنى المنتصر بن بلال :

لَا تَسْبِقَنَّ النَّاسَ بِالرَّأْيِ وَاتَّئِدْ فَإِنَّكَ إِنْ تَعْجَلْ إِلَى الْقَوْلِ تَزَلْ
ولكن تصفَّحْ رَأْيَ مَنْ كَانَ حَاضِرًا وقل بعدهم رسلاً ، وبالحق فاعمل
أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنى يحيى بن زيد بن محمد الأبلَى ، حدثنى إسماعيل بن حبيب أبو حميد الأبلَى عن عبد الله بن الديلمى عن وهب بن منبه أنه قال : فى التوراة أربعة أحرف مكتوبة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ، والفقر الموت الأحمر ، وكما تَدِينُ تُدَانُ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لَا أَنْسَ أَنْسُ مِنْ استشارة عاقل ودود ، ولا وحشة أوحش من مخالفته ؛ لأن المشاورة والمناظرة بابا بركة ومفتاحا رحمة ، من استشير فليشر بالنصيحة ، وليجتهد بالرأى ، وليزِمِ الحق ، وقصد السبيل وليجعل المستشير كنفه بترك الخيانة ، وبذل النصيحة ، وليكن كما أنشدنى على ابن محمد البسامى :

(١) حزبه : اشتد عليهم وشق .

(٢) يضح : مضارع وضح ، إذا اشتد ظهوره

ومن الرجال إذا زكّت أعلامهم من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحول بكل واد قلبه فيرى ويعرف ما يقول وينطق
إن الحليم إذا تفكر لم يكذب يخفى عليه من الأمور الأوقى

أنبأنا أبو يعلى ، حدثنا غسان بن الربيع ، حدثنا يزيد بن ثابت عن إياس
ابن دغفل عن الحسن : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما شور قوم قط
إلا هدوا إلى رشدهم » .

أخبرني محمد بن المنذر ، حدثنا أحمد بن خالد السيرافي ، حدثنا شيبان ،
حدثنا أبو الأشهب قال : قال الحسن : لا يندم من شور مرشدا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل إذا استشير قوم هو فيهم
أن يكون آخر من يشير : لأنه أمكن من الفكر وأبعد من الزلل ، وأقرب من
الحزم ، وأسلم من السقط ، ومن استشار فلينفذ الحزم بان لا يستشير عاجزاً ، كما أن
الحازم لا يستعين كسلاً ، وفي الاستشارة عين الهداية ، ومن استشار لم يقدم رشداً ،
ومن ترك المشاورة لم يقدم غيماً ولا يندم من شور مرشداً ، وقد أشدنى الواسطي :

الهمم مالم تمضه لسييله سقم القلوب وآفة الأبدان
ومعول الرجل الموفق رأيه عند اعتراض طوارق الأحزان
وإذا الحوادث سددت أسبابه كان التبصر أنجد الأعوان
وإذا أضل سبيله تديره طلب الهدى بشاور الإخوان

أنبأنا محمد بن عثمان العقفي ، حدثنا مطروح بن شاكر ، حدثنا أصبغ عن ابن
وهب عن إبراهيم بن نسيط عن ابن أبي حسين قال : كان يقال : ما هلك امرؤ
عن مشورة ، ولا سعد بتوحد .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من شيم العاقل عند النائية تنوّه : أن يشاور
عاقلاً ناصحاً ذا رأي ثم يطيعه ، وليعترف للحق عند المشورة ، ولا يتأدى في الباطل
بل يقبل الحق ممن جاء به ، ولا يحقر الرأي الجليل إذا أتاه به الرجل الحقير ؛ لأن

اللولوة الخطيرة لا يشبهها قلة خطر غائصها الذي استخرجها ، ثم يستخر الله ،
وليمض فيما أشار عليه ، وقد أنشدني البغدادي :

أطع الحليم إذا الحليمُ عصاك إن الحليم إذا عصاك هذا
وإذا استشارك من تودُّ ، فقل له : أطع الحليم إذا الحليم نهاك
ولئن آيتَ لتأتينَ خلفه أرباباً يحوطك ، أو يكون هلاكاً
واعلم بأنك لن تسود ، ولن ترى سُبُل الرشاد إذا أطعت هواك

أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد المؤمن بجران ، حدثنا محمد بن حميد
البرزاز ، حدثنا جرير عن ابن المقفع عن وزير كسرى قال : ثلاثة ليس لهم رأى
فلا تستشيروهم : صاحبُ الخلف الضيق ، وحاقن البول ، وصاحب المرأة السوء
السليطة (١).

ذكر الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة

أنا الحسين بن محمد بن أبي معشر - بجران - حدثنا عبد الرحمن بن عمرو
البجلي ، حدثنا زهير بن معاوية عن سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد الليثي
عن نعيم الداري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين النصيحة ، قيل :
لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ، ورسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين
كافة ، وترك الخيانة لهم بالإخمار والقول والفعل معا ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم
كان يشترط على من بايعه من أصحابه « النصيح لكل مسلم » مع إقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة .

وأخبرني محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن الحسن الذهلي عن
أبي السائب قال : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه « لا تعمل بالخدعة فإنها
جُلُقُ اللئام ، واتَّحِصْ أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة ، وزُلْ معه حيث
زال » .

(١) السليطة : أي البديهة اللسان التي تكثر من قول السوء .

وأنشدني الكريزي :

قل للنصيح الذي أهدى نصيحته سرًّا إلينا ، وساءته التكليف
النصح ليس له حدٌّ فتعرفه والنصح مستوحش منه ومألوف
حتى إذا صرحتَ عنَّا عواقبه كانت لنا عِظَةً منه وتعنيف
لو كان للنصح حدٌّ يُسَبَّان به مانالنا حَسْرَةً منه وتلief
لكن له سُبُلٌ شَتَّى مخالفة بعضٌ لبعضٍ ، فجهول ومعرف
والناس غاوٍ ، وذو رشد ، ومختلط والنصح ممضٍ ، ومردود ، وموقوف

قال أبو حاتم رضى الله عنه : خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة ، كما أن خير الأعمال أحدها عاقبة ، وأحسنها إخلاصاً ، وضرب الناصح خير من نعمة الشانيء .

ويجب أن يكون للعاقل نصيحة مبذولة للعامة مكتوماً من العام والخاص ما قدر عليه ، وليس الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح له .

وأنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم التيمي ، حدثني أبي قال : « لما قدم على الكوفة لقيه المغيرة بن شعبة ، فقال له : إني أشير عليك برأى فاقبله ، قال : هات ، قل : أقرّ معاوية على الشام ؛ يسمح لك طاعته ، فإن أهل الشام قد ذاقوه فاستعذبوه ، ووليهم عشرين سنة لم يعتبوا عليه ، ولم يعتبوه في عرض ولا مال ، فقال : والله لو سألتني قرية ماوليته إياها ، قال : فقال المغيرة : أراه سبيلي أرضين وقرىات . »

وأنبأنا محمد بن المهاجر ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال « المؤمن شعبة من المؤمنين ، وهو مرآة أخيه ، إن رأى منه مالا يعجبه سدّده وقومه ونصحه السر والعلانية » وأنشدني هلى بن محمد البسلى :

أَمِنْتُ عَلَى السَّرِّ امْرَأَةً غَيْرَ حَازِمٍ وَلَكِنَّهُ فِي النَّصِيحِ غَيْرُ مَرِيْبٍ

فَدَاعَ بِهِ فِي النَّاسِ حَتَّى كَانُوا بَعْلَاءَ نَارٍ أَوْقَدَتْ بِتَقُوبِ
فَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نَصْحَهُ بَلِيبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بِنَصِيبٍ

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي
يقول : سمعت ابن الأعرابي يقول : قال بعض الحكماء « اثنان ظالمان : رجل
أهديت له النصيحة فاتخذها ذنباً ، ورجل وسع له في مكان ضيق فجلس متربعا »
قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة محاطة بالتهمة ، وليست النصيحة
إلا لمن قبلها ، كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ، ولا الآخرة إلا لمن طلبها ،
وليس على كل ذي نصح إلا الجهد ، ولولم يقبل من نصحائه ما يشقى عليه لم يحمد
غيب رأيه ، ومشاورة الأصم أحمد من الناصح المعرض عنه ، ومن بذل نصيحة لمن
لا يشكر كان كالباد في السباح ، وأكثر ما يوجد ترك قبول النصيحة من المعجب
برأيه ، وأنشدني الأبرش :

إِذَا نَصَحْتَ لَذِي عُجْبٍ لَتُرْشَدَ فَلَمْ يَطْعَكَ ، فَلَا تَنْصَحْ لَهُ أَبَدًا
فَإِنْ ذَا الْعَجْبِ لَا يَعْطِيكَ طَاعَتَهُ وَلَا يُجِيبُ إِلَى إِرْشَادِهِ أَحَدًا
وَمَا عَلَيْكَ ، وَإِنْ غَاوَ غَوَى حَقْبًا إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ قُرْبَى ، أَوْ يَكُنْ وَلَدًا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة تجب على الناس كافة على ما ذكرنا
قبل ، ولعلكن إبداءها لا يجب إلا سرا ؛ لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ،
ومن وعظه سرا فقد زانه ، فإبلاغ المجهود للمسلم فيما يزين أخاه أخرى من القصد
فيما يشينه .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الرمادى ، حدثنا على بن المدينى ،
حدثنا مسفيان قال : قلت لمِسْعَرٍ « تحب أن يخبرك رجل بعيوبك ؟ قال : أما أن
يحيىء إنسان فيؤبّخنى بها فلا ، وأما أن يحيىء ناصح فنعيم » .
أخبرنا محمد بن أبى على الخلالدى حدثنا محمد بن المغيرة النوفلى حدثنا محمد بن

على الشقيقى حدثنا أبى عن ابن المبارك قال « كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره فى ستر ، ونهاه فى ستر ، فيؤجر فى ستره ، ويؤجر فى نهيه ، فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره » .

أخبرنا محمد بن سعيد القزاز حدثنا محمد بن منصور حدثنى على بن المدينى عن سفيان قال : جاء طلحة إلى عبد الجبار بن وائل - وعنده قوم - فسارّه بشيء ، ثم انصرف ، فقال : أتدرون ما قال لى ؟ قال : رأيتك التفتّ أمس وأنت تصلى . قال أبو حاتم رضى الله عنه : النصيحة إذا كانت على نعت ما وصفنا تقيم الألفة ، وتؤدى حق الأخوة .

وعلاوة الناصح إذا أراد زينة المنصوح له أن ينصحه سراً ، وعلاوة من أراد شينه أن ينصحه علانية ، فليحذر العاقل نصحه الأعداء فى السر والعلانية .

ولقد أنشدنى ابن زنجى البغدادي :

فكم من عدو مُعلنٍ لك نصحه علانية ، والغش تحت الأضالع
وكم من صديق مرشدٍ قد عصيته فكنت له فى الرشد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب ؛ إنها سيبدو عليها كل سر وذائع
وأنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

وصاحبٍ غيرٍ مأمونٍ غوائله يبدى لى النصح منه وهو مشتمل
على خلاف الذى يُبدى ويظهره وقد أحطت بعلمى أنه دغيل
عفوت عنه انتظاراً أن يثوبَ له عقلٌ إليه من الزلات ينتقل
دهراً فلما بدا لى أن شيمته غش وليس له عن ذلك مُنتقل
تركته ترك قال لا رجوع له إلى مودته ما حبت الإبل^(١)

أخبرنا عبد الله بن محمد القيرواني حدثنا محمد بن يزيد الملقب يحمش حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا أبو حيان عن أبيه قال : كتب الربيع بن خيثم وصية :

(١) الإبل : لانتزك الحنين ، فهذه كناية عن دوام تركه إياه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الربيع بن خثيم ، وأشهد عليه . وكفى بالله شهيداً وجازياً لعباده الصالحين مثيباً ، إني رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وأن يعبد الله ^(١) من أطاعني في العابدين ويمجده في الحامدين ، وينصح لجماعة المسلمين » .

وصية الخطاب بن المعلی الخزومي ابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي عن الخطاب بن المعلی الخزومي القرشي : أنه وعظ ابنه فقال « يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعامله حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لا تخفى على الله خافية ، وإني قد وسمت لك وسمّاً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك ، واقاد لك به الصلوك ، ولم تزل مرتجى مشرفاً يُحتاج إليك ، ويُرغب إلى ما في يديك ، فأطع أباك ، واقتصر على وصية أبيك . وفرغ لذلك ذهبك ، واشغل به قلبك ولُبّك ، وإياك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ، فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحناء . وعليك بالرزانة والتوقر ، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والوقر صديقك وعدوك بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في جميع أمورك في أوسطها ؛ فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ، وأفش السلام ، وامش متمكناً قَصْداً ، ولا تخطّ برجلك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلوّ عنقك ، ولا ردائك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر الالتفات ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت فاقتصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلست فترجع ، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعَبَث بلحيتك وخاتمك ، وذؤابة سيفك

(١) في الأصل « وأن يعبد الله ومن أطاعني » والواو مقحمة .

وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ، وكثرة
التثاؤب والتعطى ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمرون به فيك .
وليكن مجلسك هادياً ، ومحدثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام الحسن ممن
حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة ولا إعادة ، وغضَّ عن الفكاهات
من المضاحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ، ولا جاريتك ،
ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت
عجباً بشيء منها طمع فيها السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمروا في عقلك ،
ولا تصنع تصنع المرأة ، ولا تبدل تبدل العبد ، ولا تهلب^(١) لحيتك ولا
تبطئها ، وتوق كثرة الحف ، وتغف الشيب ، وكثرة السكحل ، والإسراف في
الدهن ، وليكن كحك غيباً ، ولا تلجَّ في الحاجات ، ولا تخشع في الطلبات ، ولا
تعلم أهلك وولدك - فضلاً عن غيرهم - عدد مالك ، فإنهم إن رأوه قليلاً هُمّت
عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ، وأخفهم في غير عنف ، ولن لهم في
غير ضعف ، ولا تهازل أمتك . وإذا خاصمت فتوقرَّ ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب
من مجلتك ، وتفكر في حجتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر
الإشارة بيدك ، ولا تحفز على ركبتك ، وتوق حمرة الوجه ، وعرق الجبين
وإن سُفِه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، وألق
الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن استرسل
إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ، وكله بما يشتهي ،
ولا يحملنك ما ترى من إطفائه إياك ، وخاصته بك : أن تدخل بينه وبين أحد
من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن
سقطه الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض ، وزلة لا تقال ، وإذا وعدت

(١) هلب الشعر : نثف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الدفن
والحنك من الشعر .

فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به
 كتخافت الأخرس ، وتخبر محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع
 فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب ، وتقف
 لها الجلود ^(١) ، وإياك ومضعف الكلام ، مثل : نعم ، نعم ، لا ، لا ، وعجل ، وعجل ،
 وما أشبه ذلك ، وإذا توضأت فأجذعك كفئك ، وليكن وضعك الحرص ^(٢)
 من الأشنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنزع في الطست ، وليكن طرحك
 الماء من فيك مرسلا ، ولا تميمج فتنبضح على أقرب جلسائك ، ولا تعص نصف
 اللقمة ، ثم تعيد ما بقى منها منصغا ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على
 مائدة الملك ، ولا تعيث بالمشاش ^(٣) ، ولا تعب شيئا مما يقرب إليك على مائدة
 بقلة خل أو تابل أو غسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة . ولا تمسك إمساك
 المشبور ، ولا تبدر تبذير السفية المغرور ، واعرف في ملكك واجب الحقوق ، وحرمة
 الصديق ، واستغن عن الناس محتاجا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطمع ،
 والريبة — كما قيل — تدق الرقبة ، ورب أكلة تمنع أكالات ، والتعفف مال جسيم
 وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى
 في بعيد القعر . والصدق زين ، والكذب شين ، ولصدق يسرع عطب صاحبه
 أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ،
 ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، ولقرب ملك
 جواد ، خير من مجاورة بحر طراد ، وزوجة السوء الداء العضال . ونكاح العجوز
 يذهب بماء الوجه ، وطاعة النساء تزرى بالعقلاء .

تشبه بأهل العقل تكن منهم ، وتصنع للشرف تدركه .

(١) تقف لها الجلود : تقشعر .

(٢) الحرص — يزنه قفل أو عنق — الأشنان تغسل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) للمشاش — بزنة غراب — العظم الذي لامخ فيه .

واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه ، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ،
والمرء يعرف بقرينه ، وإياك وإخوان السوء . فإثمهم يخونون من رافقهم ، ويخونون
من صادقهم ، وقربهم أعدى من الحرب ، ورفضهم من استكمال الأدب ،
واستخفاف المستجير لؤم . والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهن .

والإخوان اثنان : فحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء ،
فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق العافية ، فإنهم أعدى الأعداء .

ومن اتبع الهوى ، مال به الردى ، ولا يعجبك الجهم من الرجال ، ولا تحقر
ضئيلاً كالخلال^(١) فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، ولا ينتفع به أكثر من
أصغريه .

وتوق الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادى ، ولا تفرش عرضك لمن
دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولا تكثر الكلام فتثقل
على الأقوام . وامنح البشر جليستك ، والقبول ممن لا فاك .

وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث . وإياك
والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً ، متعزلاً ، منتهراً في فرصتك ، رفيقاً في
حاجتك ، متثبتاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .
واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته ،
ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن
السواك من طبيعتك ، وإذا استكتب فعرضاً . وعليك بالعمارة ، فإنها
أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنارعتك اللثيم
تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل

(١) الخلال - بكسر الحاء ، بزنة الكتاب - العود الذى تخلل به الأسنان ،

يريد الرجل النحيف البالغ النحافة .

من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن
أيسر أكبر ، ومن افتقر احتقر . قصر في المقالة ، مخافة الإجابة ، والساعى إليك
غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ،
ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش
أمير ، والوقاح ^(١) وزير ، والحلم مطية الأحمق ، والحق داء لاشفاء له . والحلم خير
وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه
هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجر ، والشح شقاء ، والشجاعة بقاء ، والهدية
من الأخلاق السرية ، وهى تورث الحبة ، ومن ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن
المعروف ابتداء من غير مسأله ، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياء بخير
خير من معالنة بشر ، والعرق نزاع ، والعادة طبيعية لازمة : إن خيراً فخير ، وإن
شراً فشر ، ومن حل عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خرق بالإنسان ،
والقرار عار ، والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار فى دعة ، وكثرة العلل
من البخل ، وشر الرجال ، الكثير الاعتلال وحسن اللقاء ، يذهب بالشحناء ،
ولين الكلام ، من أخلاق الكرام .

يابنى ، إن زوجة الرجل سَكَنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا هممت
بنكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة .

واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات
بذاء مجبولة على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلها ، إن أكرمها
رأته لفضلها عليه ، لا تشكر على جميل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سيف
صقيل ، قد كشفت القصة ستر الحياء عن وجهها ، فلا تستحى من عوارها ،
ولا تستحى من جارها ، كلبة هرّارة ، مُهارشة عقّارة ^(٢) ، فوجه زوجها مكلوم ،

(١) الوقاح - بفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهى الإفراط فى سوء الأدب

(٢) هر الكلب هريراً : نبح . وعقارة : تعقر صاحبها كما يعقر الكلب .

وعرضه مشتوم ، ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحية ولا لكثرة بنين ، حجابها مهتوك ، وستره منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كثيبا . ويمسى عاتبا ، شرابه مر ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاه ، نهاره ليل ، وليله ويل ، تلذغه مثل الحية العقارة ، وتلسعُه مثل العقرب الجرامة .

ومنهن شفشليق شعشع سلفع^(١) ، ذات سم منقع ، وإبراق واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذى جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما فى يديه ، تصرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، وملا ولده ، وغث عيشه ، وهانت عليه نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الورهاء الحقاء^(٢) : ذات الدل فى غير موضعها ، الماضعة للسانها ، الآخذة فى غير شأنها ، قد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الزائع ، تنتشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يكنس لها بيت ، طعامها بائت ، وإناءها وضر^(٣) ، وعجينها حامض ، وماؤها فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها محروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ، المحبوبة فى جيرانها ، المحمودة فى سرها وإعلانها ، الكريمة التبعل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتا ، النظيفة بيتا ، خادمها مسمن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، موموقة مألوفة ، وبالعفاف والخيرات موصوفة .

(١) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المرى .

(٢) الورهاء : الحقاء ، وأصله من قولهم « سحابة ورهاء » أى كثيرة المطر .

(٣) الوضر - بفتح الواو والضاد - بقية الدسم والدهن فى الإناء ، والوضر - بكسر الضاد - الوصف منه .

جعلك الله يابني ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويحجب السخط ،
ويحب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى
العظيم ، وصلى الله على محمد نبي الهدى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين كافة

حدثنا أبو يعلى الموصلى حدثنا وهب بن بقية الواسطى حدثنا خالد بن عبد الله
عن عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهرى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لا تباغضوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا
عباد الله إخوانا » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد
ولا التدابر بين المسلمين ، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانا كما أمرهم الله ورسوله
فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه ، وإذا فرح فرح الآخر بفرحه ، ينفي الغش
والدغل ، مع استسلام الأنفس لله عز وجل ، مع الرضا بما يوجب القضاء فى
الأحكام كلها . ولا يجب الهجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما ، بل
يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق ، وترك الهجران .

ولقد حدثنى محمد بن المهاجر حدثنى موسى بن محمد الأخبارى عن النخعى
حدثنى محمد يحيى الكتانى قال : أنشدنى أبو غزيرة لمعاوية بن عبد الله بن جعفر :

لا يُرْهِدَنَّكَ فى أخ لك أن تراه زل زلّه

والمرء يطرحه الذين يلونه فى شر الله ^(١)

ويخونه من مأمّن أهل البطانة والدخلة ^(٢)

(١) « الألة » بفتح الهمزة - أصله الحربه والسلاح ، وأراد فى شر موضع .

(٢) « الدخلة » الدخيلة وباطن الأمر ، وأصلها بسكون الحاء فأتبع حركتها
حركة الدال .

والموت أعظم حادث مما يمر على الجيلة

أنشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدني حميد بن عياش :

ولا تلك في حب الأخلاء مفرطا فإن أنت أبغضت البغيض فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض حبيبك أو تهوى البغيض ، فاعقل

وأنشدني عمرو بن محمد بن عبد الله النسوي لثعلب :

وما صدود ذوات الدال يرمضني لكننا الموت عندي صد إخواني

إني لأصبر من عود به جلب عند الملمات إلا عند هجران^(١)

إذا رأيت ازورارا من أخي ثقة ضاقت عليّ برحب الأرض أوطاني

وأنشدني الأبرش :

أبل الرجال إذا أردت إخوانهم وتوسمن أمورهم وتفقد

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى فيه اليدين قرير عين فاشدد

فمتى يزل ، ولا محالة ، زلة فلي أخيك بفضل حلمك فاردد

وإذا انلخني نقض الحبي في مجلس ورأيت أهل الطيش قاموا فاقعد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج

يحدث الولد لإخوانه ، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذى يؤدى إلى الهجران

الذى نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عنه بينهم ، بل يقصد قصده الإغضاء عن

ورود الزلات ، ويتجرى ترك المناقشة على المفوات ، ولا سيما إذا قيل فى أحدهم

الشيء الذى يحتتمل أن يكون حقا وباطلا معا ، فإن الناس ليس يخلو وصلهم من

رشق أسهم العذال فيه .

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبى يقول : سمعت عبدالعزيز بن عبد الله يقول :

قال محمد بن حميد :

ومن ذا من عيوب الناس ناج بحق قيل فيه ، أو قراف^(٢)

(١) العود - بالفتح - الجمل المسن ، والجلب : القروح .

(٢) أقرفه بكذا وقرفه : اتهمه .

قبيح بي إذا خاللت خلا ولازم خلتي أن لا أكفى
وكل مودة لا خير فيها إذا لم تحمل حق المصافي
فأما في الكلام فكم وفي ولكن في الشدائد لا يوافي
إذا أحييت لم أنقض إخائي ولم أبن الإخاء على اعتساف
ولكن أمنح الكرماء ودًا ولا أدعو اللئام إلى العطاف
متى تقطع صديقك بعد وصل ولا تثبت ، فعهديك غير واف
إذا ما المرء أدبر لم تطقه وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول : سمعت محمد بن عبد الرحمن يقول : سمعت أبا عمار
الحسين بن حريث يقول : قيل لرجل : ألك عيوب ؟ قال : لا ، قيل له : فلك
من يلمسها ؟ قال : نعم ، قال : فما أكثر عيوبك !

قال أبو حاتم رضى الله عنه : السبب المؤدى إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة
أشياء : إما وجود الزلة من أخيه - ولا محالة يزل - فلا يغضى عنها ولا يطلب لها
ضدها ، وإبلاغ واشٍ يقدح فيه ، ومشى عاذل بثلب له ، فيقبله ولا يطلب لتكذيبه
سببًا ولا لأخيه عذراً ، وورود ملل يدخل على أحدهما ، فإن الملامة تورث القطع
ولا يكون للمول صديق .

ولقد أخبرني محمد بن أبي على الخلابي ، حدثنا محمد بن إبراهيم اليعمرى
حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم الأصبهاني أنشدني بعض أهل الأدب :
إن الملوثة ودّه مثل السراب يذم وردّه
أو كالسحاب الزائد البراق لم يصدقك وعدّه
أو كاللحام هزرتّه عند الضراب فكلّ حدّه (١)
لا تقبلن إخاءه فوعيد كذب ووعدّه
بيننا يودك رأى عينك إذ بدا لك منه صده

(١) كل حده : ضعف .

وتغيبت أخلاقه وأزور ، حتى مال خده

أنبأنا محمد بن يعقوب الخطيب بالأهواز حدثنا معمر بن سهل حدثنا إبراهيم
ابن بشار عن سفيان قال : كان لابن شبرمة أخ جفاه ، فكتب إليه :
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة
أيام ؛ فمن فعل ذلك كان مرتكباً لنهي النبي صلى الله عليه وسلم ، وخيرهما الذي
يهدأ بالسلام ، والسابق بالسلام يكون السابق إلى الجنة ، ومن هجر أخاه سنة
كان كسفك دمه ، ومن مات وهو مهجر أخاه دخل النار . إن لم يتفضل الله
عليه بعفو منه ورحمة ، وغاية ما يبيح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام .

ولقد أنشدني عبيد الله بن محمد الأماطي قال : أنشدني محمد بن الحسن :

ياسيدي عندك لي مظلمة فاستفت فيها ابن أبي خيثمة
فإنه يرويه عن شيخه قال : روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمة
إن صدود الخلل عن خله فوق ثلاث ربناً حرمة (١)

وأنشدني محمد بن شاه الأبيوردی بالموصل :

ماودني أحد إلا بذلت له صفو المودة مني آخر الأبد
ولا جفاني وإن كنت الحب له إلا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا ائتمنت على سر فبحث به ولا مددت إلى غير الجميل يدي
ولا أخون خليلي في خليلته حتى أغيب في الألفان والاحد
أنبأنا محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن عبد الله بن شجاع حدثنا محمد بن سماعة ،

(١) وفي غير الأصل بعد الأبيات :

وأنت منذ شهر لنا هاجر فيم نخاف الله فينا فله

قال : جئت يوماً إلى أبي علي المصري أسلم عليه ، قال : فبشّ بي واحتملني في حَجْرِهِ ، ثم قال :

حسبي بوصلك في حياتي لذّة ورضيتُ في ذاك المعاد ثوابا
لو كنتَ رزقي ما أردتَ زيادة ولقلتُ أحسنَ خالقي وأطابا

ذكر الحث على لزوم الحلم عند الأذى

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لالحليم إلا ذو عَثْرَةٍ ، ولا عليم إلا ذو تجربة » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر في الضرب الذي ذكرت في كتاب « فصول السنن » بأن العرب تُضيف الاسم إلى الشيء للقرب من التمام ، وتنفي الاسم عن الشيء للنقص من الكمال ، فلما كان الغالب على المرء أن لا يكون حليماً حتى يكون ذا عَثْرَةٍ نفى النبي صلى الله عليه وسلم اسم الحليم عن من لم يكن بذى عَثْرَةٍ ، لنقصه عن الكمال .

فالحليم عظيم الشأن ، رفيع المكان ، محمود الأمر ، مرضى الفعل .
والحلم : اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ماتحب إلى مانهى عنه .

فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتَّكَبُّتُ ، ولم يقرن شيء إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة .

والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ببغداد حدثنا يحيى ابن معين قال : حدثنا الحسن بن واقع عن ضمرة قال « الحلم أرفع من العقل ؛ لأن الله تبارك وتعالى تسمى به » .

وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

ألم تو أن الحلم زينٌ مُسَوَّدٌ لصاحبه والجهلُ للمرء شائنٌ
فكن دافئاً للشر بالخير تسترحُ من الهم ، إن الخير للشر داقن

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :

إذا شئت يوماً أن تسود عثمرة فبالحلم سُدْ ، لا بالتسرع والشم
والحلم خيرٌ - فاعلمن - مُعَبَّةٌ من الجهل ، إلا أن تُشْرِسَنَ من الظم^(١)

وأنشدني علي بن محمد البساحي :

فارض بما حُمَّ من قضاء يُصَبِّكَ من ذلك الخيل
وعش حميداً ، رَحِيَّ بال ما زانَكَ الحلم والوقارُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن من نفاسة اسم « الحلم » وارتفاع قدره :
أن الله جل وعلا تسمى به ، ثم لم يُسمَّ بالحلم في كتابه أحداً إلا إبراهيم خليله
وإسحاق ذبيحه ، حيث قال (٩ : ١١٤) إن إبراهيم لأواهٌ حلِيمٌ) وقال :
(٣٧ : ١٠١) فبشرناه بغلام حلِيمٍ^(٢)

ولولم يكن في الحلم خصلة محمد إلا ترك اكتساب المعاصي ، والدخول في
المواضع الدنسة لكان لواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله
سبيلاً .

والحلم : سَجِيَّةٌ ، أو تجوُّبَةٌ ، أو هاء .

(١) يعني أن الظالم المعتدى لا يتألم به الحلم معه ، فلا ينبغي أن يعامل إلا بالشراسة
التي تردعه .

(٣) هذه الآية من سورة الصافات ، والسياق فيها واضح جداً بأنه إسماعيل ، فإنه
سبحانه وتعالى بعد أن ساق قصة الدييخ وصبره وصبر أبيه ورضاهما التام عن ربهما
وأمره ونجاحهما في هذا البلاء العظيم - قال تعالى (٣٧ : ١٠٩ - ١١٣) هَلُمَّ عَلَى
إِبْرَاهِيمَ ، كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إنه من عبادنا المؤمنين ، وبشرناه بإسحاق نبياً
من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) =

حدثنا أبو حمزة محمد بن عمر بن يوسف حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي
حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان
يقول « لا حلم إلا بالتجربة » .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصاري :

صافِ الصديق بُودَّه وإذا دنا شبراً فردَّه
واحلم إذا نطق السفيه ، فمن يُردُّ جهلاً يجده
أبناؤنا محمد بن علي الصيرفي بالبصرة حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا أبو عوانة
عن عبد الملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء قال « إنما العلم بالتعلم ،
وإنما الحلم بالتعلم ، ومن يتوخَّ الخير يُعطه ، ومن يتوق الشر يُوقه » .
وأنشدني السكري :

إذا أنا كافيت الجهول بفعله فهل أنا إلا مثله ، إذ أحاوره ؟
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش على ، فإني بالتعلم قاهره
أبناؤنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار حدثنا يحيى بن معين حدثنا عثمان
ابن صالح حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، أن رجلاً كتب إلى أخ له :
اعلم أن الحلم لباسُ العلم . فلا تعرَّين منه .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة ، فإن صُعب
ذلك عليه فليتحالم ؛ لأنه يرتقى به إلى درجة الحلم .

وأول الحلم : المعرفة ، ثم التثبت ، ثم العزم ، ثم التصبر ، ثم الصبر ، ثم
الرضا ، ثم الصمت والإغضاء ، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء ، فأما من
أحسن إلى الحسن ، وحلمَ عن لم يؤذه ، فليس ذلك بحلم ، ولا إحسان .

= والعجب العاجب أن يخفى هذا على ابن حبان وغيره ، حتى يقولوا : إن الذبيح
إسحاق ، مقلد في ذلك أهل الكتاب ، من غير بيان حجة . ثم غافلين عن النصوص
القرآنية الصريحة . وبالأخص في هذه السورة بهذا السياق البين .

ولقد أنبأنا محمد بن عثمان العقبى حدثنا إسحاق بن زكريا حدثنا عبد الصمد ابن حسان حدثنا أبو عمر المازني عن وهب بن منبه، أنه قال : يا بني لا تجادلن العلماء فتَهونَ عليهم فيرفضوك ، ولا تمارينَّ السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، فإنه يلحق بالعلماء من صبر ورأى رأيهم ، وينجو من السفهاء من صمت وسكت عنهم ، ولا تحسبن أنك إذا ماريت الفقيه إلا زدته غيظاً دائماً ، ولا تحمينَّ من قليل تسمعه فيوقعك في كثير تكرهه ، ولا تفضح نفسك لتشفى غيظك ، فإن جهل عليك جاهل فلينفعنَّ إياك حاكمك ، وإنك إذا لم تحسن حتى يحسن إليك فما أجرك ، وما فضلك على غيرك ؟ فإذا أردت الفضيلة فأحسن إلى من أساء إليك ، واعف عن ظلمك ، وانفع من لم ينفعك ، وانتظر ثواب ذلك من قبل الله ، فإن الحسنة الكاملة : التي لا يريد صاحبها عليها ثواباً في الدنيا .

وأنشدني محمد بن حبيب الواسطي :

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى حياء ، ولم يغفر لأخرق مذنب
فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب
وأنشدني عبد العزيز بن سليمان الأبرش :

احفظ لسانك إن لقيت مشاماً لا تجرينَّ مع اللئيم إذا جرى
من يشتري عرض اللئيم بعرضه يحوى الندامة حين يقبض ما اشتري

أنبأنا إبراهيم بن نصر العنبري حدثنا علي بن الأزهر الرازي حدثنا إبراهيم ابن رستم قال : سمعت ابن المبارك يقول : دعانا عبدالله بن عون إلى طعامه ، فكنا نأكل ، فجاءت الخادم ومعهما صحفة ، فمئرت في ثوبها ، فسقطت الصحفة من يدها فقال لها ابن عون : مترس آزادي ^(١) .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : قال محمد بن

(١) معناه بالفارسة : لا تخافي ، أنت حرة .

السعدى لابنه عروة ، لما ولى اليمن : إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك ، وإلى الأرض تحتك ، ثم عظم خالقهما .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا غضب واحتد أن يذكر كثرة حلم الله عنه ؛ مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته ، ثم يحلم ، ولا يخرج غيظه إلى الدخول فى أسباب المعاصى .

والناس على ضروب ثلاثة : رجل أعز منك ، ورجل أنت أعز منه ، ورجل ساواك فى العز ؛ فالتجاهل على من أنت أعز منه لئوم ، وعلى من هو أعز منك جنف ، وعلى من هو مثلك هراش كهراش الكلبين ، ونقار كنفار الديكين ، ولا يقتربان إلا عن الخدش والعقر والهجر ، ولا يكاد يوجد التجاهل وترك التحام إلا من سفهين ، ولقد حسن الذى يقول :

ماتمَّ حلمٌ ولا علمٌ بلا أدبٍ ولا تجاهلٌ فى قومٍ حلبيانِ
وما التجاهلُ إلا ثوبٌ ذى دفسٍ وليس يلبسهُ إلا سفهيانِ
وأنشدنى ابن زنجى البغدادى :

وما شئٌ أسرُّ إلى لئيمٍ إذا شتم الكرام من الجواب
متلوكة اللئيم بلا جواب أشدُّ عليه من مرِّ العذاب
وأنشدنى الكرىزى :

تجرد ما استطعت من الفيه يحسن الحلم ، إن العز فيه
فقد يعصى للسفيه مؤدييه ويبرم باللجاجة منصفيه (١)
تلين له ، فيغلظ جانباه كغير السوء يرمح عالفيه (٢)

أبناؤنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا الحسن بن محمد الأزدى الكوفى ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث عن أبيه قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد ، ورجل

(١) أبرمه باللجاجة : أى غاظه بكثرة الماحلة والتمادى فى السفه والجهل . وبلغ فى الأمر : أوغل فيه وزاد . (٢) الثير : الحمار ، ورمح : يعنى رفس .

يشكو رجلا عنده ، قال لى كذا ، وفعل لى كذا ، فقال له جعفر : من أكرمك
فأكرمه ، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ماضٍ شئ إلى شئ هو أحسن من حلم إلى علم ،
وما عدم شئ في شئ هو أوحش من عدم الحلم في العلم ، ولو كان للحلم أبوان
لكان أحدهما العقل والآخر الصمت ، وربما يدفع العاقل الوقت بعد الوقت إلى
من لا يرضيه عنه الحلم ، ولا يقنعه عنه الصمت ؛ فحينئذ يحتاج إلى سفيه ينتصر
له ؛ لأن ترك الحلم في بعض الأوقات من الحلم .

ولقد حدثني محمد بن المنذر ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن
ابن إبراهيم ، حدثنا الوليد عن سعيد بن عبد العزيز ؛ أن رجلا استطال على
سليمان بن موسى ، فسكت سليمان وانتصر له أخوه ، قال : فقال مكحول : ذلَّ
من لاسفيه له .

حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى ، حدثنا الغلابى ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن
ابن القاسم عن أبيه قال : قال أبو حنيفة لشيخ الطائفة (١) : ماتقول فى المتعة ؟
قال : حلال ، قال : فيسرُّك أن أملك تزوجت متعة ؟ فسكت عنه ساعة ، ثم قال
يا أبا حنيفة ، ماتقول فى النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : وشر به وبيعه وشرأوه ؟
قال : نعم ، قال : فيسرُّك أن أملك نبيذاً ؟ قال : فسكت عنه أبو حنيفة .

أنشدنى على بن محمد البسامى :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعداً وخيرت : أنى شئت فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ولم يرض منك الحلم فالجهل أفضل

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

إذا أمن الجهال جهلك مرة فعرصك للجهال غمٌّ من الغم

فعمَّ عليه الجهل والحلم والقهمة بمرتبة بين العداوة والسلم

(١) شيطان الطاق : شاعر رافضى مشهور .

فيرجوك تارات ، ويخشاك تارة وتأخذُ فيما بين ذلك بالحزم
حدثنا محمد بن عثمان العقبي ، حدثنا يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا
أبو مسهر ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال : لا حلم لمن لا جاهل له
وحدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قال
المأمون : يحسنُ بالملوك الحلم عن كل أحد ، إلا عن ثلاثة : قادح في ملك ،
أو مذيع لسر ، أو متعرض لحرمة .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الحلم على ضربين :
أحدهما : ما يرد على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن الله بها
عباده ، فيصبر العاقل تحت ورودها ، ويحلم عن الخروج إلى ما يليق بأهل العقل .
والآخر : ما يرد على النفس بضد ما تشتهي من الخلقين ، فمن تعود الحلم
فليس بمحتاج إلى التصبر ، لاستواء العدم والوجود عنده .

كما حدثنا أبو حمزة محمد بن يوسف بن عمر بنسا ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم
الدورقي حدثنا عبد الله بن صالح العجلي قال : سمعتُ ابن أبي عتبة يقول :
قيل للاحنف بن قيس التيمي ، ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم
التيمي ، أتاه آت وهو محبب ، فقال : ابن أخيك قتل ابنك ؟ قال : عصى ربه ،
وفتَّ عَصُده ، وقطع رحمه ، جهزوه ، وما حلَّ حُبُوته ، فنه تعلمت الحلم .
حدثنا محمد بن شاذ الهاشمي ، حدثنا أحمد بن الخليل البغدادى ، حدثنا
على بن الحسين بن شقيق ، أخبرنا عبد الله عن جعفر بن سليمان قال : كانت
امرأة بالبصرة متعبدة تصيبها المصائب ، فتفكر من صبرها ، حتى أصابها مصيبة
موجعة ، فصبرت ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : ما من مصيبة تصيبني فأذكر
معها النار إلا صارت في عيني مثل التراب .

حدثنا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي بالبصرة ، حدثنا عمرو بن إسحاق بن
خلاد الجهمي ، حدثنا خالد بن خراش ، حدثنا وهب عن بكر بن مُضر

قال : كان أبو الهيثم مات ولده ، وبقى له بُنَى صغير ، فمات ، فأثناء إخوانه يعزونه ، وهو في ناحية المسجد ، فقال لهم : تركني حزن يوم القيامة لا آسى على شيء فانتى ، ولا أفرح لما أتانى .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا القاسم بن الحسن الزبيدي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : مات ابن لشريح ، فلم يصيحوا عليه ، ولم يشعر به أحد ، فقيل له : يا أبا أمية ، كيف هو ؟ قال : قد سكن عِلْزُهُ ^(١) ورجاه أهله ، ولم يكن منذ اشتكى أسكن منه الليلة .

ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور ، وكرهية العجلة فيها

حدثنا محمد بن صالح الطبري بالضمير ، حدثنا عبد الجبار بن العلاء العطار حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى حَظَّهُ من الرفق فقد أُعْطِيَ حَظَّهُ من الخير ، ومن مُنِعَ حظه من الرفق فقد منع حظه من الخير » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخِفة فيها ؛ إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ، ومن مُنِعَ الرفق منع الخير ، كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يُحِبُّ إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة .

وأنشدني المنتصر بن بلال الأنصارى :

الرفق يُمن سبيلَ اليُمنِ صاحبه وألحرق منه يكون العُنفُ والزُلُّ
والحزم أن يتأنى المرء فرصته والكف عنها إذا ما أمكنت فشلُّ

(١) العلز - محركة - قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمختصر .

والبرُّ لله خيرُ الأمرِ عاقبةً والله للبرِّ عونٌ ماله مثل
خيرُ البرية قولاً خيراً عملاً لا يصلح القول حق يصلح العمل
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه والخرق أشأم شيء يقدم الرجال
وذو الثبوت من حمد إلى ظفر من يركب الرفق لا يستحق الزلا
حدثنا محمد بن أبي علي الخلابي ، حدثنا محمد بن خلف الباسي عن أحمد
ابن موسى الأزرق أنه أنشده :

وزن الكلام إذا نطقت ، فإنما يهدى العقول أو العيوب المنطقُ
لا ألفينك ثاوياً في غربة إن الغريب بكل سَهْم يُرْشَقُ
لو سار ألف مُدَجِّج في حاجة لم يقضها إلا الذي يترفق
قال أبو حاتم رضي الله عنه : العاقل يلزم الرفق في الأوقات ، والاعتدال
في الحالات ؛ لأن الزيادة على المقدار في البتغي عيب ، كما أن النقصان فيما يجب
من المطلب عجز ، ومالم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف . ولا دليل أمهر من رفق ،
كما لا ظهير أوثق من العقل ، ومن الرفق يكون الاحتراز ، وفي الاحتراز ترجى
السلامة . وفي ترك الرفق يكون الخرق ، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة .
ولقد أنشدني الأبرش :

عليك بوجه القصد ، فاسلك سبيله ففي الجور إهلاك ، وفي القصد مسلك
إذا أنت لم تعرف لنفسك قدرها تُحْمَلُهَا مالا تطيق قهرك
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الرافق لا يكاد يسبق ، كما أن العجل لا يكاد
يلحق ، وكما أن من سكت لا يكاد يندم ، كذلك من نطق لا يكاد يسلم
والعجل يقول قبل أن يعلم ، ويحجب قبل أن يفهم ، ويحمد قبل أن يجرب ،
ويذم بعد ما يحمد ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويمضي قبل أن يعزم ، والعجل تصحبه
الندامة ، وتعتزلة السلامة ، وكانت العرب تكني العجلة : تأم النداميات .

ولقد أنشدني بعض أهل العلم :

العجز ضرٌّ ، وما بالحزم من ضرر وأحزم الحزم سوء الظن بالناس
لا تترك الحزم في أمر تحاذره فإن أمنت فما بالحزم من بأس
أخبرنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب قال :
كان يقال : لا يوجد العجول محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ،
ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا إخوان .

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا ما أتيت الأمر من غير باب تصعب ، حتى لا ترى فيه مَرَّتَقِي
وإن الذي يصطاده الفتح إن عتا على الفتح كان الفتح أعتى وأضيقا
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة تكون من الحدة ، وصاحب العجلة
إن أصاب فرصته لم يكن محموداً ، وإن أخطأها كان مذموماً ، والعجل لا يسير
إلا مناكباً للقصد ، منحرفاً عن الجادة ، يلتبس ما هو أنكد وأوعر وأخفى مساراً ،
يحكم حكم الورهاء ، ويناسب أخلاق النساء .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق
قال : قال خالد بن برمك : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق
أن لا ينزل به كبير مكروه : العجلة ، واللجاجة ، والعجب ، والتواني ، فثمرة
العجلة الندامة ، وثمره اللجاجة الحيرة ، وثمره العجب البغضة ، وثمره التواني الذل .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العجلة موكل بها الندم ، وما عجل أحد إلا
اكتسب ندماً ، واستفاد مذمة ؛ لأن الزلل مع العجل ، والإقدام على العمل
بعد التأني فيه أحزم من الإمساك عنه بعد الإقدام عليه ، ولا يكون العجول محموداً
أبداً ، والعاقل يعلم أن العجز في الأمور يقوم في النقص مقام الإفراط في السعي
فيتجنبهما معاً ، ويعمل لنفسه مسلماً بينهما .

ولقد حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب

حدثني إبراهيم بن عاصم قال : سمعت صدقة يقول : سمعت الشمر دل يقول :
نكح العجز التواني ، فولد الندامة .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : سبب النجاح ترك التواني ، ودواعى الحرمان
الكسل ، لأن الكسل عدو المروءة ، وعذاب على الفتوة ، ومن التواني والعجز
أنتجت الهلكة ، وكما أن الأناة بعد الفرصة أعظم الخطأ كذلك العجلة قبل
الإمكان نفس الخطأ ، والرشيد من رَشِدَ عن العجلة ، والخائب من خاب عن
الأناة ، والعجل مخطئ أبداً ، كما أن المتثبت مصيب أبداً .

حدثني محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا محمد بن الحسن المصرى حدثني نعيم
ابن حماد حدثنا ابن المبارك حدثنا معمر قال : كتب عمرو إلى معاوية يعاتبه في
الثانى « أما بعد ، فإن التفهم فى الخير زيادة ورشد ، وإنه من لا ينفعه الرفق
يضره الخرق ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعانى - أو قال : المعالى -
ولا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وتصبره شهوته ، ولا يدرك
ذلك إلا بقوة الحلم » .

وأنشدنى محمد بن حبيب الواسطى :

بني إذا ماساقلك الضر فأتشد فلرفق أولى بالأريب وأحرز
فلا تحمين عند الأمور تعزراً فقد يورث الذل الطويل التعرز
أخبرنى محمد بن المنذر حدثنا إسماعيل بن إسحاق حدثنا سليمان بن حرب
حدثنا حماد عن أيوب قال : قال أكنم بن صئفى : مايسرنى أنى نزلت بدار
معجزة ، فأسمنت وألبنت^(١) ، قيل له : لم ؟ قال : لاني أخاف أن أتخذ العجز عادة .
وأنشدنى المنتصر بن بلال :

وعليك فى بعض الأمور صعوبة والرفق للمستعصبات مدان
وبحسن عقل المرء يثبت حاله وعلى المغارس تثمر العيدان

(١) أسمنت : صرت ذا سن . وألبنت : صرت ذا لبن .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق عن عبد الله ابن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية شهادة ، فقال معاوية : كذبت ، فقال الأعرابي : إن الكاذب للمُتملُّ في ثيابك ، فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل .

ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة

حدثنا الحسين بن إدريس الأنصاري أنبأنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من البيان لسحراً » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد شبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر البيان بالسحر ؛ إذ الساحر يستميل قلب الناظر إليه بسحره وشعوذته . والفصيح الذَّربُ اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه ، فالأنفس تكون إليه تائقة ، والأعين إليه راقمة .

ولقد حدثنا أبو خليفة حدثنا أبو محمد التوزي البغوي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا حبان بن علي قال : سمعت ابن شبرمة يقول : مارأيت لباساً على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة أحسن من شحم ، وإن الرجل ليتكلم فيعرب ؛ فكان عليه الخرز الأدكن ، وإن الرجل ليتكلم فيلحن فكان عليه أسمالاً ^(١) وإن أحببت أن يصغر في عينك الكبير ، ويكبر في عينك الصغير ؛ فتعلم النحو وأنشدني الكريزي :

أكرم بذى أدب أكرم بذى حسب	فإنما العزم في الأحساب والأدب
والناس صنفان ذو عقل وذو أدب	كعدن الفضة البيضاء والذهب
وسائر الناس من بين الورى همج	كانوا موالى أو كانوا من العرب
وأنشدني البسامي :	

(١) الأسمال : الثياب البالية .

ليس المسودُّ مَنْ بالمالِ سوِّدده بل للمسود من قد ساد بالأدب
لأن من ساد بالأموال سوِّدده مادام في جمع ذى الأموال والنسب
إن قلَّ يوماً له مال يصير إلى هُون من الأمر في ذل وفي تعب
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل ، وأحسن
إزار يتز به العاقل ، والأدب صاحب في الغربة ، ومؤنس في القلة ، وزين في
الحافل ، وزيادة في العقل ، ودليل على المروءة ، ومن استفاد الأدب في حديثه
انتفع به في كبره ؛ لأن من غرس فسيلاً ^(١) يوشك أن يأكل رططها ،
وما يستوى عند أولى النهى ، ولا يكون سيان عند ذوى الحجبى : رجلان :
أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن .

وقد حدثنا الحسين بن محمد بن مصعب السمجى حدثنا أبو داود حدثنا
عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبى عن سالم بن قتيبة قال : كنت عند
ابن هبيرة فخرى الحديث ، حتى ذكروا العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان
حسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن ، إلا أن
أفضلهما في الدنيا والآخرة الذى لا يلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ! هذا
أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعريته ، رأيت الآخرة ، ما باله فضل فيها ؟ قال :
إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل ، والذى يلحن يجعله لحنه على أن يدخل في
كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه . قال : قلت : صدق الأمير وبر .
وأشدنى محمد بن عبد الله البغدادي :

أيها الطالب فخرأ . بالنسب إنما الناس لأم ولأب
هل تراهم خلقوا من فضة أو حديد أو نحاس أو ذهب ؟
أو ترى فضلهم في خلقهم هل سوى لحم وعظم وعصب ؟
إنما الفضل بحلم راجح وبأخلاق كرام وأدب

ذلك مَنْ فَاخِرَ فِي النَّاسِ بِهِ فَاقَ مِنْ فَاخِرِ مِنْهُمْ وَغَلَبَ
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ نُوفَلٍ أَنْشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَكَّارٍ إِمَامَ
مَسْجِدِ مَكَّةَ :

مَا حُلَّةٌ نُسِجَتْ بِالذَّرِّ وَالذَّهَبِ إِلَّا وَأَحْسَنَ مِنْهَا الْمَرْءُ بِالْأَدَبِ
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلَّادِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَسْرُوقِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
الْحُسَيْنِ الْبَرْجَلَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الْعُمَرِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مَرْدَاسٍ عَنْ
أَبِيهِ قَالَ : قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ حُكَّاءِ الْفَرَسِ : أَقْرَبُ الْقِرَابَةِ الْمُوَدَّةُ الدَّائِمَةُ ، وَأَفْضَلُ
مَا وَرِثَ الْآبَاءُ الْإِبْنَاءُ حَسَنَ الْأَدَبِ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَفْضَلُ مَا وَرِثَ أَبُ إِبْنَاءُ ثَنَاءٍ حَسَنٍ وَأَدَبٍ نَافِعٍ ،
وَالْخُرْسُ عِنْدِي خَيْرٌ مِنَ الْبَيَانِ بِالْكَذِبِ ، كَمَا أَنَّ الْخُصُورَ خَيْرٌ مِنَ الْعَاهِرِ .
فَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ قَلْبَهُ بِالْأَدَبِ ، كَمَا يَذْكُرُ النَّارَ بِالْخَطْبِ ؛ لِأَنَّ
مَنْ لَمْ يَذْكُرْ قَلْبَهُ رَانَ حَتَّى يَسْوَدَّ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْأَدَبَ فَلَا يَتَّخِذُهُ لِلْمَهَارَةِ عُدَّةً ،
وَلَا لِلْمُبَارَاةِ مَلْجَأً ، وَلَكِنْ يَقْصِدُ قَصْدَ الْإِتْقَاعِ بِنَفْسِهِ ، وَلَيْسْتَ تَعْنِي بِهِ عَلَى
مَا يَقْرِيهِ إِلَى بَارئِهِ .

وَلَقَدْ أَنْشَدَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَبْرَشُ :

أَدَبُ الْمَرْءِ كُلُّهُمُ وَدَمٍ مَا حَوَاهُ رَجُلٌ إِلَّا صَلَاحُ
لَوْ وَوُتِمَ رَجُلًا ذَا أَدَبٍ بَالُوفٍ مِنْ ذَوِي الْجَهْلِ رَجَحُ
أَنْبَاءَنَا أَحْمَدُ بْنُ بَشْرِ الْكُوخِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطَّابِ حَدَّثَنَا رُسْتَه
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ يَقُولُ : مَا نَدِمْتُ عَلَى شَيْءٍ
نَدِمْتُ أَنْيَ لَمْ أَنْظُرْ فِي الْعَرَبِيَّةِ .

سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْقَاضِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ أَخِي
الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَعْمَى يَقُولُ : تَعَلَّمُوا النُّحُو ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَفَرُوا بِكَلِمَةِ

واحدة ، كانت مشددة فخففوها : قال الله « يا عيسى إني ولدتك » فقرأوا يا عيسى
إني ولدتك مخفف فكفروا .

حدثنا الحسن بن إسحاق الإصبهاني حدثنا أبو أمية حدثنا عبد الله بن صالح
حدثنا أبو زيد النحوي قال : جاء رجل إلى الحسن ، فقال : ماتقول في رجل
ترك أبيه وأخيه ؟ فقال الحسن : ترك أباه وأخاه ، قال الرجل : فما لأباه ولأخاه ؟
فقال الحسن : فما لأبيه ولأخيه ، فقال الرجل : كلما تابعتك خالفت .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا زينة أحسن من زينة الحسب ، كما أن من
أجل الجمال استعمال الأدب ، ولا حسن لمن لا أدب له ، ومن كان من أهل
الأدب ممن لا حسب له يبلغ به أدبه مراتب أهل الأحساب ؛ لأن حسن الأدب
خلف من الحسب ، وليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ، ولا البلاغة
إلا تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة
والغرارة عند الإطالة ، وأحسن البلاغة وضوح الدلالة ، وحسن الإشارة .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت أبا داود السنجي
يقول : سمعت الأصمعي يقول : ليست البلاغة بحفة اللسان ، ولا كثرة الهذيان ،
ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة ، وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروى
المجدع ، ولا البدوى المعرب .

وأنشدني الكريزي :

ولم أر فضلاً تَمَّ إلا بشيمة ولم أر عقلاً صح إلا على أدب

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

حدثنا عمر بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي قال : قال
المدائني : ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة رجل ، فقال : إني لأكره
أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه ، كما أكره أن يكون مقدار علمه
فاضلاً على مقدار عقله .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر ، والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر ، إلا أن بعضه أفضل من بعض ، ومنه ما يكون مثل الخرف والحجر والتراب والمدّر ، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم ؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث ، وخوضهم فى أنواع العلوم .

ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل يقول : سمعت أبا داود السنجي أو حدثني سهل بن هاني عنه ، قال : سمعت الأصمعي يقول : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لحائناً ، ولم يلحن فى حديثه ، فهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه .

وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

ليس الفقى كلُّ الفقى إلا الفقى فى أدبه
وبعضُ أخلاق الفقى أولى به من نسبه
حنفُ امرئٍ لسانه فى جدّه أو لعبه
بين اللهى مقتله رُكَّبَ فى مركبه .

سمعت أحمد بن الخطاب بن مهران بتُسْتَرِ يقول : سمعت عثمان خُرَزَادَ يقول : سمعت على بن الجعد يقول : سمعت شعبة يقول : مثل الذى يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الدابة عليها الحلالة ، ليس فيها شيء .

ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ابن بنت الحسن بن عيسى بن ماسر جيسَ حدثنا جدى حدثنا ابن المبارك أنبأنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ياعمرو نِعِمَّا المال الصالح للرجل الصالح » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : هذا الخبر يصرح عن النبي صلى الله عليه وسلم بإباحة جمع المال من حيث يجب ، ويحل للقائم فيه بحقوقه ؛ لأن في تقريره الصلاح بالمال والرجل معاً بياناً واضحاً ؛ لأنه إنما أباح في جمع المال الذى لا يكون بمحرم على جامعته ، ثم يكون الجامع له قائماً بحقوق الله فيه ، ولقد ذكرت هذه المسألة بتأملها بالعلل والحكايات في كتاب « الفضل بين الغنى والفقر » بما أرجو الغنية فيها لمن أراد الوقوف على معرفتها ، فأغنى ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

أنشدنى منصور بن محمد الكريزى :

إذا كان ما جمعت ليس بنافع فأنْتَ وأقصى الناس فيه سواء
على أن هذا خارجٌ من أئامه وأنت الذى تجزى به وتساء
أنا أنا محمد بن سليمان بن فارس حدثنا الحسن بن محمد بن الصلاح حدثنا
أبو عياد حدثنا شعبة عن قتادة قال : سمعت مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير
يحدث عن حكيم بن قيس بن عاصم عن أبيه أنه أوصى بنيه عند موته ، فقال :
عليكم بالمالك واصطناعه فإنه منبجة للكريم ، ويستغنى به عن اللئيم ، وإياكم
ومسألة الناس ؛ فإنها كسب الرجل .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن ما ينتفع المرء [به] فى عمره وبعد
المات تقوى الله والعمل الصالح .

فالواجب على العاقل أن يعمل فى شبابه فيما يقيم به أودَّه ، كالشيء الذى
لا يفارقه أبداً ، وفيما يصلح به دينه كالشيء الذى لا يمحده غداً ، وليكن تعاوده
للملئمة ما يصلح به معاشه ، ويصون به نفسه ، وفى دينه ما يقدم به لآخرته ، ويرضى
به خاتمه ، والفاقة خير من الغنى بالحرام ، والغنى الذى لا مروءة له أهون من
الكلب ، وإن هو طوقَ وخُلِجِل .

حدثنى محمد بن عثمان العقبى حدثنا عمران بن موسى بن أيوب حدثنى أبى

حدثني عيسى بن يونس عن محمد بن سُوقة عن محمد بن المنسكدر قال : نعم العون على تقوى الله العفى .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

أرى كلَّ ذى مال يسود بـمـاله وإن كان لا أصلٌ هناك ولا فصلُ
وآخرَ منسوباً إلى الرأى خاملاً وأنوكَ مجهولاً ، له الجاهُ والنُّبُلُ
فلا ذا بفضل الرأى أدرك بُلغةً ولم أرَ هذا ضَرَّهُ التَّوَكُّ والجلُّ
وأنشدني منصور بن محمد الكريزي ليحيى بن أكرم :

إذا قلَّ مال المرء قلَّ بهـاؤه وضائق عليه أرضه وسماؤه
وأصبح لا يدري ، وإن كان حازماً أقدَّامه خيرٌ له أم وراؤه
ولم يَمْضِ في وجهه من الأرض واسع من الناس إلا ضاق عنه فضاؤه
وأصبح مردوداً عليه مقالُه وكان به قد يَتَسَدَّى خطبـاؤه
وإن يَبْقَ لم يَضُرُّ عدواً بقاؤه وإن يَفْنَ لم يَفْقِدْ خَيرَ فَنـاؤه

حدثني محمد بن المهاجر حدثنا أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي شيخ
حدثني الزبيرى قال : مر عمر بن الخطاب بمحمد بن مَسْلَمَةَ وهو يغرس
وَدِيًّا^(١) ، فقال : ماتصنع يا ابن مسلمة ؟ قال : ماترى ، أستغنى عن الناس ، كما
قال صاحبكم أحيحة بن الجلاح :

استغن ، أو مت فلا يغرُّرك ذونسبٍ من ابن عم ، ولا عم ، ولا خال
إنى أظلل على الزوراء أعمرها إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال
أنبأنا محمد بن المنذر حدثنا علي بن عبد الرحمن عن عبدان قال : دخلت على
عبد الله بن المبارك ، وهو يبيك ، فقلت له : مالك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : بضاعة
لي ذهبت ، قال : قلت : أو تبكى على المال ؟ قال : إنما هو قوام ديني .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أسعد الناس من كان في غناه عفيفاً .

(١) الودى - بفتح الواو وكسر الدال وياء مشددة - صغار النخل ، واحده ودية

وفى مسكنته قنعاً ؛ لأن من نزل به الفقر لم يجد بداً من ترك الحياء ، والفقر
يذهب العقل والمروءة ، ويذهب العلم والأدب ، وكاد الفقر أن يكون كفراً ،
ومن عُرف بالفقر صار معدنًا للتهمة ، ومجمعاً للبلايا ، اللهم إلا أن يرزق المرء قلباً
نقياً قنعاً ، يرى الثوب المدّخر من الضجر الشديد ، فحينئذ لا يبالي بالعالم بأسره
والدنيا وما فيها ، والفقر داعية إلى المهانة ، كما أن الغنى داعية إلى المهابة ، ولقد
أحسن الذى يقول :

يغطّي عيوبَ المرء كثرةُ ماله - وصدّقَ فيما قال ، وهو كذوبُ
ويُزرى بعقل المرء قلةُ ماله - يُحمّقه الأَقوام وهو لبيبُ
أبانا بكر بن أحمد بن سعيد الطاحي حدثنا النمر بن قادم حدثنا حماد بن زيد
عن أيوب قال : قال لى أبو قلابة : يا أيوب ، الزم سوقك ، فإنك لا تزال كريماً
على إخوانك ما لم تحتج إليهم .

وأنشدنى العقبى أنشدنى محمد بن خلف التيمي بالكوفة .
كَأَنَّ مُقْلًا حين يغدو لحاجة - إلى كل من يلقي من الناس مذنبُ
وكان بنو عى يقولون : مرحباً - فلما رأوني مُعْدِمًا مات مرحبُ
وأنشدنى الكريزى :

لعمرك إن المال قد يجعل الفتى - نسيباً ، وإن الفقر بالمرء قد يُزرى
ولا رفع النفس الدنيئة كالغنى - ولا وضع النفس الكريمة كالفقر
حدثنا محمد بن يحيى العى ببغداد حدثنا الصمت بن مسعود حدثنا حماد بن
زيد حدثنا أيوب قال : قال لى أبو قلابة : الزم السوق ، فإن الغنى من العافية .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : ليس حلة هى للغنى مدح إلا وهى للفقير عيب ؛
فإن كان الفقير حلماً قيل : بليد ، وإن كان عاقلاً قيل : مكار ، وإن كان بليعاً
قيل : مهذار ، وإن كان ذكياً قيل : حديد ، وإن كان صموتاً قيل : عيى ، وإن

كان متأنياً قیل : جبان ، وإن كان عارماً قیل : جرىء ، وإن كان جواداً قیل : مسرف ، وإن كان مقدراً قیل : ممسك .

وشر المال ما اكتسب من حيث لا يحل وأنفق فيما لا يحل ، ووجوده وعدمه ليسا بتجلد ولا بكثرة حيلة ، ولكنه أقسام ومواهب من الخلاق العليم ^(١) ولقد أنشدني الأبرش :

يشقى رجالٌ ، ويشقى آخرون بهم ويسعدُ الله أقواماً بأقوام
وليس رزق الفتى من حسن حيلته لكن جُود بأرزاق وأقسام
كالصيد يُحرّمه الراعى المجيد ، وقد يرمى فيرزقه من ليس بالراعى

حدثني محمد بن سعيد القرزاز حدثنا أحمد بن داود بن موسى العطار حدثنا أحمد بن نصر العدني حدثنا المندني قال : قال أبو قيس بن معد يكرب ، وكان له أحد عشر ذكراً : يا بني ، اطلبوا هذا المال أجمل الطلب ، واصرفوه في أحسن مذهب ، صلوا به الأرحام ، واصطنعوا به الأقوام ، واجعلوه جنة لأعراضكم تحسن في الناس قائلتكم ، فإن جمعه كمال الأدب ، وبذله كمال المروءة ، حتى إنه ليسود غير السيد ، ويقوى غير الأيد ، وحتى إنه ليكون في أنفس الناس نبيا ، وفي أعينهم مهيبا . ومن جمع مالا فلم يضمن عرضا ، ولم يعط سائلا ، بحث الناس عن أصله ؛ فإن كان مدخولا هتكوه ، وإن كان صحيحاً نسبوه إما إلى عرض دنية ، وإما إلى لوص ^(٢) لئيم حتى يهجنوه .

(١) فإذا كان كذلك فما بال أبي قلابة يقول « الزم سوقك فإن الغنى من العافية » ؟ نعم هو هبة من الخلاق العليم ، ولكن الخلاق العليم هو سبحانه الخير الحكيم ، الذي جعل لكل شيء سبباً ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بأسباب ماسخر له في السموات والأرض ، متوكلاً على الله ، ضارعاً إليه أن يديم عليه التوفيق لهذه الأسباب ، والإحسان فيها والتقدير لها ، وشكرها لمسديها ، والله يقول (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون) (٢) في اللسان : لاصه يعينه لوصا ، وللاوصه : طالعه من خلل أو ستر . وقيل :

حدثني مطهر بن يحيى بن ثابت بواسط حدثنا سنان القطان حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال « سمع رجل صوتا في غمام : اذهبي إلى أرضي فلان فاسقيه ، قال : فقال الرجل : : لآتين فلانا هذا فلا نظرنّ مايعمل في أرضه ، فاتاه وقد مُطر فيها وهو قائم يفتح الأوعى ، فسلم عليه وقال : يا عبد الله ، أخبرني ماتعمل في أرضك هذه ؟ قال : أنظر إلى ما أخرج الله منها ، فأرد فيها ثلثه ، وأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه . قال علقمة : فكان ابن مسعود يبعثني إلى أرض له بزازان أفعل فيها مثل ذلك .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن شر المال مالا يُخرج منه حقوقه ، وإن شرّا منه ما أخذ من غير حِلِّه ، ومنع من حقه ، وأنفق في غير حله ، واستثمار المال قوام المعاش ، ولا بد للمرء من إصلاح ماله ، وما ارتفع أحد قط من إصلاح ماله صالحا كان أو طالخا .

ولا يجب للعاقل أن يعتمد على مجاورة نعم الله عنده فلا يقضى منها حقوقها ؛ لأن من أساء مجاورة نعم الله أساءت مجاورته ، وتحولت عنه إلى غيره .

ولقد أنشدني ابن زنجي البغدادي :

فإن كنتَ في خير ، فلا تغتر به ولكن قل : اللهمّ سلّم وتمم

فمن لم يَصُنْ عِرْضا إذا ما استفاده ويشكر لأهل الخير يُسَلِّبُ ويذمم

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

ورُبَّ مُمْلِكٍ مالا كثيرا ولكن حَظُّه منه قليل

يعيش بفضلِه هذا وهذا وقد سالت به فيه سيول

له منه الذي يحيا عليه بعيشته ، وسائرِه فضول

= الملاوصة : النظرينة ويسرة ، كأنه يروم أمر . - إلى أن قال - والإنسان يلاوص الشجرة إذا أراد قلعها بالفأس ، فتراه يلاوص في نظوه يمنة ويسرة كيف يضرها ، وكيف يأتيها ليقتلها .

حدثنا أحمد بن الحسين الحرّازي - بالموصل - حدثنا أحمد بن سنان القطان
حدثنا كثير بن هشام عن عيسى بن إبراهيم عن معلوية بن عبد الله عن كعب
قال : أول من ضرب الدينار والدرهم آدم ، وقال : لاتصلح المعيشة إلا بهما .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : قد ذكرت ما شاكل هذه الحكايات في كتاب
« السخاء والبذل » فأغنى عن ذلك عن تكرارها في هذا الكتاب .

ذكر الحث على إقامة المروءات

حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي وعبد الله بن محمود بن سليمان
السعدي قالا : حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله العتكي حدثنا مسلم بن خالد الزنجي
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه
وسلم « كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه » .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر
بأن المروءة هي العقل ، والعقل اسم يقع على العلم بسلوك الصواب واجتناب الخطأ .
فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال المحمودة ،
وترك الخلال المذمومة .

وقد نبغت نايغة اتكلوا على آباءهم ، واتكلوا على أجدادهم ، في الذكر
والمروءات ، وبعدوا عن القيام بإقامتها بأنفسهم .

ولقد أنشدني منصور بن محمد في ذم من هذا نعتة :

إن المروءة ليس يُدركها امرؤ	ورث المروءة عن أبٍ ، فأضاعها
أمرته نفس بالدناءة واخلى	ونتهت عن طلب العلى فأطاعها
فإذا أصاب من الأمور عظيمة	يبني الكريم بها المروءة باعها
وأنشدني محمد بن إسحاق :	

خساسة أخلاق الرجال تشينهم
وقل غناء عنهم النسب المحض

يُصَوِّلُونَ بِالْآبَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ ، وَقَدْ غَيَّبَتْ آبَاءَهُمْ عَنْهُمْ الْأَرْضُ
طَوِيلٌ تَبَدُّيَهُمْ بِمَجْدِ أَبِيهِمْ ، وَمَا لَهُمْ فِي الْمَجْدِ طَوْلٌ وَلَا عَرْضُ
وَأَنْشَدَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَغْدَادِيُّ :

لَيْسَ الْكَرِيمُ بِمَنْ يُدَنِّسُ عَرْضَهُ ، وَيَرَى مَرْوَةَ تَكُونُ بِمَنْ مَضَى
حَتَّى يَشِيدَ بِنَاءَهُ بَيْنَانَهُ ، وَيَزِينُ صَالِحَ مَا أُتُوهُ بِمَا أَتَى
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخْسَرَ صَفْقَةً ، وَلَا أَظْهَرَ حَسْرَةً ،
وَلَا أَخْيَبَ قَصْدًا ، وَلَا أَقْلَّ رَشْدًا ، وَلَا أَحَقَّ شِعَارًا ، وَلَا أَدْنَى دُثَارًا ، مِنْ
الْمُفْتَخِرِ بِالْآبَاءِ الْكَرَامِ وَأَخْلَاقِهِمُ الْجَسَامِ ، مَعَ تَعَرِّيِهِ عَنْ سُلُوكِ أَمْنَانِهِمْ ، وَقَصْدِ
أَشْبَاهِهِمْ ، مَتَوَهِّمًا أَنَّهُمْ ارْتَفَعُوا بِمَنْ قَبْلَهُمْ ، وَسَادُوا بِمَنْ تَقَدَّمَهُمْ ، وَهَيْهَاتَ ! أَنِّي
يَسُودُ الْمَرْءَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا بِنَفْسِهِ ؟ وَأَنِّي يَنْبُلُ فِي الدَّارَيْنِ إِلَّا بِكَدِهِ ؟
وَلَقَدْ أَنْشَدَنِي الْبَسَامِيُّ :

وَكَمْ قَائِلٌ : إِنِّي ابْنُ بَيْتٍ ، هُوَ ابْنُهُ ، وَقَدْ هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي مَاتَ عَامِرُهُ
فَأَوْدَى عُمُودَاهُ ، وَرَثَتْ حِيَالَهُ وَأَصْلَحَ أَوْلَاؤُهُ ، وَأَفْسَدَ آخِرُهُ
وَأَنْشَدَنِي الْأَبْرَشُ :

فَإِنْ قُلْتَ : لِي آبَاءُ صَدَقَ وَمَنْصَبٌ كَرِيمٌ وَإِخْوَانٌ مَضَتْ وَجُدُودُ
صَدَقَتْ ، وَلَكِنْ أَنْتَ هَدَمْتَ مَا بَنَوْا ، بِكَفْكَ عَمْدًا ، وَالْبِنَاءُ جَدِيدُ
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيُّ :

إِنْ لَمْ تَكُنْ بِفِعَالٍ نَفْسُكَ سَامِيًا ، لَمْ يَغْنِ عَنْكَ سُمُوٌّ مِنْ تَسْمُو بِهِ
لَيْسَ الْقَدِيمُ عَلَى الْحَدِيثِ بَرَاجُ ، إِنْ لَمْ تَجِدْهُ آخِذًا بِنَصِيهِهِ
وَلَرْبَمَا اقْتَرَبَ الْبَعِيدُ بَوْدَهُ ، وَغَدَا الْقَرِيبُ مَبَاعِدًا لِقَرِيبِهِ
أَنْبَأَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ السَّنْجِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ السَّنْجِيُّ حَدَّثَنَا
عَبْدُ الرَّزَاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : لَا دِينَ إِلَّا بِمَرْوَةٍ .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَةِ الْمَرْوَةِ :

فمن قائل قال : المروءة ثلاثة : إكرام الرجل إخوان أبيه ، وإصلاحه ماله ،
وقعوده على باب داره .

ومن قائل قال : المروءة : إتيان الحق ، وتعاهد الضيف .
ومن قائل قال : المروءة : تقوى الله ، وإصلاح الضيعة ، والغداء والعشاء
في الأفتية .

ومن قائل قال : المروءة : إنصاف الرجل مَنْ هو دونه ، والسمو إلى من هو
فوقه ، والجزاء بما أتى إليه .

ومن قائل قال : مروءة الرجل : صدق لسانه ، واحتماله عثرات جيرانه ، وبذله
المعروف لأهل زمانه ، وكفه الأذى عن أباغده وجيرانه .

ومن قائل قال : إن المروءة : التباعد من الخلق الدنيّ فقط .
ومن قائل قال : المروءة : أن يعتزل الرجل الريبة ؛ فإنه إذا كان مريباً كان
ذليلاً ، وأن يصلح ماله ؛ فإن من أفسد ماله لم يكن له مروءة ، والإبقاء على نفسه
في مطعمه ومشربه .

ومن قائل قال : المروءة : حسن العشرة ، وحفظ الفرج واللسان ، وترك المراء
ما يعاب منه .

ومن قائل قال : المروءة : سخاوة النفس ، وحسن الخلق .
ومن قائل قال : المروءة : العفة والحرفة ، أى يعف عما حرم الله ، ويحترف
فيما أحل الله .

ومن قائل قال : المروءة : كثرة المال والولد .
ومن قائل قال : المروءة : إذا أعطيت شكرت ، وإذا ابتليت صبرت ، وإذا
قدرت غفرت ، وإذا وعدت أنجزت .

ومن قائل قال : المروءة : حسن الحيلة في المطالبة ، ورقة الظرف في المكاتبه .
ومن قائل قال : المروءة : اللطافة في الأمور ، وجودة الفطنة .

ومن قائل قال : المروءة : مجانبة الريية ؛ فإنه لا ينبل مريب ، وإصلاح المال ؛ فإنه لا ينبل فقير ، وقيامه بجوائح أهل بيته ؛ فإنه لا ينبل من احتاج أهل بيته إلى غيره .

ومن قائل قال ؛ المروءة : النظافة ، وطيب الرائحة .

ومن قائل قال : المروءة : الفصاحة والسماحة .

ومن قائل قال : المروءة : طلب السلامة ، واستعطاف الناس .

ومن قائل قال : المروءة : مراعاة العهود ، والوفاء بالعقود .

ومن قائل قال : المروءة : التدلل للأحباب بالتملق ، ومداراة الأعداء بالترفق .

ومن قائل قال : المروءة : ملاحاة الحركة ، ورقة الطبع

ومن قائل قال : المروءة : هي المفاكهة ، والمباشمة .

حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن عبيد أبو فراس

قال : قال ربيعة : المروءة مروءتان : فللسفر مروءة ، وللحضر مروءة :

فأما مروءة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح

في غير مسأخط الله .

وأما مروءة الحضر : فالإدمان إلى المساجد ، وكثرة الإخوان في الله ،

وقراءة القرآن .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة ، ومعاني

ماقالوا قريبة بعضها من بعض .

والمروءة عندى خصلتان : اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال ،

واستعمال ما يحب الله والمسلمون من الخصال .

وهاتان الخصلتان يأتیان على ما ذكرنا قبل من اختلافهم ، واستعمالهما هو

العقل نفسه ، كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن مروءة المرء عقله » .

ومن أحسن ما يستعين به المرء على إقامة مروءته المال الصالح .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

احتل لنفسك أيها المحتالُ فمن المروءة أن يرى لك مالُ
كم ناطق وسط الرجال وإنما عنهم هناك تكلمُ الأموالُ
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يقيم مروءته بما قدر
عليه ، ولا سبيل إلى إقامة مروءته إلا باليسار من المال ، فمن رزق ذلك وضمن
بإتقانه في إقامة مروءته . فهو الذى خسر الدنيا والآخرة ، ولا آمن أن تفجأه المنية
فتسلبه عما ملك كريها ، وتودعه قبراً وحيداً . ثم يرث المال بعد من يأكله
ولا يحمد ، وينفقه ولا يشكره ، فأى ندامة تشبه هذه ؟ وأى حسرة تزيد عليها ؟
ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

يا جامع المال في الدنيا لوارثه هل أنت بالمال قبل الموت منتفع
قدم لنفسك قبل الموت في مهلٍ فإن حظك بعد الموت منقطع
أبنا الفضل بن محمد الجندی - بمكة - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطبري
حدثنا أزهر عن ابن عون عن ابن سيرين قال : ثلاثة ليست من المروءة : الأكل
في الأسواق ، والأدهان عند العطار ، والنظر في مرآة الحجام .

حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا هُشَيْمٌ
عن مغيرة عن الشعبي قال : ليس من المروءة النظر في مرآة الحجام .
حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن العمى ببغداد حدثنا الصلت بن مسعود حدثنا
حماد بن زيد حدثنا أيوب قال : سمعت أبا قلابة يقول : ليس من المروءة أن
يربح الرجل على صديقه .

وأنشدني البسامي :

اعلم بأنك - لا أبالك - فى الذى أصبحت تجمعهُ لغيرك خازنُ
إنَّ المنية لاتؤامر مَنْ أتت فى نفسه يوماً ، ولا تستأذنُ
أبنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان

يقال : مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكى القلوب .

حدثني محمد بن أبي علي الخلابي حدثنا أبو أحمد بن حماد البربري عن سليمان بن أبي شيخ حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : قال معاوية بن أبي سفيان : آفة المروءة إخوان السوء .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : والواجب على العاقل تفقد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم مزوءته ؛ فإن المحقرات من ضد المروءات تؤذى الكامل في الحال بالرجوع في القهقري إلى مراتب العوام وأوباش الناس^(١) .

ولقد حدثنا جعفر بن محمد الهمداني - بصور - قال : سمعت طلحة بن إسحاق ابن يعقوب قال : سمعت موسى بن إسحاق الأنصاري يقول : سمعت علي بن حكيم الأودي يقول : سمعت شريكا يقول : ذل الدنيا خمسة : دخول الحمام سَحَرًا بلا كرنيب^(٢) ، وعبور المعبر بلا قطعة ، وحضور مجلس العلم بلا نسخة ، وحاجة الشريف إلى الدني ، وحاجة الرجل إلى امرأته .

حدثنا أبو شعبة الحسن بن محمد الاصطخرى ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن منصور حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي ، حدثنا رشدين بن سعد ، حدثنا طلحة بن زيد عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : « من قلة مروءة الرجل نظره في بيت الحائك ، وحمله الفلوس في كفه » .

(١) عربية هذه الكلمة « أوشاب الناس » أى أخلاطهم .

(٢) في القاموس : الكرنيب - بالفتح ، ويكسر - الحيج ، والكرنية : إطعامه للضيف ، وأكل التمر باللبن . وهذه المعاني لا تناسب ماهنا ، والظاهر : أنه أراد إناء يغرف به ، وفي مدينة حلب من سوريا يستعمل هذا اللفظ لإناء على شكل مخصوص معد لغرف الجامدات من بر ونحوه .

باب الحث على لزوم السخاء ، ومجانبة البخل

أُبْنَانَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ زَهَيْرٍ بُنُسْتَرَّ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرْفَةَ بْنِ يَزِيدَ الْعَبْدِيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَلَسَخِيٌّ جَاهِلٌ ، أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَخِيلٍ عَابِدٍ » .

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ كَانَ حَفِظَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِسْنَادَ هَذَا الْخَبَرِ فَهُوَ غَرِيبٌ غَرِيبٌ .

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ إِذَا أَمَكَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حُطَامِ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ، وَعَلِمَ زَوَالَهَا عَنْهُ ، وَانْقِلَابَهَا إِلَى غَيْرِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ : أَنْ يَبْلُغَ مَجْهُودَهُ فِي أَدَاءِ الْحَقُوقِ فِي مَالِهِ ، وَالْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ فِي أَسْبَابِهِ ، مَبْتَغِيًّا بِذَلِكَ الثَّوَابَ فِي الْعَقَبِ ، وَالذِّكْرَ الْجَمِيلَ فِي الدُّنْيَا ، إِذِ السَّخَاءُ مَحَبَّةٌ وَمَحْمَدَةٌ كَمَا أَنَّ الْبَخْلَ مَذْمُومَةٌ وَمُبْغَضَةٌ ، وَلَا خَيْرَ فِي الْمَسَالِ إِلَّا مَعَ الْجُودِ ، كَمَا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْطَقِ إِلَّا مَعَ الْخَبَرِ .

وَلَقَدْ أُنْشِدَنِي الْمُنْتَصِرُ بْنُ بِلَالٍ الْأَنْصَارِيُّ :

الْجُودُ مَكْرَمَةٌ ، وَالْبَخْلُ مَبْغُضَةٌ لَا يَسْتَوِي الْبَخْلُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْجُودُ
وَالْفَقْرُ فِيهِ شَخْصٌ ، وَالْغِنَى دَعَاةٌ وَالنَّاسُ فِي الْمَالِ مَرْزُوقٌ وَمَحْدُودٌ ^(١)
حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ الْخَلَّادِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الذَّهَلِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ السَّدُوسِيُّ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْقَشْمِيُّ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ مَوْلَى عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ : أَنَّ الْمَنْصُورَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ لِابْنِهِ الْمَهْدِيِّ « اعْلَمْ أَنَّ رِضَاءَ النَّاسِ غَايَةٌ لَا تَدْرُكُ ، فَتَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ بِالْإِحْسَانِ جَهْدَكَ ، وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِمُ بِالْإِفْضَالِ ، وَاقْصِدْ بِإِفْضَالِكَ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ مِنْهُمْ » :

(١) المَحْدُودُ - بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ - : الْمَنْعُوعُ مِنَ الْبَخْتِ وَغَيْرِهِ .

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

أعاذلتني اليوم ، ويحك ما مَهْلًا وكُفًّا الأذى عني ، ولا تكثرا العذلا
دعاني تجِدْ كُفِّي بما ملكت يدي سأصبح يوماً أترك الجود والبخلا
إذا وضعوا فوق الضريح جنادلا عليّ وخلقتُ المطية والرحلا
فلا أنا مختار إذا منزلته ولا أنا لاق ما ثويت به أهلا
أنا بنو إبراهيم بن إسحاق الأماطي حدثنا لوين ، حدثنا ابن أبي الزناد عن
هشام بن عروة قال : كان أبي يقول « ما لي بم قوم قط أقاموا على ماء عذب » .
حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا بكر بن عامر العتري ، حدثنا هشام
ابن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال « من آتاه الله منكم
مالا فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضيافة ، وليفك فيه العاني والأسير
وابن السبيل والمساكين والفقراء والمجاهدين ، وليصبر فيه على النائبة ، فإن بهذه
الخصال ينال كرم الدنيا وشرف الآخرة » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أجود الجود من جاد بماله ، وصان نفسه عن
مال غيره ، ومن جاد ساد ، كما أن من بخل رذل
والجود حارس الأعراض ، كما أن العفو زكاة العقل ، ومن أتم الجود أن
يتعزى عن المنّة ؛ لأن من لم يمتن بمعروفه وفقره ، والامتنان بهذه الصنائع ، وإذا
تعزّت الصنيعة عن إزار له طرفان ، أحدهما الامتنان ، والآخر طلب الجزاء -
كان من أعظم الجود ، وهو الجود على الحقيقة .
ولقد أنشدني ابن زنجي :

يا رَبَّ عاذلة في الجود قلت لها : قلّي ، على الله فيما أنفق الخلفا
هل من بخيل رأيت المال أخلده ؟ أم هل رأيت جواداً ميتاً محففاً ؟^(١)
لما رأيت أوقى المال طالبه ولا أبالي تِلادا كان أم طرفاً^(٢)
عدت سماحي تبذيراً ولست أرى ما يكسب الحمد تبذيراً ولا سرفاً

(١) العجف : الهزل (٢) الطريف : المال المستحدث ، وطرف ككرم .

أنبأنا الحسين بن سفيان ، حدثنا حبان بن موسى قال : قسم ابن المبارك يوماً بين إخوانه وأصحاب الحديث ألف درهم ، ثم أنشأ يقول :

لاخير في المال لكفّاره إلا جواد الكف وهّابه
يفعل أحياناً بزوّاره ما تفعل الخمر بشرابه

حدثني محمد بن عثمان العقبى ، حدثنا الحسن بن محمد عن ابن السماك ، قال : يا عجبي لمن يشتري المالك بالثمن ، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إن من أحسن خصال المرء الجود من غير امتنان ، ولا طلب ثواب ، والحلم من غير ضعف ولا مهانة .

وأصل الجود ترك الضّنّ بالحقوق عن أهلها ، كما أن أصل تربية الجسد أن لا يعمل عليه في الأكل والشرب واللباس ، فكما لا تنفع المروءة بغير تواضع ، ولا الحفظ بغير كفاية ، كذلك لا ينفع العيش بغير مال ، ولا المال بغير جود ، وكما أن القراة تبع للمودة ، كذلك المحمدة تبع للإِنفاق .

أنبأنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك ابن سعيد الثورى قال : كان يقال : ثلاث هنّ أحسن شىء فيمن وجدت فيه : تُؤدّة في غير ذل ، وجود لغير ثواب ، ونصب لغير الدنيا .

حدثنا أبو يعلى - بالموصل - حدثنا محمد بن الصباح الدولابى ، حدثنا إسماعيل ابن زكريا عن عاصم الأحول قال : قلت للحسن : مامعنى قوله صلى الله عليه وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى » ؟ قال : يد المعطى خير من يد المانع .

حدثنا أبو خليفة ، حدثنا ابن كثير ، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن ذكوان وعبد الله بن مرة عن كعب قال : من أحب الله ، وأبغض الله ، وأعطى الله ، ومنع الله : فقد استكمل الإيمان .

وأشدنى الكريزى ليحيى بن أكرم :

ويُظهِرُ عيبَ المرء في الناس بخله ويستتره عنهم جميعاً سخاؤه
تغطّ بأثواب السخاء ؛ فإننى أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

وأنشدني أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني لبعض القرشيين :
سأبذلُ مالي كلما جاء طالبُ وأجعله وقفا على القرض والقرض
فإما كريماً صُنْتُ بالجود عِرضه وإما لثيماً صُنْتُ عن لؤمه عرضي
وأنشدني كامل بن مكرم أبو العلاء ، أنشدني هلال بن العلاء بن عمر الباهلي :
ملأتُ يدي من الدنيا مراراً فما طمع العواذل في اقتصادي
وما وجبتُ على زكاة مالٍ وهل تجب الزكاة على الجواد ؟
قال أبو حاتم رضي الله عنه : البخل شجرة في النار ، أغصانها في الدنيا ، مَنْ
تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى النار ، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها
في الدنيا ، فمن تعلق بغصن من أغصانها جرّه إلى الجنة ، والجنة دار الأسخياء .
والبخيل يقال له في أول درجته : البخيل ، فإذا عتا وطغى في الإمساك يقال
له : الشحيح ، فإذا ذم الجود والأسخياء يقال له : لثيم ، فإذا صار محتج للبخلاء
ويعذرهم في فعالهم يقال له : : الملائم .

وما أتزر رجل يإزار أهتك لعرضه ، ولا أئلم لدينه من البخل .

ولقد أنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لكلِّ همٍّ من المموم سَعَه والبخل واللؤم لافلاح مَعَه ^(١)
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه
أقبل من الدهر ما أتاك به من قرٍّ عينا بعيشه نفعه
سمعت الخطابي بالبصرة يقول : سمعت أبا حاتم السجستاني يقول : سأل
كسرى : أى شيء أضر على ابن آدم ؟ قالوا : الفقر ، قال : الشح أضر منه ،
إن الفقير إذا وجد اتسع ، وإن الشحيح لا يتسع إذا وجد .

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يعقوب حدثنا ابن أبي القعقاع قال : قال أبو الهزيل :
كنت عند يحيى بن خالد البرمكي ، فدخل عليه رجل هندي ، ومعه مترجم له ،

(١) الأبيات محفوظة لأوس بن حجر ، وفيها « والصبح والمسي لافلاح معه »

فقال المترجم : إن هذا رجل شاعر ، قد حاول مدحتك ، فقال يحيى : لينشد ، فقال الهندى :

أَرِهْ أَصْرَهْ كَكَرَاكِي كَرِهْ مَنَدْرَهْ

فقال يحيى للمترجم : ما يقول ؟ قال : يقول :

إذا المكارم في آفاقنا ذكرت فإنما بك فيها يضربُ المثل
قال : فأمر له بألف دينار .

وأنشدني عبد الرحمن بن محمد المقاتلي^(١) :

إذا المرء لم يندس من اللوم عِرْضُهُ فكلُّ رِداءٍ يرتديه جميلُ
إذا قلتَ : لا ، في كل شيء سئلتَه فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

وأنشدني عمرو بن محمد الأنصاري أنشدني الغلابي أنشدني مهدي بن سابق :
يا مانع المال ، كم تَضِنُّ به تطمع بالله في الخلود مَعَهُ ؟
هل حمل المال ميتٌ معه ؟ أما تراه لغيره جمعه ؟

أبنانا عمران بن موسى السخيتاني حدثنا سليمان بن معبد المروزي حدثنا
عثمان بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن أبي علي الغافقي سمع
عامر بن عبد الله اليحصبي قال : كان ابن منبه يقول : أجود الناس في الدنيا من
جاد بحقوق الله ، وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس في
الدنيا من أبخل بحقوق الله ، وإن رآه الناس كريماً جواداً بما سوى ذلك .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

رب مال سينعمُ الناس فيه وهو عن ربه قليل الغناء^(٢)
كان يشقى به ، وينصب فيه ثم أضجى لمعشر غرباء
ماله عندهم جزاء إذا ما نعموا فيه غير سوء الثناء

(١) أول هذين البيتين وعجز ثانيهما في كلمة مشهورة للسموأل بن عدياء .

(٢) الغناء بالفتح والمد : النفع .

رب مال يصكون ذمًا وغمًا وغنى يعد في الفقراء
 حدثنا أحمد بن الحسن بن أبي الصغير المدائني حدثنا الربيع بن سليمان قال :
 سمعت الشافعي يقول : كان أبو حاتم - يعني الطائي - سخياً ، وكان يضع الأشياء
 مواضعها ، وكان حاتم مبذراً ، فاجتمع يوماً عند أبيه أصحابه ، وشكا إليهم حاتماً ،
 قال : والله ما أدرى ما أصنع ؟ لا يأخذ شيئاً إلا بذره ، فاجتمع رأيهم على أن
 لا يعطيه شيئاً سنة ، قال : فأقام أبوه ، ولم يمكنه من شيء سنة ، مع ما هو فيه
 من الضر ، فلما مضت السنة أمر له بمائة ناقة حمراء ، قال : فلما وقفت عليه قال
 حاتم : من أحب شيئاً فهو له ، حتى أخذوها كلها ، فدعاه أبوه ، فقال له : أي
 بنى ، ماذا تصنع ؟ قال : والله يا أباي لقد بلغ الجوع مني شيئاً ، لا يسألني أحد
 شيئاً إلا أعطيته إياه .

وأنشدني عبد العزيز بن سليمان :

تجودُ بالمال على وارثٍ ولا ترى أهلاً له نفسكا
 قدّم حسن الظن بالله من جاد ، وسوء الظن من أمسكا
 أنبأنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة قال : كان عمر بن
 عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذا الشعر ويعجبه .

وما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطاً غداة البين مع خرق
 وغير نفحة أعواد تُشدُّ له وقلّ ذلك من زادٍ لمنطلق
 أنبأنا أبو يعلى حدثنا يحيى بن أيوب المقابري حدثنا حماد بن زيد حدثنا
 أيوب عن نافع قال « مرض ابن عمر بالمدينة ، فاشتبهى عبأ في غير زمانه ، قال :
 فطلبوا ، فلم يجدوا إلا عند رجل ، فاشتري سبع حبات بدرهم ، فجاء سائل فأمر له
 به ، ولم يذقه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : ما رأيت أحداً من الشرق إلى الغرب ارتدى
 برداء الجود واتزر بإزار ترك الأذى إلا رأس أشكاله وأضداده ، وخضع له

الخاص والعام ، فمن أراد الرفعة العالية في العقبى ، والمرتبة الجليلة في الدنيا ، فليلزم الجود بما ملك ، وترك الأذى إلى الخاص والعام ، ومن أراد أن يهتك عرضه ، ويثلم دينه ، ويمتله إخوانه ، ويستثقله جيرانه ، فليلزم البخل .

ولقد ذم البخل أهل العقل في الجاهلية والإسلام إلى يومنا هذا ، فنه ما أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي .

كأنما نُفرت كفّاه من حجر فليس بين يديه والنّدَى عملُ
يرى التّيسيم في بحر وفي بلد مخافة أن يُرى في كفّه بللُ

وأنشدني عمرو بن محمد أنشدني الغلابي أنشدنا مهدي بن سابق :

لو أن دارك أنبت لك ، واحتشّت إبراً يضيق بها فناء المنزل
وأناك يوسفُ يستعيرك إبرة ليخيط قدّ قيصه لم تفعل

وأنشدني أحمد بن محمد بن أيوب :

وكفّاك لم يخلقا للندي ولم يك يخلهما بدّعه
فكفّ عن الخير مقبوضة كما حط من مائة سبعة^(١)

وأخرى ثلاثة آلافها وتسع مئتها لها شرّعه

سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول : سمعت محمد بن صالح الوركاني يقول : قيل للنضر بن شميل : أى بيت قالته العرب أسخى ؟ قال : الذى يقول :

فلو لم تكن في كفّه غيرُ روحه لجادَ بها ، فليتيق الله سائلهُ
قال : وأى بيت قالته العرب أبخل ؟ فقال :

لو جُعِلَ الخردلُ في كفّه ما سَقَطَتْ من كفّه خردلة

قال : وأى بيت قالته العرب أهجى ؟ قال :

العَجْرَفِيُّونَ لا يوفون ما وعدوا والعجرفيّات ينجزن المواعيد

(١) في المحاسن والمساوى (كما نقصت مائة تسعة)

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل ، إذا لم يُعرف بالسماحة ، أن لا يعرف بالبخل ، كما لا يجب ، إذا لم يعرف بالشجاعة ، أن يعرف بالجبن ، ولا إذا لم يعرف بالشهامة أن يعرف بالمهانة ، ولا إذا لم يعرف بالأمانة ، أن يعرف بالخيانة ، إذ البخل بئس الشعارُ في الدنيا والآخرة ، وشر ما يُدَّخر من الأعمال في العقبى .

حدثنا أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة ، حدثنا أبو عتبة الحمصى أحمد بن الفرج حدثنا ضمرة ، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز تقول : أفّ للبخل ، والله لو كان طريقاً ماسلكته ، ولو كان ثوباً مالبسته .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابى حدثنا العباس بن بكار الهذلى قال : قال الحسن : من أيقن بأنَّه جاد بالعطية .

ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان

حدثنا محمد بن صالح الطبرى حدثنا عبد الله بن عمران الأصبهاني - بالرى - حدثنا يحيى بن ضريس ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا سفيان الثورى عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجبيوا الداعى ، ولا تردوا الهدية ، ولا تضربوا المسلمين » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : زجر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر عن ترك قبول الهدايا بين المسلمين .

فالواجب على المرء إذا أهديت إليه هدية أن يقبلها ولا يردّها ، ثم يثبت عليها إذا قدر ، ويشكر عنها ، وإني لأستحب للناس بعث الهدايا إلى الإخوان بينهم ، إذ الهدية تورث المحبة وتذهب الضغينة .

ولقد حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا الدارمى ، حدثنا عبد الله بن صالح ،

أنبأنا الليث قال : سمعت عبد الملك بن رفاعة الفهمي يقول : الهدية هو السَّجَرُ الظاهر .

حدثني إبراهيم بن أبي أمية بطرسوس ، حدثنا حامد بن يحيى البلخي ، حدثنا سفيان قال : لما قعد أبو حنيفة قال للناس مُسَاوِرُ الْوَرَاقي :

كنا من الدِّين قبل اليوم في سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا صاحوا كأنهم فعالب ضَبَحَتْ بين النواويس
قال : فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فبعث إليه بمال ، فقال مساور حين قبض المال :
إذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدةٍ من الفتيا طريفة
أئيناهم بمقياس صحيح مصيب من طراز أبي حنيفة
إذا سمع الفقيه بها وعابها وأثبتها بحبر في صحيفة
وأنشدني الكريزي :

إن الهدية حلوة كالسحر تختلبُ القلوبا
تدنى البعيد من الهوى حتى تُصيره قريبا
وتعيد مضطغن العدا وة بعد بغضته حبيبا
تنفي السخيمة من ذوى الشَّخْصَا وتمتحق الذنوبا

أنبأنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني - بالكرج - وإبراهيم بن محمد الدستوائي بتستر قالوا : حدثنا محمد بن عبيد بن عتبة الكندي حدثنا بكار بن أسود العامري حدثنا إسماعيل بن أيان قال : بلغ الحسن بن عمار أن الأعمش يقع فيه ، فبعث إليه بكسوة ، فلما كان بعد ذلك مدحه الأعمش ، ف قيل له : كيف تدمه ثم تمدحه ؟ قال : إن خيشمة حدثني عن عبدالله قال : « إن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، و بغض من أساء إليها » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : قال لنا هذان الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنا أهابه ، قال : والبشر مجبولون على محبة الإحسان ، وكرهية

الأذى ، واتخاذ الحسن إليهم حبيباً ، واتخاذ المسيء إليهم عدواً .
فالعقل يستعمل مع أهل زمانه لزوم بعث الهدايا بما قدر عليه لاستجلاب
محبتهم إياه ، ويفارقه تركه مخافة بغضهم .
ولقد أنشدني الأبرش :

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوى وودا وتكسوك المهابة والجلالا
مسايد للقلوب بغير لغب^(١) وتمنحك المحبة والجمالا

حدثني محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا عبد الله بن لقمان البهراني النجراتي
حدثنا موسى بن أيوب ، حدثنا خدّاش بن المهاجر عن الحسن بن دينار عن ابن
سيرين قال : كانوا يتهادون الدراهم في الجوالقات^(٢) والأطباق .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على العاقل أن يستعمل الأشياء على
ما يوجب الوقت ، ويرضى بنفاد القضاء ، ولا يتمنى ضد مارزق ، وإن كان
عنده الشيء التافه لا يجب أن يمتنع من بذله لاستحقاره واستقلاله ؛ لأن أهون
مافيه لزوم البخل والمنع ، ومن حقر شيئاً منعه ، بل يكون عنده الكثرة والقلّة في
الحالة سيان ؛ لأن ما يورث الكثير من الخصال أورث الصغير بقدره من الفعال .
حدثنا عمرو بن محمد الأنصاري ، حدثنا الغلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن
حبيب عن الأصمعي قال : دخلنا على كهّمس العابد ، فجاء بخمسة وعشرين
بُسرة حمراء ، فقال : هذا الجهد من أخيكم ، والله المستعان .

وأُشدني ابن زنجي :

إن المني عجبُ الله صاحبها لعلَّ حَتَفَ امرئٍ فيما تمناه
فإن ترى عبراً فيهنَّ معتبرٌ يجرى بها قدر ، فالله أجراه

(١) كذا بالأصل . واللغب واللغوب : التعب

(٢) الجوالقات : أوعية من الخيش ونحوه كالزكايب والأخراج ، واحدها جوالق

لا تحقرن من الإحسان محقرة أحسن ، فعاقبة الإحسان حسناه
حدثنا محمد بن أيوب بن مشكان - بطبرية قصة الأردن - حدثنا أبو عتبة
حدثنا سلمة بن عبد الملك العرضي حدثنا المعافى بن عمران قال : سمعت ميمون
يقول : من رضى من خلة الإخوان بلا شئ فليواخ أهل القبور .

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا محمد بن الوليد بن أبان العقيلي
حدثنا نعيم بن حماد قال : أنشدني ابن المبارك :

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا
والعرف من يأتاه يحمد عواقبه ما ضاع عرف ، ولو أوليته حجرا
سمعت يوسف بن يونس الفَرَّشَانِي يقول : بعث أبو السنور الشاعر إلى الأمير
أبي الأشعث بطبق ورد يوم النيروز هدية ، وبعث إليه بهزم الأبيات :

بعثنا ببرّ تافه ، دون قدركم وما تبعث الألفاظ للقلّ والكثير
ولكنّ ظرفا أن تزيد مودة فهل تكرمنا بالقبول وبالعذر ؟
فلو كان برى حسَب ما أنت أهله أذاك إذا روى على طبق البر
سمعت عمر بن محمد الهمداني يقول : سمعت وزيره بن محمد الغساني يقول :
قدم بعض الكتاب العسكر ، فأهدى إليه إخوانه ، وكان فيهم من قعدت به
الحال ، فوجّه إليه بدقّة وأشنان ، وكتب إليه : لو تمت الإرادة - جعلت فداك ! -
يلوغ النية فيه ، وملكتني الجدة بسط القدرة لأتعب السابقين إلى برك ،
ولبرزت أمام المجتهدين في فضلك ، ولكن البضاعة قعدت بالهمة ، وقصرت عن
مسامة أهل النعمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البر ، وليس لي فيها ذكر ، فوجهت
إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، وبالختم به لطيبه ونفعه ، مقتصرأ عن ألم التقصير
فيه ، فأما ما سوى ذلك فالمجبر عنى فيه قول الله (٩ : ٩١) ليس على الضعفاء
ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) والسلام .

حدثنا محمد بن يوسف الأرمني ، حدثنا إبراهيم بن عبد العزيز الموصلی ، حدثنا

محمد بن علي بن الفضل المديني ، حدثنا عبد الله بن شعيب الزيري ، حدثنا محمد ابن إسحاق المسيبي عن القاسم بن المعتمر عن حميد بن معيوف عن أبيه قال « كنت ممن شهد الحكم بن حطاب بمنبج ، وهو يريد أن يموت ، وقد كان لقي من الموت شدة ، فقلت - أو قال رجل - : اللهم هَوِّنْ عليه الموت ، فلقد كان ، ولقد كان . فأثنى عليه ، فأفاق من غشيته ، قال : من المتكلم ؟ قال المتكلم : أنا . قال : إن ملك الموت يقول : إني بكل رجل سخي رفيق ، قال : ثم كأن فتيلة أطفئت . فمات ، فبلغ ابن هرمة الشاعر موته فأنشأ يقول :

سألا عن الجحد والمعروف أين هما ؟ فقلت : إنهما ماتا مع الحكم .
ماتا مع الرجل الموفى بدمته يوم الحفاظ إذا لم يوف بالدِّمِّ .
ماذا بمنبج لو تُنبش مقابرها من التهدُّم بالمعروف والكرم .

حدثنا محمد بن المهاجر ، حدثنا محمد بن موسى السمرى عن حماد بن إسحاق ابن إبراهيم عن أبيه قال : قيل للمغيرة بن شعبة : ما بقي من لذتك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، قيل : فمن أحسنُ الناس عيشاً ؟ قال : من عاش بعيشه غيره ، قيل : فمن أسوأ الناس عيشاً ؟ قال : من لا يعيش بعيشه أحد .

ذكر استجباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج

حدثنا أبو عمرو محمد بن محمود النسائي ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا محاضر بن المورع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نفَّس عن أخيه كُرْبَةً من كُرْب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر ، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم ؛ لأن من نفَّس كربة من كرب الدنيا عن مسلم

نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن تَجَرَّى قضاء حاجته ولم يُقَضَّ
قضاؤها على يديه فكانه لم يقصر في قضائها ، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج
استحقاق الثناء ، والإخوان يعرفون عند الحوائج ، كما أن الأهل تختبر عند الفقر ؛
لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء ، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة
والحاجة ، كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خُصْب ولا أمن .

وأنشدني الكريزي :

خيرُ أيامِ الفتى يومٌ نَفَعَ واصطناعُ العُرفِ أبقي مصطَنَعُ
ما يُنالُ الخَيْرُ بالشرِّ ، ولا يَحْصُدُ الزارعُ إلا ما زَرَعَ
ليس كلُّ الدهرِ يوما واحدا ربما انحط الفتى ، ثم ارتَفَعَ

حدثنا محمد بن سليمان بن فارس ، حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي ، حدثنا بشر
ابن عمر ، حدثنا الربيع قال : كان الحسن يقول « قضاء حاجة أخ مسلم أحب إليَّ
من اعتكاف شهرين » .

وأنشدني علي بن محمد البسامي :

سابق إلى الخير وبادر به فإنَّ من خَلَقَكَ ما تَعَلَّمُ
وقدِّم الخير ، فكل امرئ على الذي قدمه يَتَقَدَّمُ

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي ، حدثنا محمد بن موسى البصري ، حدثنا
الأصمعي ، حدثنا أبو معمر شبيب بن شيبه الخطيب قال : لما حضرت ابن سعيد
ابن العاص الوفاة قال لبنيه « يا بني ، أيكم يقبل وصيتي ؟ فقال ابنه الأكبر : أنا
قال : إن فيها قضاء ديني ، قال : وما دينك يا أبت ؟ قال : ثمانون ألف دينار ،
قال : يا أبت فيم أخذتها ؟ قال : يا بني في كريم سددت خَلَّتَه ^(١) ، ورجل جاءني
في حاجة وقد رأيت السوء في وجهه من الحياء ، فبدأت بحاجته قبل أن يسألها »
قال أبو حاتم رضي الله عنه : حقيق على من علم الثواب أن لا يمنع ما ملك

(١) الخلة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

من جاء أو مال إن وجد السبيل إليه قبل حلول المنية ، فيبقى عن الخيرات كلها ،
ويتأسف على ما فاتته من المعروف .

والعاقل يعلم أن من صحب النعمة في دار الزوال لم يخلُ من فقدها ، وأن من
تمام الصنائع وأهنأها إذا كان ابتداء من غير سؤال .

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى قال :
دخل أبو العتاهية على الرشيد ، فقل : سل يا أبا العتاهية ، فقال :

إذا كان المنال يبذل وجه فلا قرَّبتُ من ذاك المنال
وأُشدنى عبد العزيز بن سليمان :

يبقى الثناء وتنقُدُ الأموال ولكل دهر دولةٌ ورجال
ما نال تحمَّدة الرجال وشكرهمُ إلا الصبور عليهم الفضال

حدثنى محمد بن عبدل بن المهدي الشعراني ، حدثنا محمد بن يزيد الطرسوسي
حدثنا ابن عائشة قال : قال أبي « جاء رجل إلى يحيى بن طلحة بن عبيد الله ،
فقال له : هب لي شيئاً ، قال : يا غلام أعطه مامعك ، فأعطاه عشرين ألفاً ، فأخذها
ليحملها فنقلت عليه ، فقعديكي ، فقال : ما يبكيك ، لعلك استقلتها فأزيدك ،
قال : لا ، والله ما استقلتها ، ولكن بكيت على ما تأكل الأرض من كرمك ،
فقال له يحيى : هذا الذي قلت لنا أكثر مما أعطيناك » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب الإلحاف عند السؤال في الخواص ؛ لأن
شدة الاجتهاد ربما كانت سبباً للحرمان والمنع ، والطالب للفلاح كالضراب
بالقداح : سهم له ، وسهم عليه ، فإن أعطى وجب عليه الحمد ، وإن منع لزمه
الرضاء بالقضاء ، ولا يجب أن يكون السؤال إلا في ديار القوم ومنازلهم ، لا في
الحافل والمساجد والملا ؛ لأن محمد بن محمود النسائي حدثنا ، قال : حدثنا
على بن خشرم ، حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي عن حنيفة المؤذن قال :
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا تسألوا الناس في مجالسهم ومساجدهم

فتفحشوه ، ولكن سلوهم في منازلهم ، فمن أعطى أعطى ، ومن منع منع .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : الذى قاله عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه
إذا كان المستول كريماً ، فإنه إن سئل الحاجة في نادى قومه ولم يكن عنده قضاؤها
تشور وخجل . وأما إذا كان المستول لثيماً ودفع المرء إلى مسألته في الحاجة تقع
له فإنه إن سأل في مجلسه ومسجده كان ذلك أقضى لحاجته ، لأن اللثيم لا يقضى
الحاجة ديانة ولا مروءة ، وإنما يقضيها إذا قضاها طلباً للذكر والحمدة في الناس ،
على أنى أستحب للعاقل أن لو دفعه الوقت إلى أكل القد^(١) ومص الحصى
ثم صبر عليه لكان أحرى به من أن يسأل لثيماً حاجة ؛ لأن إعطاء اللثيم شين ،
ومنعه حنّ .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

إذا أعطى القليل فتى شريف فإن قليل ما يعطيك زين
وإن تكن العطية من دني فإن كثير ما يعطيك شين

أنا محمد بن الفضلى السجستاني بدمشق ، حدثنا علي بن خشرم قال :
سمعت سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي يقول : خرجت حاجاً فمالت الحمل ،
فنزلت أسائر القطرات ، فقال : أنا أعرابي ، فقال لي : يا فتى لمن الجمال
بما عليها ؟ قلت : لرجل من باهلة ، قال : يا لله أن يعطى الله باهلياً كل ما أرى ،
قال : فأعجبني ازدراؤه بهم ، ومعى صرة فيها مائة دينار ، فرميت بها إليه ،
فقال : جزاك الله خيراً ! وافقت منى حاجة ، فقلت : يا أعرابي ، أيسرك أن
تكون الجمال بما عليها لك ، وأنت من باهلة ؟ قال : لا ، قلت : أيفسر لك أن
تكون من أهل الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى من
باهلة ، فقلت : يا أعرابي ، الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة ، قال : فرمى بالصرة
إلى فقلت : سبحان الله ! ذكرت أنها وافقت منك حاجة ، قال : ما يسرنى

(١) القد : السير من الجلد تخصف به النعال .

أن ألقى الله ، ولهاهلى عندى يد ، فحدثت بها المأمون ، فجعل يتعجب ويقول :
ويحك ياسعيد ! ما كان أصبرك عليه .

حدثنا محمد بن الرقلم بنسخر حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثنا الأصمعي حدثنا
هاشم بن القاسم قال : سألت سالم بن قتيبة حاجة فقضاها ، ثم سألته أخرى ،
فاتهرنى وقال : حاجتين فى حاجة ، أو قال : على الريق ؛ ثم دعا بالطعام ، فلما
تعدى قال : هات حاجتك ، أما سمعت قول الصبيان :

إذا تغديت وطابت نفسى فليس فى الحق غلام مثلى

* إلا غلام قد تغدى قبلى *

أبناؤنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا مهدي بن سابق عن عطاء بن مصعب
قال : قال أبو عمرو المزدري : أتيت مسلم بن قتيبة فى حاجة ، وكان له صديق
من أهل الشام فكلمته أن يكلمه فى حاجتى ، فجعل يقول : اليوم ، غداً ، فطال
على ، فترأيت له ، وقد كان يعرفنى ، فدعانى فقال : أبا عمرو ، إنك لهاهنا ؟
قلت : نعم ، أطلبك بحاجة منذ كذا وكذا وسيلتى فيها فلان ، فضحك وقال :
قد كنت أراك قد أحكمت الآداب ، لا تستعن إلى من تطلب إليه حاجة بمن له
عنده طعمة : فإنه لا يؤثر على طعمته ، ولا تستعن بكذاب : فإنه يقرب لك
البعيد ويبعد لك القريب ، ولا تستعن بأحمق ، فإن الأحمق يجهد لك نفسه
ولا يكون عنده شيء ، ولا يبلغ لك ما تريد ، فأنصرفت ، فقلت : يكفينى هذا ،
قال : لا ، ولكن تقضى لك حاجتك ، فقضاها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للعاقل أن يتوسل فى قضاء حاجته
بالعدو ، ولا بالأحمق ، ولا بالفاسق ، ولا بالكذاب ، ولا بمن له عند المسئول
طعمة ، ولا يجب أن يجعل حاجتين فى حاجة ، ولا أن يجمع بين سؤال وتقاض ،
ولا يظهر شدة الحرص فى اقتضاء حاجته ، فإن الكريم يكفيه العلم بالحاجة دون
المطالبة والاقتضاء .

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجة ، فاصبر ، ولا تكُ للمِطال مَلُولاً
لا تُظهِرنَ شَرَّةَ الحريص ، ولا تكن عند الأمور إذا نهضت ثقيلاً
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي العرزمي :

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجة فحضوره يكفيك والتسليم
فإذا رآك مسلماً عرف الذي حملته فكأنه ملزوم
قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا يتسخط مأعطى ، وإن كان تافهاً ؛
لأن من لم يكن له شيء فكل شيء يستفيده ربح ، ولا يجب أن يسأل الحاجة
كل إنسان : فرب مهروب منه أنفع من مستغاث إليه ، ولا يجب أن يكون
السائل متشفعاً لآخر ؛ لأن من لم يقدر على أن يسبح فلا يجب أن يحمل على
عنقه الآخر ، ومن سئل فليبدل ؛ لأن مال المرء نصفان ، له ما قدم ، ولوارثه
ما خلف ، وأقرب الأشياء في الدنيا زوال المال والولاية ، والتعاهد للصنعة بالتحفظ
عليها أحسن من ابتدائها ، ومن غرس غراساً فلا يضمن بالنفقة على تربيته ،
فتذهب النفقة الأولى ضياعاً .

حدثني محمد بن أبي علي الخلادي حدثني محمد بن أبي يعقوب الربعي حدثنا
عبد الكريم بن محمد الموصلي حدثنا أبي ، قال : سمعت أبا تمام حبيب بن أوس
الطائي يقول : وقفت على باب مالك بن طوق الرحبي أشهراً فلم أصل إليه ، ولم
يعلم بمكاني ، فلما أردت الانصراف قلت للحاجب : أأذن لي إليه أم أنصرف ؟
قال : أما الآن فلا سبيل إليه ، قلت : فايصال رقعة ؟ قال : لا ، ولا يمكن
هذا ، ولكن هو خارج اليوم إلى بستان له فاكتب الرقعة وارم بها في موضع
أرانيه الحاجب ، فكتبت :

لعمري ، لئن حَجَبْتَنِي العبيد عنك ، فلم تحجب القافية
سأرمي بها من وراء الجدار شنعاء تأتلك بالدهية

تصم السميع وتعمى البصير ومن بعدها تسأل العافية
فكنتبت بها ورميت بها من المكان الذى أرائيه الحاجب فوقعت بين يديه ،
فأخرجها ، فنظر فيها ، فقال : علىّ بصاحب الرقعة ، فخرج الخادم ، فقال : من
صاحب الرقعة ؟ قلت : أنا ، فأدخلت عليه ، فقال لى : أنت صاحب الرقعة ؟
قلت : نعم ، فاستنشدنى فأنشدته ، فلما بلغت - ومن بعدها تسأل العافية - قال :
لا ، بل نسأل العافية من قبلها ، ثم قال : حاجتك ؟ فأنشأت أقول :
ماذا أقول إذا انصرفت وقيل لى : ماذا أصبت من الجواد المفضل ؟
وإن قلت : أغنانى كذبت ، وإن أقل ضنّ الجواد بماله ، لم يحمل
فاختر لنفسك ما أقول ، فإننى لا بد أخبرهم ، وإن لم أسأل
فقال : إذا والله لا أختار إلا أحسنها ، كم أفتت يبابى ؟ قلت : أربعة أشهر ،
قال : يعطى بعدد أيامه ألوفاً ، فقبضت مائة وعشرين ألف درهم .

سمعت محمد بن نصر بن نوفل بقول يقول : سمعت أبا داود السنجي يقول :
كان ببغداد رجل يقال له : ابن الهفت ، فمر يوماً على سائل واقف على الجسر ،
وهو يقول : اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني ، فقال له : تسأل ربك الحوالة ؟ .

ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالى

حدثنا محمد بن صالح الطبرى بالصيمرة حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء
الهمداني حدثنا مصعب بن المقدم حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن
جابر قال : « ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا ، ولا ضرب بيده
شيئاً قط » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء طلب المعالى من
الأخلاق ، مع ترك رد السؤال ؛ لأن عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق ،
والندامة موكلة بترك معالجة الفرصة ، وإن الحرّ - حقّ الحرّ - من أعتقته الأخلاق
الجميلة ، كما أن أسوأ العبيد من استعبدته الأخلاق الدنية ، ومن أفضل الزاد فى

المعاد اعتقاد المحامد الباقية ، ومن لزم معالى الأخلاق أنتج له سلوكها فراخا تطير بالسرور .

ولقد حدثني محمد بن سعيد القزاز حدثنا هارون بن صدقة القاضي حدثنا المسيب بن واضح يقول : سمعت يوسف بن أسباط يقول : ما كان المال مذ كانت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان .
وأنشدني محمد بن عبد الله بن زنجي البغدادي :

بادر هواك إذا هممت بصالح خوف العوائق أن تجيء فتغلب
وإذا هممت بسىء فتعده وتجنب الأمر الذى يتجنب
قال أبو حاتم رضى الله عنه : ماضع مال ورث صاحبه مجداً ، ولولا المتفضلون مات المتجملون ، وليس يستحق المرء اسم الكرم بالكف عن الأذى إلا أن يقرنه بالإحسان إليهم ، فمن كثر في الخير رغبته ، وكان اصطناع المعروف همته ، قصده الراجون ، وتأمله المتأملون ، ومن كان عيشه وحده ولم يعيش بعيشة غيره فهو - وإن طال عمره - قليل العمر ، والبأس من طال عمره في غير الخير ، ومن لم يتأس بغيره في الخير كان عاجزاً ، كان أن من استحسن من نفسه ما يستقبحه من غيره كان كالغاش لمن تجب عليه نصيحته ، ومن لم يكن له همه إلا بطنه وفرجه عد من البهائم ، والهمة تبلغ الرتبة العالية ؛ لأن الناس يهتمهم .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد الأنصارى حدثنا القلابى حدثنا ابن عائشة قال : قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان : كان لى خال من كلب ، فكان يقول لى : يا عبيد الله ، هم ؛ فإن الهممة نصف المروءة .
وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطى .

قد بلونا الناس فى أخلاقهم فرأيناهم لذى المال تبع
وحبيب الناس من أطعمهم إنما الناس جميعاً بالطعم
حدثنا عمر بن حفص البرازى - بجنديسابور - حدثنا إسحاق بن الضيف

حدثنا الحسن بن واقع الرملي حدثنا ضمرة بن ربيعة ، قال : سمعت كديرا
أبا سليمان الضبي يقول « كان لقصر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ثمانية أبواب
من حيث جاء السائل أعطى » .

حدثنا محمد بن أحمد الرقام - بتستر - حدثنا إسحاق بن الضيف حدثنا
أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله
عنهم : سمع رجلا إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف
فبعث بها إليه .

وأنشدني الكريزي :

لا تحقرنَّ صنيعَ الخير تفعله ولا صغير فعال الشر من صغره
فلو رأيت الذى استصغرت من حسنٍ عند الثواب أطلت العجب من كبره
سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني يقول : سمعت صالح بن آدم يقول :
أنشد إنسان عند عبد الله بن جعفر هذين البيتين :

إن الصنيعة لا تكونُ صنيعاً حتى يُصابَ بها طريقُ المصنع
فإذا صنعت صنيعاً فاعمد بها لله ، أو لذوى القرباة ، أو دَعِ
فقال عبد الله بن جعفر : إن هذين البيتين يبخلان الناس ؛ ينبغي لمن عمل
بهذا أن يدعو لمن طلب حاجة بالبيئة ، بل تَبَيَّنُ الصنائع ويرمى بها مواضع
القطر حيث حَلَّتْ ، وفي مثله يقول العتابي :

له في ذوى المعروف نِعْمى ، كأنه مواقعُ ماء القطر في البلد القفر
إذا ما أتاه السائلون لحاجة . علته مصابيحُ الطلاقة والبشر

حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد القيسي حدثنا أحمد بن مسروق حدثني ابن
أبي سعيد عن شيخ له قال : رأيت ابن المبارك يَعْصُ يد خادم له ، فقلت له :
تعص يدَ خادمك ؟ قال : كم أمره أن لا يعد الدرهم على السؤال ، أقول له :
أَحْتُ لِمَ حَتُوا .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال : قال إبراهيم بن أبي البلاد : حدثني أخى قال : رأيت الحجاج بنى فى عمله على العراق ، وقام إليه رجال من أهل الحجاز يسألونه ، فقال : توهمتم بنا أنا بغير بلادنا وما لكم مترك ، من ههنا من أهل العراق ؟ فقال : فقام إليه تجار أهل العراق ، فقال : هل من سلف ؟ فقالوا : نعم ، فحملوا إليه ألف ألف درهم ، فقسّمها ، فلما قدم العراق ردها ، وأكثر ظنى أنها ومثلها معها .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يبدأ بالصنائع والإحسان الأقرضَ فالأقرضَ ، يبدأ بأهل بيته ، ثم بإخوانه وجيرانه ، ثم الأقرب فالأقرب ، ويتجرى المعروف والإحسان فى أهل الدين والعلم منهم ، ويحتنب ضد ما قلنا ؛ لأن مثل من لم يفعل ما أوْمأنا إليه كما أنشدنى الحسين بن أحمد البغدادي :

تَصُولُ عَلَى الْأَدْنَى ، وَتَحْتَنِبُ الْعِدَا وَمَا هَكَذَا تَبَنَى الْمَكَارِمُ يَاجِيحِي
فَكُنْتَ كَفَحَلِ السُّوءِ يَنْزُو بِأَمِهِ وَيَتْرَكُ بَاقِيَ الْخِيَلِ سَائِمَةً تَرعى
وَأَنْشَدَنِى الْبَسَامِي :

وَكُنْتُ كَمَهْرِيْقِ الذِّى فِي سَقَائِهِ لِرَقْرَاقِ مَاءٍ فَوْقَ رَايِيَةِ صَلْدٍ
كَمَرْضَعَةِ أَوْلَادٍ أُخْرَى ، وَضِيَعَتْ بَنَى بَطْنَهَا ، هَذَا الضَّلَالُ مِنَ الْقَصْدِ

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل يبتدىء بالصنائع قبل أن يسأل ؛ لأن الابتداء بالصنعة أحسن من المكافأة عليها ، والإمساك عن التعرض خير من البذل ، والصنائع إنما تحسن بإتمامها ، والتحافظ عليها بعدها ؛ لأن بصلاح الخواتم تزكو الأوائل ، والعطية بعد المنع أجمل من المنع بعد العطية ، والناس فى الصنائع على ضربين : شاكر ، وكافر ، ولقد أنشدنى بعض إخواننا .

وما الناسُ فى حسن الصنعة عندهم وفى كفرهم إلا كبعض المزارع

فمزرعة طابت وأضعف ريعُها ومزرعة أكدت^(١) على كل زارع

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

ومن يَضَعُ المعروف في غير أهله يكن ضائعاً في غير حمد ولا أجر

وحسب امرئ من كفر نعمة جُودها إذا وقعت عند امرئ غير ذي شكر

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

لعمرك ما المعروف في غير أهله وفي أهله إلا كبعض الودائع

فستودع ضاع الذي كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع

قال أبو حاتم رضي الله عنه : الهمج من الناس إذا أحسن إليه يرى ذلك

استحقاقاً منه له ، ثم يرى الفضل لنفسه على الحسن إليه ، فلا يحمد عند الخير ،

ولا يشكر عند البر ، ويتعجب ممن يشكر ، ويدم من يحمد ، وإذا امتحن العاقل

بمثل من هذا نعتة استعمل معه ما أنشدني الكريزي :

إن ذا اللؤم إذا أكرمه حسب الإكرام حقاً لزمك

فأهنه بهوان ، إنه إن شهنه بهوان أكرمك

وأنشدني الأبرش :

إذا أوليتَ معروفاً لثماً يעדك قد قتلتَ له قتيلاً

فكن من ذاك معتذراً إليه وقل : إني أتيتك مستقيلاً

فإن تغفر ، فمجتري عظيم وإن عاقبت لم تظلم فتبلاً

ولستُ بعائد أبداً لهذا وقد حملتني حملاً ثقيلاً

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أهنا الصنائع ، وأحسنها في الحقائق ، وأوقعها

بالقلوب ، وأكثرها استدامة للنعم ، واستدفاعاً للنقم ، ما كانت خالية عن المن في

البداء والنهاية ، متعزية عن الامتنان ، وهو الغاية في الصنعة ، والنهاية في

الإحسان .

(١) أي : منعت وخيب ظن الزارع ، وأصله من السكدة ، وهي القطعة الغليظة

الصلبة من الأرض لا يعمل الفأس فيها .

ولقد أنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَنٍ
صَنِيعَةٌ مَرْبُوبَةٌ خَالِيَةٌ مِنَ الْمَنَنِ

حدثنا محمد بن غندار بن محمد الحارثي بالبصرة حدثنا سهل بن راذويه حدثنا
محمد بن أبي الدواهي عن أبيه قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يؤاس الناس من فضلها عرض للإدبار إقبالها
فاحذر زوال الفضل يا حائرًا واعط من الدنيا لمن سألها
فإن ذا العرش سريع الجزا يخلف بالحبة أمثالها

حدثنا محمد بن المهاجر حدثنا محمد بن أحمد بن النضر المعنى حدثني سعيد
حدثني أبوك - يعني أباه أحمد بن النضر - قال : كان بالكوفة قوم من العرب ،
فأصاب رجل منهم حاجة . فكان عياله يغزلون ويبيعون ، وكان يشركهم ،
فقالوا : لا تعود علينا بشيء ، وما نكسب تشركنا فيه ، فأنف من قولهم ، فخرج
يؤم بغداد ، ولم يدخل بغداد قبل ذلك ، وليس له حميم ولا قريب بها . فدخلها
ومر على وجهه ، فرى على باب يعقوب بن داود كاتب المهدي ، فرأى قوماً جلوساً
عليهم بزة ، فقال : ما أخلق هؤلاء دُعوا إلى وليمة ، لو دخلت معهم ، لعل أصيب
شبهة ، فاندس معهم ، فخرج الإذن ، فقال : ادخلوا ، فدخلوا إلى دار قوراء
كبيرة ، وإذا بهم في صدر الدار ، فجلسوا في البهو يمتنعون ويسترعون ، وأخلوا الصدر
فجاء يعقوب فسلم عليهم وقعد ، ثم قال : يا غلام ، هات ، فجاء بصوان عليها
مناديل مغطى بها ، وإذا فيها أكياس ، فقال : أعطهم ، فوضعوا في حجر كل
رجل منهم كيساً ، ووضعوا في حجري كيساً ، حتى فرغ منهم ، ثم قال : أعد
عليهم ، فوضع في حجر كل رجل منهم كيساً ، ووضعوا في حجري كيساً ، حتى
والى بين خمسة أكياس ، ثم قال : قوموا مبارك لكم ، فقاموا ، وقد ارتاب فيه

الخدم ، وليس له عندهم اسم ولم يعرفوه . فلما بلغ الدهليز بطوه فصاح وصاحوا ، وسمع يعقوب الصوت ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : رجل دخل مع هؤلاء القوم لا نعرفه ، فقال : على به ، فقال له : يا عبد الله ، ما أدخلك هذه الدار ؟ فقص عليهم القصة والسبب الذى دخل له ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من يعرفك بالكوفة ؟ قال : يعرفني فلان وفلان . فسمى له قوماً يعرفهم ، فقال : خلوا عن الرجل ، إنا كاتبون إلى هؤلاء القوم ، فإن كان الأمر على ما ذكرت ، فتعال كل سنة في هذا الوقت ، ولك عندنا مثل هذا ، وكتب إلى القوم ، فسألهم فكتبوا بمعرفته ، فكان يحى أيام حياته فيأخذ خمسة آلاف وينصرف .

ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام

حدثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ببغداد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو الأحوص عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف ؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ، ومن أعظم مراتب ذوى الحجبى ، ومن أحسن خصال أولى النهى ، ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب ، وقصده الرضى والغائب ، وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقى نسبه إلى منتهى بغيته ، ونهاية محبته ، ويشرفه برفع الذكر وكال الذخر .

حدثنا محمد بن زنجويه القشيري حدثنا أبو مصعب حدثنا الدراوردي عن يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : كان إبراهيم الخليل أول من أضاف الضيف .

حدثنا الانصارى حدثنا الغلابى حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب حدثنا الأصمعى أخبرنى نافع بن أبى نعيم قال : قال رجل ممن قد أدرك الجاهلية « قدمت المدينة ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار دليم - وهو جد سعد ابن عباد بن دليم سيد الخزرج - ثم ضرب الزمان من ضربه ، فقدمت المدينة . فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار عبادة ، ثم ضرب الزمان من ضربه فقدمتها ، فإذا مناد ينادى : من أراد الشحم واللحم فليأت دار سعد » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : كل من ساد فى الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد ، وانقاد له قومه ، ورحل إليه القريب والقاصى ، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام ، وإكرام الضيف .

والعرب لم تكن تعدُّ الجود إلا قرى الضيف ، وإطعام الطعام ، ولا تعد السخى من لم يكن فيه ذلك ، حتى إن أحدهم ربما سار فى طلب الضيف الميل والميلين .

ولقد حدثنى محمد بن المنذر حدثنا على بن الحسن الفلستينى حدثنا أبو بكر السنى حدثنا محمد بن سليمان القرشى قال : بينما أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف على الطريق فى أذنيه قرطان . وفى كل قرط جوهره يضىء وجهه من ضوء تلك الجوهرة ، وهو يمجدر به بأبيات من شعر ، فسمعتة يقول :

ملك فى السماء به افتخارى عزيز القدر ليس به خفاء
فدنوت إليه . فسلمت عليه ، فقال : ما أنا براد عليك سلامك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك ، قلت : وما حقك ؟ قال : أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ، لا أتعدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف ، فأجبتة إلى ذلك ، قال : فرحبت بى ، وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر ، فلما قربنا من الخيمة صاح : يا أختاه ، فأجابتة جارية من الخيمة يالبيكاه قال : قومى إلى ضيفنا هذا ، قال : فقالت الجارية : اصبر حتى أبدأ بشكر المولى الذى سبب لنا هذا الضيف ، قال : فقامت وصلّت ركعتين شكراً لله ، قال :

فأدخلني الخيمة ، فأجلسني ، فأخذ الغلام الشَّفْرَةَ ؛ وأخذ عَنَاقًا لَهُ لِيَذْبَحَهَا ^(١) ، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى جارية أحسن الناس وجهًا ، فكنت أسارقها النظر ، ففطنت لبعض لحظاتي ، فقالت لي : مه ، أما علمت أنه نقل إلينا عن صاحب يثرب - تعني النبي صلى الله عليه وسلم - : أن « زَيْنَا العَيْنِينَ النظر » أما إني ما أردت بهذا أن أوبخك ، ولكني أردت أن أؤدبك ، لكيلا تعود لمثل هذا ، فلما كان وقت النوم بثُّ أنا والغلام خارج الخيمة ، وباتت الجارية في الخيمة . قال : فكنت أسمع دوىَّ القرآن الليل كله أحسن صوت يكون وأرقّه ، فلما أن أصبحت قلت للغلام : صوت من كان ذلك ؟ قال : فقال : تلك أختي تُحْيِي الليل كله إلى الصباح ، قال فقلت : يا غلام ، أنت أحق بهذا العمل من أختك ، أنت رجل وهي امرأة ، قال : فتبسّم ، ثم قال : ويحك يا فتى ! أما علمت أنه موفقٌ ومخدول .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب الواسطي :
إذا ما أتاك الضيفُ فابداً بحقه قبل العيال ، فإنَّ ذلك صوبٌ ^(٢)
وعظَّم حقوق الضيف واعلم بأنه عليك بما توليه مثنٍ وذاهب
أنبأنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال : صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكلَ وحده .

حدثني محمد بن عثمان العقبي حدثنا أبو أمية حدثنا عصام بن عمرو أبو حميد الطائي حدثنا عمرو بن هانيء قال : كان رافع بن عميرة بن عمرو السنبسي - فخذ من طيء - يُعَدِّي أهل ثلاثة مساجد ويعشيهم ، يوماً بثرائد ، ويوماً برطبة - يعني الخيس - وماله قميص إلا قميص هو لجمعته وهو للبيت .

(١) الشفرة - بالفتح - السكين . والعناق - بوزن السحاب - الأنثى من ولد المعز

(٢) عجز هذا البيت لا يستقيم مع صدره ولا مع ما بعده

قال أبو حاتم رضى الله عنه : يجب على العاقل ابتغاء الأضياف ، وبذل الكِسَر ؛ لأن نعمة الله إذا لم تُصَنَّ بالقيام فى حقوقها ترجع من حيث بدأت ، ثم لا ينفع من زالت عنه التلief عليها ، ولا الإفكار فى الظفر بها ، وإذا أدى حق الله فيها استجلب النماء والزيادة ، واستدخر الأجر فى القيامة ، واستقصر إطعام الطعام .

وعنصر قرى الضيف هو ترك استحغار القليل ، وتقديم ماحضر للأضياف ، لأن من حَقَّر منع ، مع إكرام الضيف بما قدر عليه ، وترك الادخار عنه .
ولقد حدثنى كامل بن مكرم حدثنا محمد بن يعقوب الفرجى حدثنا الوليد ابن شجاع حدثنا عقبه بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعى : ما إكرام الضيف ؟ قال : طَلَاقة الوجه ، وطيب الكلام .

وأنشدنى الكرىزى فى قوم لم يكونوا يضيفون :

أقاموا الدَّيْدَانَ على يَفَاعٍ^(١) وقالوا : لا تَنَمَ للديدان
إذا أبصرت شخصاً من بعيد فصَقَّ بالبنان على البنان
ترام خشية الأضياف خُرْسًا يُصَلُّون الصلاة بلا أذان
قال أبو حاتم رضى الله عنه : أبجل البخلاء من بخل بإطعام الطعام ، كما أن من أجود الجود بذله ، ومن ضَنَّ بما لا بد للجنة منه ، ولا تربو النفس إلا عليه : كان بغيره أبجل ، وعليه أشح .

ومن إكرام الضيف : طيب الكلام ، وطلاقة الوجه ، والخدمة بالنفس ، فإنه لا يَبْدَلُ من خدم أضيافه ، كما لا يعزُّ من استخدمهم ، أو طلب لقراء أجرأ .
وأنشدنى كامل بن مكرم أنشدنى محمد بن سهيل :

وإني لطلق الوجه للمبتغى القرى وإن فسأتى للقرى لرحيب
أضاحك ضيفى عند إنزال رحله فيخصبُ عندى ، والحلُّ جديبُ

(١) اليفاع : الأرض المرتفعة .

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصب
وأشدني الأبرش :

لا تبخلنّ بدنيا ، وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولّت فأحرى أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف
أنا أنا الأنصارى حدثنا الغلابي حدثنا العقبى عن أبي مخنف لوط بن يحيى
حدثني هشام بن عروة عن أبيه : أن قيس بن سعد بن عبادة خرج من مصر ،
فرّ بأهل بيت من القَيْن . فنزل بهم ، فنحر لهم صاحب المنزل جَزَورا وأتاهم به ،
فقال : دونكم ، فلما كان من الغد نحر لهم آخر ، ثم حبستهم السماء اليوم
الثالث ، فنحر لهم مثله ، فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب
مصر وأربعة آلاف درهم عند امرأة الرجل ، وخرج قيس ، فما سار إلا قليلا
حتى أتاه صاحب البيت على فرس كريم ورمح طويل ، وقدامه الثياب والدرهم ،
فقال : ياهؤلاء ، خذوا بضاعتكم غنى ، قال قيس : انصرف أيها الرجل ، فإننا لم
نكن لناخذها ، فقال الرجل : لتأخذنّها ، أو لا ينفذ منكم رجل ، أو تذهب
نفسى ، فعجب قيس منه ، وقال : لِمَ ؟ لله أبوك . ألم تكرمنا وتحسن إلينا ؟
فكفأناك ، مافى هذا من بأس ، فقال الرجل : إنا لا نأخذ لقرى ابن السبيل
وقرى الضيف ثمنا ، لا والله لا أفعل أبداً ، قال لهم قيس : أما إذ أبى فخذوها
منه ، فأخذوها ، ثم قال قيس : مافضلتى ^(١) رجل غير هذا .

حدثني أحمد بن عمرو الزنبقي بالبصرة حدثنا الحسن بن مدرك السدوسي
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله القرشي حدثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب
قال : لأن أشبع كبداً جائعة أحب إلىّ من حجة بعد حجة .

حدثنا محمد بن سعيد القزاز حدثني عيسى بن أبي موسى الأنصارى حدثني
أبي حدثنا أحمد بن بشير عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان من دعاء قيس

(١) فضلتى : زاد على فى الفضل وأرى .

ابن سعد بن عبادۃ « اللهم ارزقنى مالاً وفعالاً ؛ فإنه لا يصلح الفعّال إلا بالمال »

ذكر الحث على المجازاة على الصنائع

حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي حدثنا عبد الرحمن بن بكر بن الربيع ابن مسلم ، قال : سمعت الربيع بن مسلم يقول : سمعت محمد بن زياد يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على من أشدّى إليه معروف أن يشكره بأفضل منه أو مثله ؛ لأن الإفضال على المعروف في الشكر لا يقوم مقام ابتدائه وإن قلّ ، فمن لم يجد فليُثّن عليه ؛ فإن الثناء عند العدم يقوم مقام الشكر للمعروف وما استغنى أحد عن شكر أحد .

ولقد أنشدني محمد بن زنجي البغدادي :

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد لعزّة مُلْك ، أو علوّ مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال : اشكروني ، أيها الثقلان
وأنشدني الكريزي :

إذا المرء لم يشكر قليلاً أصابه فليس له عند الكثير شكور
ومن يشكر الخلق يشكر لربه ومن يكفر الخلق فهو كفور

وأنشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

حافظ على الشكر كي تستجزل القسا من صيغ الشكر لم يستكمل النعا
الشكر لله كنز لا نفاذ له من يلزم الشكر لم يكسب به ندما

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي حدثنا العقبى قال : مر سعيد بن العاص بدار رجل بالمدينة ، فاستسقى فسقّوه ، ثم مر بعد ذلك بالدار ومناد ينادى عليها فيمن يزيد ، فقال لمولاه : سل ، لم تباع هذه ؟ فرجع إليه فقال : على صاحبها دين قال : فارجع إلى الدار ، فرجع ، فوجد صاحبها جالساً وغريمه معه ، فقال : لم تبيع

دارك؟ قال : لهذا عليّ أربعة آلاف دينار ، فنزل وتحدث معهما ، وبعث غلامه فأتاه ببدرة ، فدفع إلى الغريم أربعة آلاف ، ودفع الباقي إلى صاحب الدار ، وركب ومضى .

وأنشدني المنتصر بن بلال :

ومن يُسَدِّ معروفًا إليك ، فكُن له
ولا تبخلن بالشكر ، والقرَضَ فاجزِه
وأنشدني بعض أهل العلم .

فكن شاكرًا للمنعمن لفضلهم
ومن كان ذا شكر فأهلُ زيادة
وأنشدني الكريزي :

أحق الناس منك بحسن عون لمن سلفت لكم نعم عليه
وأشكرهم أحقهم جميعاً بحسن صنيعه منكم إليه
قال أبو حاتم رضي الله عنه : ' الحر لا يكفر النعمة ، ولا يتسخط المصيبة ، بل عند النعم يشكر ، وعند المصائب يصبر ، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أو شك أن لا يشكر الكثير منه ، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر لله جل وعلا ، ولن أسداها إليه .

ولقد حدثني أحمد بن محمد القيسي حدثني محمد بن المنذر حدثنا إسحاق بن إبراهيم القرشي قال : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : ماتت لعبيد بن معمر بنت ، فقعده في المأتم في مسجده في سكة سبانوش ، فجاء عبيد الله بن أبي بكرّة معزيا ، وإذا الأشراف قد أخذوا موضعهم ، فنظر إليه رجل قد كان سبق إلى مجلسه مع الأشراف قد عرفه ، فقام قائماً ، وجعل يقول له : ههنا ، حتى أخذ بيده فأقعده في مجلسه ، ثم ذهب فقعده في أخريات الناس ، فأمر عبيد الله غلاماً كان معه أن يتعاهده إلى قيامه ، فلما قام دعا الرجل ، فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، قال : من أنا ؟ قال : أنت عبيد الله بن أبي بكرّة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : فما حملك على تركك مجلسك لي ؟ قال : إجلالا لولده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أوجب الله على أمثالي خصوصاً من التبجيل ، فقال له عبيد الله : هل لك على أن تصحبنا إلى ضيعة نريد أن نصير إليها ؟ قال : نعم ، قال فصحبه الرجل إلى تلك الضيعة في نهر مكحول ، ضيعة فيها ثلاثمائة جريب نخل وعلى وجه الضيعة قصر بُني بآجرٍ وجص وخشب ساج ، فلما دخل الضيعة أخذ عبيد الله بيد الرجل وجعل يدور به في تلك النخيل ، فقال للرجل : كيف ترى هذه الضيعة ؟ قال : تالله ما رأيت نخيلاً أحسن منها ، ولا أكثر ثمرة ، ولا أسمى ضيعة منها ، قال : قد جعلناها لك بما فيها من الخدم والآلة نبعث إليك بصكها ، قال : فاستطار الرجل فرحاً وبكاء . وقال : أنعشتني وأنعشت عيالي ، فقال عبيد الله : وكم لك من العيال ؟ قال : ثلاثه عشر نفساً ، قال : فإنني قد جعلت اسم عيالك في اسم عيالي : أنفق عليهم ما عشت ، فقال له عبيد الله : من تكون له مثل هذه الضيعة يحتاج أن يكون منزله في سرّة البصرة ، إذا صرنا إلى منزلنا فاغد علينا نأمر لك بشراء دار تشبه هذه الضيعة ، ورأس مال وخدم تصلح لدارك تعيش بها إن شاء الله ، قال : فعدا الرجل عليه ، فأمر له بشراء دار بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه عشرة آلاف دينار ، ودفع إليه صك الضيعة ، وأمر له بدابة وبغل وسأس وكسوة وصرفه .

وأنشدني الأبرش :

الشكر يفتح أبواباً مُعلّقة لله فيها على من رامه نعمٌ
فبادر الشكر ، واستغلق وثائقه واستدفع الله ما تجرى به النقمُ

حدثنا أحمد بن الحسن المدائني بمصر قال : سمعت الربيع بن سليمان يقول : أخذ رجل بركاب الشافعي ، فقال : ياربيع أعطه أربعة دنانير ، قال : فأعطيته إياها

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

ومن يشكر العرف الصغير فإنه سينمى ، ويحتر المزيد أصاغره

ومن يشكر المعروف يحمّد إلهه ويضعف أضعافاً على الحمد شاكره
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

وإذا اصطنعتَ إلى أخيك صنيعاً ، فأنسَ الصنيعه
والشكر من كرم الفتى والكفر من لؤم الطبيع
والصبر أكرم صاحبٍ فاصبره ، إن نزلتُ فيجعه

حدثنا أحمد بن قريش بن بشر بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم بن محمد الذهلي
حدثنا أحمد بن خليل حدثنا يحيى بن أيوب عن أبي عيسى قال : كان إبراهيم
ابن أدهم إذا صنع إليه أحد معروفاً حرص على أن يكافئه ، أو يتفضل عليه ، قال
أبو عيسى : فلقيني وأنا على حمار ، وأنا أريد بيت المقدس ، جائياً من الرملة ،
قال : وقد اشتري بأربعة دوانيق ثفاحاً وسفراً جلاً وخوخاً وفاكهة ، فقال :
يا أبا عيسى ، أحب أن تحمل هذا ، قال : وإذا عجوز يهودية في كوخ لها ، فقال :
أحب أن توصل هذا إليها ، فإنتي مررت وأنا ممسٍ ، فبيتنتني عندها ، فأحب أن
أكافئها على ذلك .

وأنشدني الكريزي .

يدُ المعروف غُفٌّ حيث تُسدى تحمّلها شكورٌ ، أم كفورٌ
كفى شكر الشكور لها جزاءً وعند الله ما كفر الكفور
وأنشدني بعض أهل العلم :

رهنتُ يدي للعجز عن شكر برّه وما فوق شكرى للشكور مزيد
ولو كان شيء يستطيعُ استطعته ولكنّ مالا يستطيع شديد
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على المرء أن يشكر النعمة ، ويحمد
المعروف على حسب وسعِهِ وطاقته ، إن قدر بالضعف ، وإلا فبالمثل ،
وإلا فالمعرفة بوقوع النعمة عنده ، مع بذل الجزاء له بالشكر ، وقوله : جزاك الله
خييراً ، فمن قال له ذلك عند العدم فكأنه أبلغ في الثناء .

ومن الناس من يكفر النعم ، وكفران النعم يكون من أحد رجلين : إما رجل لا معرفة له بأسباب النعم والمجازاة عليها ، لما لم يُركَّب فيه من التفقد لمراعاة العشرة ، فإذا كان كذلك وجب الإغضاء عنه ، وترك المناقشة على فعله ، والرجل الآخر : أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة ، استخفافاً بالمنعم ، واستحقاراً للنعمة وتهاوناً في نفسه لها أو لأحدهما ، فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعل مثله ، والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به .

وأنشدني علي بن محمد :

علامة شكر المرء إعلان حمده فمن كتم المعروف منهم فما شكر .
إذا ماصديق نال خيراً ، فخانني فما الذنب عندي للذي خان أو فجر .
ولكن إذا أكرمته بعد كفره فإني ملوم حيث أكرم من كفر .

وأنشدني محمد بن إسحاق بن حبيب :

إذا أنا أعطيت القليل شكرتم وإن أنا أعطيت الكثير فلاشكر .
وما لمت نفسي في قضاء حقوقكم وقد كان لي فيما اعتذرت به عذر .
قال أبو حاتم رضى الله عنه : إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع والسعي فيها من غير قضائها ، إذا كان المنعم ذوى القدر فيه ، والاهتمام بالصنائع لأن الاهتمام بما فاق المعروف ، وزاد على فعل الإحسان ، إذ المعروف يعمل المرء لنفسه ، والإحسان يصطنعه إلى الناس ، وهو غير مهم به ، ولا مشفق عليه ، وربما فعله الإنسان وهو كاره ، والاهتمام لا يكون إلا من فرط عناية وفضل ود ، فالعاقل يشكر الاهتمام أكثر من شكره للمعروف .

أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

لأشكرنك معروفاً هممت به إنَّ اهتمامك بالمعروفِ معروف .
ولا أؤمك إن لم يمضه قدر فالشيء بالقدر المجلوب مصروف .
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

بَطَرَ النِّعْمَةَ مَنْ ضَيَّعَهَا وَمُضَيِّعُ الشُّكْرِ مُسْتَدْعَى الْعِزِّ
فاجعل الشكر عليها حارساً ربما ابتزَّ الفتي النعمى البطر
حدثني عمرو بن محمد حدثنا محمد بن زكريا حدثنا محمد بن عبد الله الجشمي
حدثنا علي بن محمد قال : مر عمر بن هبيرة - لما انصرف في طريقه - فسمع
امراً من قيس تقول : لا والذي ينبجي عمر بن هبيرة ، فقال : يا غلام ، أعطها
مامعك ، وأعلمها أني قد نجوت .

ذكر الحث على سياسة الرياسة ، ورعاية الرعية

حدثنا عبد الله بن قحطبة حدثنا العباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا مؤمل
ابن إسماعيل حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن دينار قال : سمعت ابن عمر يقول :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ،
فالأمير راع على رعيته ، ومسئول عنهم . والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول
عنهم ، والمرأة راعية على بيت زوجها ، وهي مسئولة عنه ، والعبد راع على مال
سيده ، وهو مسئول عنه » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : صرحت الشُّنَّة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم
بأن كل راع مسئول عن رعيته ، فالواجب على كل من كان راعياً لزوم التعاهد
لرعيته ، فرعاة الناس العلماء ، وراعى الملوك العقل ، وراعى الصالحين تقواهم
وراعى المتعلم معلمه ، وراعى الولد والده ، كما أن حارس المرأة زوجها ، وحارس العبد
مولاه ، وكل راع من الناس مسئول عن رعيته .

وأكثر ما يجب تعاهد الرعية للملوك ؛ إذ هم رعاة لها ، وهم أرفع الرعاة لكثرة
نفاذ أمورهم ، وعقدُ الأشياء وحلها من ناحيتهم ، فإذا لم يراعوا أوقاتهم ولم
يحتاطوا لرعيتهم هلكوا وأهلكوا ، وربما كان هلاك عالم في فساد ملك واحد ،
ولا يدوم مُلكُ ملك إلا بأعوان تطيعه ، ولا يطيعه الأعوان إلا بوزير ، ولا يتم
ذلك إلا بأن يكون الوزير ودوداً نصوحاً ، ولا يوجد ذلك من الوزير إلا بالعفاف

والرأى ، ولا يتم قوام هؤلاء إلا بالمال ، ولا يوجد المال إلا بصلاح الرعية ، ولا تصلح الرعية إلا بإقامة العدل ، فكأن ثبات الملك لا يكون إلا بلزوم العدل ، وزواله لا يكون إلا بمفارقه .

فالواجب على الملك : أن يتفقد أمور عماله ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ؛ لأنه إذا خفي عليه أعمال عماله لم يكن قائماً بالعدل .

ولقد أنشدني علي بن محمد البسامي :

إذا سُئِلَ قوماً فاجعل العدل بينهم وبينك : تأمن كلَّ ماتخوف
وإن خِفْتَ من أهواء قوم تشتتاً فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب القاضي حدثنا الأصمعي قال : قال ملاك طُخَّارِستان لنصر بن سَيَّار : ينبغي للأمر أن يكون له ستة أشياء : وزير يثق به ويفضى إليه بسرّه ، وحصان يلجأ إليه إذا فرغ أنجاه يعني فرساً ، وسيف إذا نازل به الأقران لم يخف أن يخونه ، وذخيرة خفيفة الحمل إذا نابته نائبة أخذها ، وامرأة إذا دخل إليها أذهبت همّه ، وطباخ إذا لم يشته الطعام صنع له شيئاً يشتهيه .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشة والمهاشة للناس ، ولا أن يُقِلَّ منهما . فإن الإكثار منهما يؤدي إلى الخفة والسخف ، والإقلال منهما يؤدي إلى العجب والكبر ، ولا ينبغي له أن يغضب ؛ لأن قدرته من وراء حاجته ، ولا أن يكذب ، لأنه لا يقدر أحد على استكراهه ، ولا له أن ييخل ؛ لأنه لا عذر له في منع الأموال والجاه معاً ، ولا له أن يحقد ؛ لأنه يجب أن يترفع عن المجازاة ، فأفضل للسلطان ما لم يخالطه البطر ، وأعجزهم آخذهم بالهوى ، وأقلهم نظراً في العواقب ، وخير السلطان من أشبه الناس حوله الجيف ؛ لامن أشبه الجيف حولها النسور .

ويجب عليه استبقاء الرياسة ، ومافيه من نعمة الله عليه ، بلزوم تقوى الله ، وتفقد

أُمُور الرعية ، وإنصاف بعضهم بعضاً ؛ لأنه مامن قوى في الدنيا إلا وفوقه أقوى منه ، فمتى ما عرف السلطان فضل قوته على الضعفاء ففَرَّه ذلك من قوة الأقوياء كانت قوته حينئذٍ عليه وهلاكاً له ، والضعيفُ المحتسُّ أقرب إلى السلامة من القوى المغتر؛ لأن سرعة الاسترسال لا تكاد تُستقال ، ولا يجب أن يعجل في سلطانه بعقاب من يخاف أن يندم عليه ، ولا يثقن بمن عاقبه من غير جرم .
وما أشبه السلطان إلا بالنار ، إن قصرت بطلَ نفعها ، وإن جاوزت عظم ضررها ، فخير السلطان من أشبه الغيث في أحيائه في نفع من يليه ، لامن أشبه النار في أكلها ما يليها .

والسلطان إذا كان عادلاً خيراً من المطر إذا كان وابلاً ، وسلطان غشوم شر من فتنة تدوم ، والناس إلى عدل سلطانهم أحوج منهم إلى خصب زمانهم .
ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا مرجي بن مؤمل بن المثنى المري عن أبيه قال : قال الأحنف بن قيس « الولي من الرعية مكانُ الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا به ، وموضع الرأس من أركان الجسد الذي لا بقاء له إلا معه » .

وأنشدني ابن زنجي البغدادي للأفوه الأودي :
لا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْضَى لاسِرَّةَ لَهُمْ ولا سِرَّةَ إِذَا جَهْلُهُمْ سَادُوا
وَالْبَيْتُ لَا يُبْتَنَى إِلَّا بِأَعْمَدَةٍ ولا عِمَادٍ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعْمَدَةٌ وساكنٌ أدركوا الأمر الذي كادوا
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الواجب على السلطان قبل - كل شيء - أن يبدأ بتقوى الله ، وإصلاح سريره بينه وبين خالقه . ثم يتفكر فيما قلده الله من أمر إخوانه ، ورفعه عليهم ، ليعلم أنه مسئول عنهم في دق الأمور وجلها ، ومحاسبٌ على قليلها وكثيرها ، ثم يتخذ وزيراً صالحاً عاقلاً غفياً نصوحاً ، وعملاً صالحين

بررة راشدين ، وأعوانا مستورين ، وخداماً معلومين ، ثم يقلد عماله مالا غنى له عنهم ، ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته ، وأخذ المال من حله ، ويفرقه في أهله ، ثم يتفقد أمر بيت المال بأن لا يدخله حبة فما فوقها من قهر أو جور ، أو سلب أو نهب أو رشوة ؛ فإنه مسئول عن كل ذرة منه ، ومحاسب على كل حبة فيه ، ثم لا يخرج إلا في المواضع التي أمر الله جل وعلا في سورة الأنفال^(١) .

ثم يتفقد أمور الحرمين وطريق الحاج ومجاورى بيت الله ، وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يتفقد ثغور المسلمين ، ولا يولى على الثغور من عماله إلا من يعلم أن القتل في سبيل الله يكون آثر عنده من البقاء في الدنيا ، ليغزى الناس ولا يعطل الثغر .

ثم يتفقد ثغور المسلمين ومراقبهم والأبراج التي بين المسلمين وبين عدوهم ، بأن يعمرها ، ويقيم فيها أعيناً من المسلمين تتجسس أخبار العدو ، ويجرى عليهم من بيت عالم .

ثم يتفقد أولاد المهاجرين والأنصار بعطاياهم ، ويعرف فضيلتهم ، وسابقة آبائهم ، وأنه إنما نال ما نال بهم .

ثم يتفقد أمور الحكم بأن لا يولى أحداً على قضاء المسلمين إلا من يعلم منه العفاف والعلم ، وترك الميل إلى الهوى ، والحكم بغير ما يوجب العلم .

ثم يتفقد أهل العلم والقراء والمؤذنين والصالحين وضعفاء المسلمين ، وليكن لمن هو أصغر سنّاً منه أبا ، ولمن هو أكبر منه ابناً ، ولأثرابه^(٢) أخاً ، فيكون في تفقد أمورهم ولصلاح أسبابهم أكثر من تفقدهم بأنفسهم .

(١) في قوله تعالى (٨ : ٤١) واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - الآية) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

(٢) الأثراب : جمع ترب - بكسر أوله - المساوى لك في السن .

ثم يختار من الرعية أقواماً أمناء ، يبعث بهم في كل سنة إلى المدن ؛ ليشرفوا على العمال والحكام ، ويتفقدوا أسبابهم وسيرهم ، ويخبروه بها ، فيعزل من استحق منهم العزل ، ويقر من اتبع الحق .

ثم يجعل لنفسه موضعاً لا يمنع منه لطرح القصص ، ويبرز للرعية في كل يوم مرة ، أو في كل ثلاثة أيام ، أو في كل أسبوع ، ليرفعوا إليه حوائجهم . وليجتنب الحدة ، وليلزم الحلم الدائم فما يرد عليه من أسبابهم .

ولقد حدثنا عبد الله بن قحطبة ، حدثنا محمد بن زنبور ، حدثنا أبو بكر ابن عياش : أن أهل الجاهلية لم يكونوا يسودون عليهم أحداً لشجاعة ولا لسخاء إنما كانوا يسودون من إذا شتمَ حَلَمَ ، وإذا سئل حاجة قضاه ، أو قام معهم فيها .

وأشدنى الأبرش :

وقد يُبَغِضُ الحياتِ أولادُ آدم . وأبغضُ ما فيها إليهم رؤوسها
وما ابتليتُ يوماً بِشَرِّ قبيلةٍ أضرَّ عليها من سَفِيهِ يسوسُها
قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يستحق أحد اسم الرياسة حتى يكون فيه
ثلاثة أشياء : العقل ، والعلم ، والمنطق .

ثم يتعزى عن ستة أشياء : عن الحدة ، والعجلة ، والحسد ، والهوى ، والكذب ، وترك المشاورة .

ثم ليلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء : الرفق في الأمور ، والصبر على الأشياء ، وطول الصمت .

فمن تعرّى من هذه الأشياء - وهو ذو سلطان - عمى عليه قلبه ، وتشتت عليه أموره ، ومن لم يكن فيه خصلة من هذه الخصال نقص من ضوء بصر قلبه مثلها ، ودخل الخلل في أموره نحوها .

وإنما مثل الرئيس والرعية ، كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد . فإن لم يكن

ذلك القائد أحد الناس بصراً ، وألطفهم نظراً ، كان خليقاً أن يوقعهم وإياه في وهدة تندق أعناقهم وعنقه معهم .

والواجب على السلطان أن لا يغفل عن الأشياء الأربعة ، التي صلاحه في دينه ودنياه فيها ، وهي ماحدثنا به عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي حدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي حدثنا المدائني قال : « خرج الزهري يوماً من عند هشام بن عبد الملك ، فقال : مارأيت كاليوم ، ولا سمعت به ، كأربع كلمات تكلم بهن رجل آنفاً عند هشام بن عبد الملك ، فقليل له : وما هن ؟ قال : قال له رجل : يا أمير المؤمنين ، احفظ عني أربع كلمات ، فيهن صلاح ملبك ، واستقامة رعيتك ، قال : هاتهن ، قال : لا تعدن عدة لاتثق من نفسك بإنجازها ، ولا يغرنك المرتقى ، وإن كان سهلاً ، إذا كان المنحدر وعراً ، واعلم أن للأعمال جزاءاً ، فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات ، فكن على حذر . »
وأشدني المنتصر بن بلال :

بلاء الناس مذ كانوا إلى أن تأتي الساعة
بحب الأمر والنهي وحب السمع والطاعة

قال أبو حاتم رضى الله عنه : لا يحب للعاقل طلب الإمارة ؛ لأن من أوتيها عن مسألة وكل إليها ، ومن أعطيها من غير مسألة أعين عليها ، ومن اشتهر بالرياسة فليحتز ؛ لأن الريح الشديدة لا تحطم الكلاً ، وهي تحطم دوح الشجر ومشيئ البنيان .

وليلزم المشورة . فإن في المشورة صلاح الرعية ، ومادة الرأي ، وليصنع إلى الناس كافة في الوقت الذي يقدر على الصنائع والمعروف ، قبل أن يجيئه الوقت الذي يفقد فيه القدرة عليها ، وليعتبر بمن كان قبله من الملوك والأمراء والسادة والوزراء لأن من ظفر بأمر جسيم فأضاعه فاته ، ومن أمكنته الفرصة فأخر العمل فيها لانكاد تعود إليه .

والسلطنة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل ، لا التفاخر في الدنيا واستعمال البذل .
ولقد حدثنا محمد بن سعيد القزاز ، حدثنا خطاب بن عبد الرحمن الجندی ،
حدثنا عبد الله بن سليمان قال : قال أبو عمرو بن العلاء « كانوا لا يسوّدون إلا من
تكاملت فيه ست خصال : السخاء ، والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والبيان ،
والتواضع ، وتماهمن في الإسلام السابعة : الحياء »
وأنشدني الكريزي :

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها إلى العلياء بالعمل الوثيق
بمحض خليقة لا عيب فيها وليس المحض كاللبن المذيق^(١)
ولا تك عندها حلواً فتُحسى ولا مرّاً فتُنشَب في الحلو
وكلُّ إمارة إلا قليلاً مُعَيَّرَ الصديق عن الصديق
قال أبو حاتم رضى الله عنه : من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته؛
لأن من كتم السلطان نصيحته ، والأطباء مرضه ، والإخوان بثه^(٢) ، فقد خان
نفسه . ومن يصحب السلطان لا ينجو من الآثام ، كما أن راكب العجل لا يأمن
العتار ، ولا يجب أن يأمن غضب السلطان إن صدقه ، ولا عقوبته إن كذبه ،
ولا يَحْتَرَى عليه ، وإن أدناه ؛ لأن الحازم العاقل لا يشرب السّم اتكالا على
ما عنده من الترياق والأدوية .

وإني أستحب لمن امتحن بصحبة السلطان أن يعلمه لزوم تقوى الله ، والعمل
الصالح ، كأنه يتعلم منه ، ويؤدبه كأنه يتأدب به ، ويتقى سخطاته ، والسخط إذا
كان من علة كان الرضا عنه موجودا ، وإذا كان من غير علة ينقطع حينئذ الرجاء
ولا يجب أن يعلم كلّ ماتأني الملوك من أمورها ؛ لأن في معرفتهم إياها بعض الفتنة

(١) المحض : الخالص في جنسه ، لا يشوبه شيء من جنس آخر ، واللبن المذيق :
المخلوط بالماء .

(٢) البث - بفتح الباء - الحزن .

وهيهات ! من ذا يحب السلطان فلم يفتتن، ومن اتبع الهوى فلم يعطب ؟ إن الشجرة الحسنة ربما كان سبب هلاكها طيب ثمرتها ، وربما كان ذنبُ الطاووس الذى فيه جماله - سببَ حتفه ؛ لأنه يثقله حتى يمنع من الهرب ، ومن يحب السلطان لم يأمن التغير على نفسه ؛ لأن الأنهار إنما تكون عذبة ما لم تنصب إلى البحور ، فإذا وقعت فى البحور ملحت ، على أن تعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة فى نور علمهم ، وكثرة غشيانهم إياهم غشاوة على قلوبهم ^(١) ، ومن يحب الملوك لم يأمن تغيرهم ومن زایلهم لم يأمن تفقدهم ، وإن قطع الأمور دونهم لم يأمن فيها مخالقتهم ، وإن عزم على شيء لم يجد بُدًّا من مؤامرتهم ، وأسمح شيء بالملوك : الحدة .

ولقد حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفى ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا المبارك بن سعيد الثورى قال : كان يقال : خمس خلال هنَّ أقبح شيء من كنَّ فيه : الحدة فى السلطان ، والكبر فى ذى الحسب ، والبخل فى الغنى ، والحرص فى العالم ، والفتوة فى الشيخ .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رؤساء القوم أعظمهم هموماً ، وأدومهم غموماً ، وأشغلهم قلوباً ، وأشهرهم عيوباً ، وأكثرهم عدواً ، وأشدَّهم أحزاناً ، وأنكاهم أشجاناً ، وأكثرهم فى القيامة حساباً ، وأشدَّهم - إن لم يعف الله عنهم - عذاباً . ومن أحسن ما يستعين به السلطان على أسبابه : اتخاذ وزير عفيف ناصح ، على ما تقدم ذكرنا له ، فإن الوزير إذا غفل الأمير ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن سَوَّلَ له نفسه سيئة صدّه ، وإن أراد طاعة نشطه ، فهو الحبيب له إلى الناس ، والمستجلب له دعاءهم .

ولقد أتشدنى على بن محمد البسامى :

إذا نسي الأمير قضاء حق فإنَّ الذنب فيه للوزير
لأن على الوزير ، إذا تولى أمور الناس ، تذكير الأمير

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على كل من يغشى السلطان وامتنح

(١) ذلك إذا كان الغشيان لغير النصيحة ، وكفهم عن الظلم .

بصحبته أن لا يعد شتمه شتما ، ولا إغلاظه إغلاظاً ، ولا التقصير في حقه ذنباً ؛ لأن ربح العزة بسطت لسانه ويده بالغلظة ، فإن أنزله الوالى منزلة رفيعة من نفسه فلا يثقن بها ، وليجانب معه كلام الملقى ، والإكثار من الدعاء في كل وقت ، وكثرة الانبساط ، فربّ كلمة أثارت الوحشة ، بل يجتهد في توقيره وتعظيمه عند الناس ، فإن غضب فليحتلّ في تسكين غضبه باللين والمداراة ، ولا يكون سبباً لتهيجه .

ولقد حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال : بعث أبو جعفر إلى جعفر بن محمد قال : إني أستشيرك في أمر ، إني قد تأنيت أهل المدينة مرة بعد أخرى فلا أراهم يرجعون ، ولا يُعتبون^(١) . وقد رأيت أن أبعث فأحرق نخلها ، وأغورّ عيونها ، فما ترى ؟ فسكت جعفر . فقال : مالك لا تتكلم ؟ قال : إن أذنت لى تكلمت . قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر . وقد جعلك الله من النسل الذين يعفون ويصفحون . قال : فطفي غضبه وسكن .

حدثني محمد بن أبي على الخلابي ، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد عن محمد ابن حميد بن فروة عن أبيه قال : لما استقرت للمأمون الخلافة ، دعا إبراهيم بن مهدي ، المعروف بابن شكلة ، فوقف بين يديه ، فقال : أنت المتوثب علينا تدعى الخلافة ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين ، أنت وليُّ الثار ، مُحْكَمٌ في القصاص ، والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب ، كما جعل كل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت أخذت بحق ، وإن عفوت عفوت بفضل ، ولقد حضرت أبي - وهو جدك - أتى رجل كان جرمه أعظم من جرمي ، فأمر الخليفة بقتله وعنده المبارك بن فضالة ، فقال المبارك بن فضالة : إن رأي أمير المؤمنين أن يستأني في أمر هذا الرجل حتى أحدثه بحديث سمعته من الحسن يحدث به عن رسول الله

(١) يعتبون - بضم حرف المضارعة - يزيلون عني عليهم بترضيهم إياي .

صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إِيَّه يَامُبَارَكُ ، قال : حدثني الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بُطْنَانِ العرش : أَلَا لِيَقُمَ الْعَافُونَ مِنَ الْخُلَفَاءِ ، فلا يقوم إلا من عفا » فقال الخليفة له : يَامُبَارَكُ ، قد قبلت الحديث ، وعفوت عنه ، أخرج أيها الرجل ، فلا سبيل لأحد عليك . فقال المأمون : يا عم ، ههنا ، يا عم ههنا .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على مَنْ ملك أمور المسلمين الرجوع إلى الله جل وعلا في كل لحظة وطفرة ؛ لئلا يطغيه ما هو فيه من تسلطه ، بل يذكر عظمة الله وقدرته وسلطانه ، وأنه هو المنتقم من ظلم ، والمجازي لمن أحسن ، فليلزم في إمرته السلوك الذى يؤديه إلى اكتساب الخير في الدارين ، وليعتبر بمن كان قبله من أشكاله ؛ فإنه لا محالة مسئول عن شكر ما هو فيه ، كما هو لا محالة مسئول عن حسابه ، إذ المصطفى صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى ، يوم القيامة : ألم أحلك على الخير ، ورزقتك النساء ، وجعلتك رأساً وتربع ؟ فيقول : بلى ، فيقول : فأين شكر ذلك ؟ » .

وأنشدني ابن زنجى البغدادى :

يَدْبُرُّ أَسْبَابَ الرِّجَالِ مُؤَمَّرٌ إِذَا صَلَحَتْ فِي الصَّدْرِ أَشْفَى وَأَيْنُ
مِنَ الْعَقْلِ أَنْ تَحْتَاطَ فِيمَا وَلَيْتَهُ وَتَحْسَمَ مَا تَحْشَاهُ ، وَالْأَمْرُ مُمْكِنُ

ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام ، حدثنا عبد الله بن هانئ بن عبد الرحمن بن أبي عتبة ، حدثنا أبي عن عمه إبراهيم بن أبي عتبة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في بدنه ، آمناً في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا ^(١) » يا ابن

(١) كذا في الأصل ، وليس لسراقة بن مالك بن جعشم ذكر في الحديث ، ولعلهما حديثان مندجان ، وفي الترغيب والترهيب : يروى عن ثوبان قال : قلت « يا رسول الله =

جُفْشُمْ ، يكفيك منها ماسد جَوْعَتِكَ ، ووارى عورتك ، فإن يكن ثوباً تلبسه فذاك ، وإن كانت دابة تركبها فَبِخْ بَخْ ، فإن فَلَقَ الخبز ، وماء الحب ، وما فوق الإزار حساب عليك .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل : أن لا يغتر بالدنيا وزهرتها ، وحسنها وبهجتها ، فيشتغل بها عن الآخرة الباقية ، والنعم الدائمة ، بل ينزلها حيث أنزلها الله ؛ لأن عاقبتها لا محالة تصير إلى فناء ، يخرب عمرانها ، ويموت سكانها ، وتذهب بهجتها ، وتبید خُضْرَتِها ، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمّر ، ولا فقير مسكين محتقر ، إلا ويجرى عليهم كأسُ المنيا ، ثم يصيرون إلى التراب ، فيبلون حتى يرجعون إلى ما كانوا عليه في البداية إلى الفناء ، ثم يرث الأرض ومن عليها علام الغيوب . فالعاقل لا يركن إلى دار هذا نعتها ، ولا يطمئن إلى دنيا هذه صفتها ، وقد ادخر الله له مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فيضن بترك هذا القليل ، ويرضى بفوت ذلك الكثير .

حدثنا محمد بن المسيب بن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي قال : سمعت بشر بن الحارث يقول :

لاتأس في الدنيا على فائتٍ وعندك الإسلام والعافية
إن فات أمر كنت تسعى له فففيهما من فائتٍ كافية
وأنشدني الكريزي ، أنشدني شعيب بن أحمد لسليمان بن يزيد العدوي :
ألم تر أن المرء يودى شبابه وأن المنيا بالرجال تشعبُ
فمن ذائق كأساً من الموت مُرّةً وآخرَ أخرى مثلها يترقبُ
لها منهم زاد حثيثٍ وسائقٍ وكل بكأس الموت يوماً سيُشربُ
وما وارث إلا سيورث ماله ولا سالبٌ إلا وشيكا سيُسَلَبُ

== ما يكفيني من الدنيا ؟ قال : ماسد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان لك بيت يظلك فذاك ، وإن كانت لك دابة فَبِخْ بَخْ « رواه الطبراني في الأوسط .

ولا ألفٌ إلا سبتع إلفه ولا نعمة إلا تبسد وتذهب
وما مُعان والمصائب حمة يعاورها العصران إلا سيعطب
أرى الناس أضنافا أقاموا بغربة تقلبهم أيامها وتقلبوا
بدارٍ غرور حلوه يعمرونها وقد عاينوا فيها زوالا وجربوا
يذمون دنيا لا يريحون درها فلم أر كالدينا تدم وتحلب
تسرهم طورا ، وطورا تذيبهم مضيض مكاو حرها يتلهب
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا محمد بن عبيد الله قال : عاد
رجل مريضا ، فسمع قائلا يقول من ناحية البيت :

ناد ربّ الدار ذا المال الذي جمع الدنيا بحرص : ما فعل ؟
فأجابه بحبيب :

كان في دار سواها داره علته بالمنى ، ثم انتقل
لم يُمتنع بالذى كان حوى من حطام المال ، إذ حلّ الأجل
إنما الدنيا كظلّ زائل طلعت شمس عليه فاضمحل

قال أبو حاتم رضى الله عنه : رأيت على حجر بطبرستان مكتوب :

العيش لوان : فلو ، ومر
والنطق جزآن : فبعر ، ودّر
يومك يومان : فخير ، وشر
وكذاك الزمان على من مضى
وأشدنى الأبرش :

إنما الدنيا نهارٌ ضوءها ضوء معار
بينما غصنك غصنٌ ناعم فيه اخضرار

(١) الريف - بالكسر - أرض فيها زرع وخصب ، وسعة في الماء كل والمشرّب .
والأبيات غير متسقة الوزن .

إذ رماء زمانه فإذا فيه اصفرار
وكذلك الليل يأتي ثم يمحوه النهار
وأنشدني ابن زنجي البغدادي :

يالايم الدهر إذا مانبا لا تلم الدهر على غدره
الدهر مأمور ، له أمر ينصرف الدهر إلى أمره
كم كافر بالله أمواله تزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم يزداد إيماناً على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلاً ، يبسط رجله على قدره
وأنشدني الكريزي :

ما الدهر إلا ليلة ويوم والعيش إلا يقظة ونوم
يعيش قوم ، ويموت قوم والدهر قاضي ، ماعليه لوم
أنبأنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا إسحاق
الموصلی قال : قال أبو حازم : بضاعة الآخرة كاسدة ، فاستكثر منها في أوان
كساده ؛ فإنه لو جاء أوان نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير .
قال أبو حاتم رضي الله عنه : الدنيا بحر طفاح ، والناس في أمواجها يعمون ،
وفي أمثال تضر بها الأيام للأنام - وما أكثر أشباهها منها - لأن كل ما يصير
إلى فناء منها يشبهها ، فمن أوتي من الدنيا أشياء ثلاثة فقد أوتي الدنيا بحذافيرها :
الأمْن ، والقوت ، والصحة ، لا يغتر بشيء منها إلا كل خداع ، ولا يركن إليها
إلا كل مناع .

فالعقل يعلم أن ما لم يبق لغيره عليه غير باق ، وأن ما سلب عن غيره لا يترك
عليه ، فالتقص إلى ما يعود بالنفع في الآخرة للعقل من الدنيا أخرى من السلوك
في قصد الصن بها والجمع لها ، من غير تقديم ما يقدم عليه في الآخرة من الأعمال
الصالحة ، وترك الاغترار بها ، والاعتبار بتقلبها بأهلها ، ولا شيء أعظم خطراً من

الحياة ، ولا غبن أعظم من إفنائها لغير حياة الأبد ، ومن اشتهى أن يكون حرّاً
فليجتنب الشهوات ، وإن كانت لذينة ، وليعلم أن كل لذية ليس بنافع ، ولكن
كل نافع هو اللذية ، وكل الشهوات مملولة إلا الأرباح فإنها لا تمل ، وأعظم
الأرباح الجنة ، والاستغناء بالله عن الناس .

وأشدني على بن محمد البسامي :

فأعظم بصبر للزمان ، فإنه على حالة المكروه ليس بدائم
تدور لنا أفلاكه بعجائب إذا ما انقضت كانت كأحلام نائم
سُرُورٌ وَهُمْ وانتعاش ، وسقطّة إلى أجلٍ دانٍ لذلك هادم
وبالله دون الناس فاستغن واستغن إذا نزلت إحدى الأمور العظام
وأشدني محمد بن إسحاق الواسطي :

والناس في هذه الدنيا على رتب هذا يحط ، وذا يعلو فيرتفع
فأخلص الشكر فيما قد حُيت به وآثر الصبر ، كلٌّ سوف ينقطع
وأشدني المنتصر بن بلال :

فيوم علينا ويوم لنا ويوماً نساء ، ويوماً نُسرّ
كذاك التقارص بين الأنا م فخير بخير ، وشرّ بشرّ
أنيأنا محمد بن عبد الله بن الجنيد ، حدثنا عبد الوارث بن عبد الله عن عبد الله
عن مسعر عن معن بن عون قال : كم من مستقبل يوماً لا يستكمل ، ومنتظر غداً
لا يدرّكه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : السبب المؤدى للعاقل إلى إنزاله الدنيا منزلتها ،
ترك الركون إليها مع تقديم ما قدر منها للعيش الدائم ، والنعيم المقيم هو ترك
طول الأمل ، ومراقبة ورود الموت عليه في كل لحظة وطرفة ؛ لأن طول الآمال
قطع أعناق الرجال ، كالسرّاب أخلف من رجاء ، وخاب من رآه .

فالعقل يلزم تركها ، مع الاعتبار الدائم بن مضي من الأمم السابقة ، والقرون

الماضية ، كيف عَفَتْ آثارهم ، واضمحلت أنباؤهم ، فما بقي منهم إلا الذكر ، ولا من ديارهم إلا الرسم ، فسبحان من هو قادر على بعثهم ، وجمعهم للجزاء والعقاب ،
ولقد أنشدنا عمرو بن محمد ، قال : أنشدنا الغلابي قال : أنشدني مهدي بن سابق :
كناعلى ظهرها ، والعيش ذو مهلٍ والدهرُ يجمعنا ، والدارُ والوطنُ
ففرق الدهرُ ذو التصريف ألفتنا فالיום يجمعنا في بطنها الكفن
كذلك الدهر لا يبقى على أحد تأني بأقداره الأيام والزمن
وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي :

حتى متى يبقى حليف الأسي مستشعراً للدهر أحرانا ؟
فلا يردُّ الحزنُ شيئاً ، ولا يُعْتَبُ هذا الدهر إنسانا
قد يقبل الدهر بسرَّائه طَوَّراً ، وقد يدبر أحيانا
فاصبر على ماجرٍّ من حادث مازال غداراً وخوانا
وأحسن الظنَّ بمن لم يزل عليك مفضلاً ومنانا
وأنشدني عمرو بن محمد قال : أنشدنا الغلابي ، لابن أبي عيينة المهلبى :
مراح يوم على حى ، ولا ابتكرا إلا رأى عبرة فيها إن اعتبرنا
وإن أتت ساعة في الدهر فانصرفت حتى يؤثر في قوم لها غيرنا
إن الليالى والأيام أنفسها غن غيب أنفسها لم تكتب الخيرا

أنبأنا على بن سعيد العسكري ، حدثنا إبراهيم بن الجنيد ، حدثنا الحسن بن سعيد الجرجاني ، قال : سمعت أبا مريم الصلت بن كلثم يقول : كانت امرأة من بني إسرائيل متعبدةً ، وكانت تفطر كل سبت ، فبينما هي ذات يوم قد وضعت إفطارها بين يديها ، جعلت تقول : محب يحب حبيبه يتشاغل بالأكل عن خدمة محبه ، فيوشك أن يقدم عليه رسول حبيبه وهو متشاغل بأكله عن خدمته ، فلا تقرَّ عينه في لقائه ، فمكثت كذلك مدة لا تفطر . قال : ثم وضعت إفطارها بين يديها وجعلت تقول مثل ما كانت تقول ، وإذا شابُّ من ناحية البيت جميل

الوجه ، طيب الريح ، فقال : سلام عليك ورحمة الله يا حبيبة الله ، أو ياولية الله ، قالت : وعليك السلام ، من أنت ؟ قال : أنا ملك الموت ، قالت : ياملك الموت ، أتأذن لي أن أسجد سجدة أناجي فيها ربي ، فإذا رأيتني قد فعلت ذلك قبضت روحي ؟ قال : لك ذلك ، قال : فنحّت إبطارها ، ثم وثبت فسجدت ، فقبض روحها في اجتهادها رضى الله عنها^(١) .

ذكر الحث على لزوم ذكر الموت ، وتقديم الطاعات

حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان السعدي ، حدثنا يحيى بن أكثم ومحمود ابن غيلان قالا : حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا ذكر هادم اللذات : الموت » .

قال أبوحاتم رضى الله عنه : الواجب على العاقل أن يضم إلى رعاية ما ذكرنا من شُعب العقل في كتابنا هذا لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها ، إذ الموت رَحَى دَوَّارة بين الخلق ، وكأس يدارُ بها عليهم ، لا بد لكل ذى روح أن يشربها ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ، ومنغص الشهوات ، ومكدر الأوقات ، ومزيل العاهات .

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان :

أيا هادم اللذات ، مامنك مهربٌ تحاذر نفسي منك ما سيصيبها
رأيتُ المنايا قُسمت بين أنفس ونفسي سيأتى بعدها نصيبها
وأنشدني الكريزي :

إنَّ من عاش آمناً في سرورٍ قاعدٌ من سروره في غرور
ما لمن يذكرُ المقابرَ والموتَ إذا كان عاقلاً من سرور
حدثنا عمرو بن محمد الغلابي ، حدثنا مهدي بن سابق قال : قرئ على قصر هذه الأبيات :

(١) لكن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم خير من هذا جداً .

هذه منازل أقوام عهدهم في ظل عيش عجيب ، ماله خطرُ
صاحت بهم حادثات الدهر ، فانتقلوا إلى القبور ، فلا عين ، ولا أثر
حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم
ابن عبد الملك ، حدثني علي بن سلمة الحلبي قال : سمعت أبي يقول : كان معاوية
يقول « أنا والله من زرع قد استحصد » ونعى له عبد الله بن عامر بن كريز ،
والوليد بن عقبة ، وكان أحدهما أكبر منه ، والآخر دونه ، فقال :
إذا سار من خلف امرئ وأمامه وأفرد من إخوانه فهو سائر
حدثنا أحمد بن محمد بن مصعب الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال : سمعت
عبيد الله بن مسلم بن زياد الهمداني قال : سمعت عمر بن ذر يقول :
ورث فتى من الحبي داراً عن آبائه وأجداده ، فهدمها ، ثم ابتناها وشيدها ،
فأتى في منامه فقبل له :

إن كنت تطعم في الحياة ، فقد ترى أرباب دارك ساكنوا الأموات
أنى تحس من الأكارم ذكرهم ؟ خلت الديار وبادت الأصوات
قال : فأصبح الفتى مغتاضاً قد أمسك عن كثير مما كان يصنع ، وأقبل على
نفسه .

حدثنا عمر بن حفص البزار ، حدثنا إسحاق بن الضيف ، حدثنا جعفر بن
عون ، قال سمعت مسعراً يقول :

ومشيّد داراً ليسكن داره سكن القبور ، وداره لم يسكن
وأشدني ابن زنجي البغدادي :

لو أني أعطيت سؤلى لما سألت إلا العفو والعافية
فكم فتى قد بات في نعمة فسئل منها الليلة الثانية ؟

حدثنا حمزة بن داود بن سليمان ، بالأبلة ، حدثنا ذهل بن أبي شراعة القيسي ،
قال : حدثني سوكينة - وكانت علامة - قالت : قال لي أبو العتاهية : دخلت

على هارون أمير المؤمنين ، فلما بَصُرَ بي قال : أبو العتاهية ؟ قلت : أبو العتاهية ، قال : الذى يقول الشعر . قلت : الذى يقول الشعر . قال : عظمى بأبيات شعر ، وأوجز ، فأنشدته :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفسٍ ولو تمتعت بالحجَّاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مُدَّرِعٍ منا ومتَّرس
ترجو النجاة ، ولم تسلك مسالكها ؟ إن السفينة لا تجرى على اليبس
قال : فخر مغشياً عليه ، أو كما قال .

حدثنا عمرو بن محمد حدثنا الغلابي ، حدثنا أبو جعفر البغدادى قال : قرأت على باب قصر بالسند :

نزل الموت منزلاً سلب القوم وارتحل
فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : مات أهل القصر كلهم ، فأصبحوا وهذا الكتاب على الباب لا يدرى من كتبه ، وأنشدنى السامى :

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلك العواد
يُصاد القطا فينجو سلباً بعد هُلك ، ويهلك الصياد

قال أبو حاتم رضى الله عنه : العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقب له ، ومنتظر وقوعه ، من قدم إلى قدم ، ومن لحظة إلى شجرة ، فكم من مكرَّم فى أهله ، معظم فى قومه ، يحتال فى خبرته ، لا يخاف الضيق فى المعيشة ، ولا الضنك فى المصيبة ، إذ ورد عليه مذلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعاً بين أحبته وجيرانه ، مفارقاً لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعاً ، ولا يستطيعون عنه دفعاً ، فكم من أمة قد أبادها الموت ، وبلدة قد عطلها ، وذات بعل قد أرمَلها ، وذى أب قد أيتمه ، وذى إخوة أفرده .

فالعاقل لا يغير بحالة نهايتها تؤدى إلى ماقلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته ماذكرنا ، ولا ينسى حالة لا محالة هو مُواقِعها : وما لاشك يأتیه ، إذ الموت طالب لا يعجزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب .

ولقد حدثنا محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني سلمة ابن حبيب حدثنا سهل بن عاصم قال : سمعت الواضح بن حسان يقول : سمعت ابن السماك يحدث قال : بينما صياد - في الدهر الأول - يصطاد السمك ، إذ رمى بشبكة في البحر ، فخرج فيها جمجمة إنسان ، فجعل الصياد ينظر إليها ويبكي ، ويقول : عزيز ، فلم تترك لعزك ، غنى ، فلم تترك لغناك فقير ، فلم تترك لفقرك ، جواد ، فلم تترك لجودك ، شديد ، فلم تترك لشدتك ، عالم ، فلم تترك لعلمك ؟ يردد هذا الكلام ويبكي .

وأنشدني الكريزي :

أموالنا لذوى الميراث نجمها . ودورنا لخراب الدهر نبيها
والنفس تكلف بالدنيا ، وقد علمت أن السلامة فيها : ترك ما فيها
فلا الإقامة تنجى النفس من تلف ولا الفرار من الأحداث ينجيها
وكل نفس لها زورٌ يصبُّها من المنية يوماً أو يمسها
حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، قال : سمعت ابن واقد المدني قال :
حدثنا عبد المنعم الرياحي قال : فقد مالك بن دينار يوماً ، فقالوا : أين كنت
يا أبا يحيى ؟ قال : خرجت إلى الأبله ، قالوا : ما أحسنُ ما رأيت ؟ قال : ما رأيت
شيئاً أعجبت به ، إلا أني رأيت امرأةً تصلي ، فقالوا له : يا أبا يحيى ، فما أعجبُ
شيء رأيت ؟ قال : رأيت بالبحرين قصرًا مشيدًا ، وإذا على بابه مكتوب :

طلبتُ العيش أسعد ناعميه وعشتُ من المعاش والنعيم
فلم ألبثُ وربُّ الناس طَوْرًا سلبتُ من الأقارب والحميم
وأنشدني الأبرش :

والنفوس وإن كانت على وجل من المنية آمال . تقويها
والمرء يبسطها ، والدهر يقبضها والنفس تنشرها ، والموت يطويها
أنبا ناهمة بن داود بن سليمان بالأبله ، حدثنا الهادي ، حدثنا جليس الكلبي

عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : لقيني عمران بن حطان فقال لي :
يا أعمى ، إنني عالم بخلافك ، ولكنك رجل تحفظ ، فاحفظ عني هذه الأبيات :
حتى متى تسقى النفوس بكأسها ريب المنون ، وأنت لاهٍ ترتع ؟
أفقد رضيت بأن تعللَ بالمني وإلى المنية كلَّ يوم تدفع ؟
أحلام نوم ، أو كظل زائل إنَّ اللبيب بمثلها لا يخدع
فتزودنَّ ليوم فقرك دائماً واجمع لنفسك لا لغيرك تجمع
حدثنا محمد بن نصر بن نوفل المروزي ، قال : سمعت أبا داود السنجري يقول :
خرج أبو معاذ النحوي يوماً مع أصحابه ، فقال : إني قد نُعيت إلى نفسي البارحة ،
أتاني آت ، فقال :

يا أيها الإنسان ، إنك ميتٌ عما قليل ، قم لنفسك واقعدِ
فكأنَّ ما قد كان لم يك إذ مضى وكأنَّ ما هو كائن فكأنَّ قد
حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي
كثيراً ما ينشد :

تبنيَّ رجال أن أموت ، وإن أمتُ فتلك سبيلُ لستُ فيها بأوحدِ
فقل للذي يبقى خلافَ الذي مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأنَّ قد
حدثنا أحمد بن محمد الشافعي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إسماعيل بن
عبد الله العجلي قال : أنشدنا رجل ، ونحن في المقابر :

ألا يا عسكر الأحياء هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظروا الكبرى
يحتوف على الزاد وما زاد سوى التقوى
يقولون لكم : جدوا فهذا آخر الدنيا

قال أبو حاتم رضي الله عنه : إن الله جل وعلا خلق آدم وذريته من الأرض ،
فأمشاهم على ظهرها ، فأكلوا من ثمارها ، وشربوا من أنهارها ، ثم لا محالة تنزل

المنية بهم ، وتغنيهم عن السعى والحركات ، مع تعطيل الجثث والآلات ، ثم تعيدهم إلى الأرض التي منها خلقهم ، حتى تأكل لحومهم ، كما أكلوا ثمارها ، وتشرب دماءهم كما شربوا من أنهارها ، وتقطع أوصالهم كما مشوا على ظهرها ، فالتبر أول منزل من منازل الآخرة ، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن مهد في دنياه لقبره ، وقدم منها لآخرته ، فكم عَفَرَت الأرض من عزيز ، وأفقدت من أنيس .
حدثني محمد بن إبراهيم الخالدي ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني محمد بن عباس ، حدثنا إبراهيم بن يزيد قال : رأيت أعرابياً وقف على مقبرة وهو يقول :

لِكُلِّ أَفَاسٍ مَقْبَرٌ بِفَنَائِهِمْ فَمَنْ يَنْقُصُونَ ، وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
وَمَا إِنْ تَرَى دَاراً لَحْيٍ قَدْ أَقْفَرَتْ وَقَبراً لَمِيتٍ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
فَمَنْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ ، أَمَا مَحَلُّهُمْ فَدَانٍ ، وَأَمَا الْمَلْتَقَى فَبَعِيدُ
وَأُنْشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَرْجِيُّ لِعَمْرِ بْنِ شُبَّةٍ فِي نَفْسِهِ :

يَا ابْنَ سَبْعِينَ وَعَشْرٍ وَثَمَانِ كَامَلَاتِ
غُرْضًا لِلْمَوْتِ مَشْغُورًا لَا بُحْدُ مِنِّي وَهَاتِ
وَيْكَ لَا تَعْلَمُ مَا تَلْقَى بِهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ
مِنْ صَغَارِ مَوْبِقَاتِ وَكِبَارِ مَهْلِكَاتِ
يَا ابْنَ مَنْ قَدَمَاتِ مَنْ أَبَائِهِ وَالْأُمَهَاتِ
هَلْ تَرَى مِنْ خَالِدٍ مِنْ ذِي طِفَاةٍ وَعُتَاةٍ ؟
إِنْ مِنْ يَبْتَاعُ بِالْدِينِ خَسِيسَاتِ الْحَيَاةِ
لَعْنِي الرَّأْيَ مُحْفَوفَ بِطُولِ الْحَسَرَاتِ

حدثنا عمرو بن محمد ، حدثنا الغلابي ، حدثنا شعيب بن واقد المري عن عبد المنعم الرياحي قال : سمعت صالح المري يقول : دخلت المقابر يوماً في شدة الحر ، فنظرت إلى القبور خامدة ، كأنهم قوم صموت ، فقلت : يا سبحان الله ! من يجمع بين أرواحكم وأجسامكم بعد افتراقها ، ثم يحْيِيكُمْ وينشئكم من طول البلى ؟

قال : فنادانى مناد من بين تلك الحفر : يا صالح (٣٠ : ٢٥) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال : فسقطت والله مغشياً على .

قال أبو حاتم رضى الله عنه : قد ذكرنا اليسير من الكثير من الآثار ، والقليل من الجسيم من الأخبار ، فى كتابنا هذا ، بما نرجوا أن القاصد إلى سلوك سبيل ذوى الحجب ، والسالك مقصد سبيل أولى النهى ، يكون له فيها غنية إن تدبرها واستعملها ، وإن كنا تنكبنا طرق المسانيد ، وتخرج الحكايات ، وأناشيد الأشعار ، إلا ما لم نجد بدا من إخراجها ، كالإيماء إلى الشيء ، والإشارة إلى القصد .

جعلنا الله ممن دعت به تباشير التوفيق إلى القيام بحقائق التحقيق . إنه منتهى الغاية عند رجاء المؤمنين ، والمأن على أوليائه بمنازل المقرين .

وصلى الله وسلم على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين الطيبين ، والحمد لله رب العالمين .

وجد فى النسخة الأصلية ماضورته :

فرغ من نسخته بعون الله ورحمته العبد الفقير إلى عفوه ربه أحمد بن محمد بن سالم بن جناب المنبجى ، بالرها الحروسية ، يوم الثلاثاء حادى عشر الحرم سنة ثمان وعشرين وستائة . ختم الله له بخير ولوالديه ولجميع المسلمين !

وتم طبعه - للمرة الثالثة - بمطبعة السنة المحمدية فى غرة جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ من هجرة عبد الله ورسوله الكريم محمد خاتم المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله أجمعين .

فهرس

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء

٧٤	ذكر استحباب إفشاء السلام وإظهار البشر والتبسم	٣	ترجمة الإمام ابن حبان
٧٧	ذكر ما أبيح من المزاح للمرء وما كره له منه	١٣	سند الكتاب
٨١	ذكر استحباب الاعتزال من الناس عاماً	١٤	مقدمة »
٨٥	ذكر استحباب المؤاخاة للمرء مع الخاصة	١٦	ذكر الحث على لزوم العقل وصفة العاقل اللبيب
٩٤	ذكر كراهية المعاراة للناس	٢٦	ذكر إصلاح السرائر بلزوم تقوى الله تعالى
٩٩	« الحث على حبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار	٣٣	ذكر الحث على لزوم العلم والمداومة على طلبه
١٠٣	ذكر كراهية التلون في الوداد بين المؤاخيين	٤١	ذكر الحث على لزوم الصمت وحفظ اللسان
١٠٧	ذكر ائتلاف الناس واختلافهم	٥١	ذكر الحث على لزوم الصدق ومجانبة الكذب
١١٤	« الحث على زيارة الإخوان وإكرامهم	٥٦	ذكر الحث على لزوم الحياء وترك القحة
١١٨	ذكر صفة الأحمق والجاهل	٥٩	ذكر الحث على لزوم التواضع ومجانبة الكبر
١٢٥	« الزجر عن التجسس وسوء الظن	٦٣	ذكر استحباب التجنب إلى الناس من غير مقارفة المأثم
١٢٩	ذكر الحث على مجانبة الحرص للمعاقل	٧٠	ذكر استعمال لزوم المدراة وترك المداهنة مع الناس

- ١٣٢ ذكر الزجر عن التحاسد والبغضاء
- ١٣٨ ذكر الحث على مجانبة الغضب وذكر العجلة .
- ١٤١ ذكر الزجر عن الطمع
- ١٤٤ « الحث على مجانبة المسألة وكرهيتها
- ١٤٨ ذكر الحث على لزوم القناعة
- ١٥٣ « الحث على لزوم التوكل على من ضمن الأرزاق
- ١٥٧ ذكر الحث على لزوم الرضا بالشدائد والصبر عليها
- ١٦٦ ذكر الحث على العفو عن الجاني
- ١٧١ « صفة الكريم والثلثم
- ١٧٦ « الزجر عن قبول قول الوشاة
- ١٨٢ « استحباب قبول الاعتذار
- ١٨٧ ذكر الحث على لزوم كتمان السر
- ١٩٤ « الحث على لزوم النصيحة للمسلمين كافة
- ١٩٨ وصية الخطاب بن المعلى لابنه
- ٢٠٤ ذكر الزجر عن تهاجر المسلمين
- ٢٠٨ « الحث على لزوم الحلم .
- ٢١٥ ذكر الحث على لزوم الرفق في أمور وكرهية العجلة فيها
- ٢٢٩ ذكر الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة
- ٢٢٣ ذكر إباحة جمع المال للقائم بحقوقه
- ٢٢٩ « الحث على إقامة المروءات
- ٢٣٥ باب الحث على لزوم السخاء ومجانبة البخل
- ٢٤٢ ذكر الزجر عن ترك قبول الهدايا من الإخوان
- ٢٤٦ ذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج
- ٢٥٢ ذكر الحث على إعطاء السؤال وطلب المعالي
- ٢٥٨ ذكر الحث على الضيافة وإطعام الطعام
- ٢٦٣ ذكر الحث على المجازاة على الصنائع
- ٢٦٨ ذكر الحث على سياسة الرياسة ورعاية الرعية
- ٢٧٧ ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها
- ٢٨٣ « الحث على لزوم ذكر الموت وتقديم الطاعات